عودة الحجاب

القسم الأول

معركة الحجاب والسفور

جمع وترتيب

محمد أحمد إسماعيل المقدم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار طيبة للنشر والتوزيع

الطّبعَة السّعُوديّة العَاشرَة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق

ص. ب ٧٦١٢ الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٢٧ فاكس ٤٢٥٨٣٧٧

عودة الحجاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أَنْتِ

نِصْفُ الأُمَّة

ثُمَّ

إنَّكِ تَلِدِينَ لَنَا النِّصْفَ الآخَرَ

فَأَنْتِ أُمَّةٌ بِأَسْرِهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي أخمد ذكر الطواغيت فصار بعزٍّ التوحيد والإسلام مطموساً ، وأَذَلَّ بقهره منهم أعناقاً ورؤوساً ، وصرف عن أهل طاعته بلُطْفِهِ وإسعاده أذىً وبوساً ، ورفع كيد شياطين الإنس والجن عن قلوب أهل الإيمان ، فأصبح عنها محبوساً .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة مخلص في معتقده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، صلِّ اللهم وسلِّمْ عليه ، وعلى آله وصحبه ، وعلى سائر التابعين مقصده ، الصابرين من البلاء على أشده .

أما بعد :

فما أشد حاجتنا إلى إعادة النظر في تقويم الرجال بعد رحلة الشقاء التي تركت قلوبنا مجرحة ، وأيدينا مرتعدة ، وسيوفنا ملثمة ، تلك الرحلة التي قام فيها على أمرنا فريق التحف الإسلام ، وتبطَّن الكفر ، حمل بين فكيه لساناً مسلماً ، وبين جنبيه قلباً كافراً مظلماً ، حرص كل الحرص على أن يطفيء نور الإسلام ، ويهدم عز المسلمين ، فلم يجد أعون له على هذا الغرض السيء من أن يقدم لنا الكفر والفسوق والعصيان على « طبق » إسلامي ، ويتولى تزيينَه لنا سَدَنَتُه من الزعماء ، وربائبه من المفكرين ، فكانت النتيجة ركاماً ضحلاً تافهاً مظلماً من المباديء التي أخذناها لنستر بها عُرْيَنا ، فعرينا ! ، والمناهج التي اقتبسناها لننسج بها آمالنا فنسجنا بها أكفاننا !

(إن كثيراً ممن نعتبرهم اليوم دعائم النهضة الحديثة ، لم يصبحوا كذلك في أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة ، التي أرادت أن تضعهم في هذه المنزلة ، لتحقق بذلك أغراضها في نشر مذاهبهم والتمكين لآرائهم ، ولأن كثيراً من الآراء المنحرفة التي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي وإلى مجتمعاته ، قد أصبح قبولها ممكناً بِنِسْبَتِهَا إلى هذه الزعامات وإلى هؤلاء الأئمة ، الذين لايتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم وعلمهم ، والواقع أن كثيراً من هؤلاء الرجال قد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجداً وذكراً بين الناس ، ولم يكن الغرض من ذلك خدمتَهم ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها ، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه .

وخطة الاستعمار واليهودية العالمية في ذلك كانت تقوم ــ ولا تزال ــ على السيطرة على أجهزة النشر التي نسميها الآن « الإعلام » وإلقاء الأضواء من طريقها على كُتَّابٍ ومفكرين من نوع خاص ، يُبْنَوْنَ ، وَيُنَشَّأُون بالطريقة التي يُبنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء ، بالمداومة على الإعلان عنهم ، والإشادة بهم ، وإسباغ الألقاب عليهم ، ونشر أخبارهم وصُورهم ، وذلك في الوقت الذي يهمل فيه الكُتَّابُ والمفكرون الذين يصورون وجهات النظر المعارضة ، أو تُشَوَّهُ آراؤهم وتُسفَّه ، ويُشَهَّر بهم ، ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن ، لايَمَلُّون من التكرار ، لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديداً ، أو هم يخاطبون الجيل نفسه ، فيتعهدون بالسقي البذورَ التي ألقوها من قبل .

ونحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال ، لانريد أن ننقص من قدر أحد ، ولكننا لانريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناسٍ يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلَّها حسنات لاتقبل القدح والنقد ، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم ، والمروج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وَصَفَ أحدُ الناس إماماً من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لايهيجون

فيه ، ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم بما لايقبلون أن يوصف به زعماؤهم « المعصومون » ! ، ويحتمون بحرية الرأي في كل مايخالفون به إجماع المسلمين ، ويأبَوْن على مخالفيهم في الرأي هذه الحرية ، يخطِّئون كبار المجتهدين من أئمة المسلمين ويجرِّحونهم بالظنون والأوهام ، ويثورون لتخطئة ساداتهم أو مواجهتهم بالحقائق الدامغة) اهـ[1] .

● ويرهق كثير من الكتاب عقولهم في تحديد هوية أولئك المتآمرين ، وهذا لامبرر له ، إذ يكفينا أنهم (كارهون لما أنزل الله) ، فلا نبالي حينئذ أن يكونوا حقاً صنائع اليهودية أو الصليبية أو الماسونية أو الشيوعية ، لأن الكفر مهما تعددت ألوانه ، فهو كفر ، ينبغي محاربته واستئصاله ، ودين الشيطان لايعرف الجنسية .

● وهؤلاء الذين مايزالون يتعامَوْن عن رؤية الواقع الصارخ الذي يؤكد أن هناك مؤامرة وتدبيراً خفياً يستهدف القضاء على الإسلام ــ غافلون ، مخدوعون بأصحاب القفازات الحريرية الذين هم « من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » .

إن من الغباء أن نعمى عن أعداء ديننا ، بل ونتخذهم أولياء من دون المؤمنين ، وهم ــ في ذات الوقت ــ لايدخرون وسعاً في تحطيم مقومات الأمة ، وتنفيذ مخططات أعدائها :

بأبي وأمي ضاعت الأحلام ... أم ضاعت الأذهان والأفهام
من حاد عن دين النبي محمد ... ألَهُ بأمر المسلمين قيام
إن لاتكن أسيافهم مشهورة ... فينا فتلك سيوفهم أقلام[2]

● وإذا كنا بصدد الحديث عن المؤامرة على المرأة المسلمة كجزء من مشروع استعماري شامل لتغيير وجه الحياة في مصر ، واقتلاع المجتمع الإسلامي من

---

(١) (الإسلام والحضارة الغربية) للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ، ص (٤٧ ــ ٤٩) بتصرف .

(٢) (غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب) لمحمد بن أحمد السفاريني (١٤/٢) .

جذوره ، فلا ريب يستوقفنا مواقف رضعاء ألبان الغرب والشرق الذين غُسِلَتْ أدمغتهم في دهاليز الكفر ، وترعرعوا في كنف الإلحاد ، وعادوا إلى بلادنا لترتفع على أكتافهم أعمدة الهيكل العلماني ، من هنا كان لابد من وقفات معهم تبين بالوثائق والأدلة موقفهم من الإسلام وعليه موقف الإسلام منهم .

ولئن كان هناك رجال وقفوا حياتهم على هدم الإسلام ، فلابد أن يكون مصيرهم الهدم ، ومن عجيب أمر بعض السُّذَّج أنهم تأخذهم بأولئك الهدَّامين رأفةٌ في دين الله ، وينكرون على من يكشف كيدهم قائلين : « وما يدريك لعلهم تابوا !

ففلان حج أو اعتمر ، وفلان بنى مسجداً ، وفلان أعلن أنه يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم » !

نقول : هذا فهم قاصر لمعنى التوبة في حق هؤلاء ، فإن من شرط توبتهم أن يتوبوا عن مظالمهم ، ويقلعوا عن غيهم ، ويتبرأوا مما بدر منهم في حق دين الحق ، ويندموا على مابارزوا به الإسلام والمسلمين ، ويعلنوا ذلك على الملأ .

وقد يقول قائل : « لعلهم تابوا ، ولكن حيل بينهم وبين إعلان توبتهم » .

نقول : هذا محتمل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ البروج (١٠) ، وقال ﷺ : (... وإنما الأعمال بالخواتيم)[٣] ، والخواتيم مُغَيَّبة ، فلهذا كان من أصول أهل السنة عدمُ الحكم لمُعَيَّن بالجنة ، ولا الحكم على معين بالنار إلا بنص من الوحي ، ولكن هذا لم يمنعهم من أن يُجْروا أحكام الإسلام على من كان يظهر الإسلام في الدنيا ، وأحكام الكفر على من أظهره في الدنيا ، وانشرح به صدره ، ولم يمنعهم ذلك أيضاً من أن يُحَذِّروا من ضلال المُضِلِّين ، وتلبيس الملحدين مع علمهم بأن الخواتيم مغيبة ، إذ إن ذلك من واجبات الديانة .

---

(٣) قطعة من حديث رواه الشيخان ــ انظر « جامع الأصول » (١٠/٢٢٠ ــ ٢٢١) .

وحينما نعرض الوثائق التاريخية التي تنطق بإدانة أولئك المتمسلمين الذين رفعوا عقيرتهم بالصدِّ عن سبيل الله ، فإن مقصودنا الأول هو تحذير المسلمين من ضلالهم ، أما القطع بخاتمة شخص معين ، أو الحكم عليه بجنة أو نار ، فهذا لايملكه إلا العزيز الغفار .

ومن هنا يتضح لك الجواب عما رمانا به أحد « عُبَّاد الصليب » ، وقد أخذته الحمية وتدفقت من قلبه الغيرة على شخصيات تناولها البحث بالنقد ، فكتب في (الأهرام) تحت عنوان : « تشويه العظماء » :

(إن محاولات هؤلاء المتخلفين وهجماتهم لم تقتصر على أعلامنا الأحياء بل امتدت لتشمل رُوَّادنا الراحلين ، أي أن حقد المتخلفين لم يقف احتراماً للموت ، بل استطاع أن يتجاوز حواجزه حتى ينفث سمومه هناك حيث رحاب الله ، وانهالت عليهم تهم الإلحاد والكفر والزندقة ، وكأن هؤلاء المتخلفين قد ورثوا بابوات روما في العصور الوسطى المظلمة في منح صكوك الغفران لمن يحبونهم ، وحجبها عمن يحقدون عليهم !! (قلت : أنت أدرى !!) .

وقد آن الأوان ليعلم هؤلاء المتخلفون الجهلاء أن السلطة الوحيدة التي تملك حق اتهام الآخرين على وجه هذه الأرض هي السلطة القضائية ، وذلك بناءً على قرائن وشواهد محددة ، أما أن يتخيل جاهل متخلف أن في قدرته تحديدَ الذاهبين إلى الجنة ، والساقطين في الجحيم ، فإنه بهذا يتدخل في إرادة الله سبحانه وتعالى)اهـ .

ولا أجد جواباً عليه إلا أن أنقل قوله :

(ولكي ندرك خطورة مايجري الآن ، فلنا أن نتخيل حياتنا الثقافية بدون طابور رُوَّادِنا العظامِ ابتداءً برفاعة الطهطاوي ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، وهدى شعراوي ، ولطفي السيد ، وطه حسين ، ... وسلامة موسى ، ومحمد مندور ، وانتهاءً بتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وزكي نجيب محمود ،

ولويس عوض ، وأمينة السعيد ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، وحسين فوزي ، ويوسف إدريس ، وأحمد بهاء الدين ، وغيرهم ممن حملوا شعلة الثقافة المستنيرة عبر مايزيد على قرن ونصف من الزمان) اهـ .

ثم أتساءل : ماهو الذي يجمعك ياعابد الصلبان مع هؤلاء الرواد « العظام » سوى وحدة الهدف ؟

إن وثائق الإدانة لهؤلاء الرواد العظام (!) تتزاحم أمامي الآن ، كل منها يستبق ليحتل السطور القليلة في هذه المقدمة ، ولكني أرجيء أغلبها ، وأتخيَّر وثيقة واحدة ، وهي عبارة مظلمة نطق بها يوماً أحد رُوَّادك العظام ، وهو المَدْعُوُّ (أحمد بهاء الدين) قال :

(لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيامنا مواجهة شجاعة بعيداً عن اللف والدوران ، وإن الإسلام كغيره من الأديان يتضمن قيماً خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير ، أما ماجاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل ، ومن باب تنظيم حياة نزلت في مجتمع بدائي إلى حدٍّ كبير ، وَمِنْ ثَمَّ فهي لاتلزم عصرنا ومجتمعنا) اهـ(٤) .

إن الإسلام دين الله الحق لايهزم أبداً في معركة شريفة ، ولا يهاب الصراع مع الباطل أيًّا كان ، إذ :

(ليس الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي ناشئاً عن هذا الصراع ، فالصراع بين الأصيل والدخيل سنة من سنن الله العليم الحكيم ، يضرب فيها الحق والباطل ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ الرعد آية (١٧)

ليس هذا الصراع إذن مصدر خطر ، بل إنه ربما يدعو إلى التفاؤل والاطمئنان ، ولكن مصدر الخطر وعلامته هي أن يزول هذا الصراع ، وأن يفقد الناس الإحساس

(٤) انظر : (الصحافة والأقلام المسمومة) للأستاذ أنور الجندي ــ ص (٢١٤) .

بالفرق بين ماهو إسلامي وبين ماهو غربي، إن فقدان هذا الإحساس هو النذير بالخطر، لأنه يعني فقدان الإحساس بالذات، فالجماعات البشرية إنما تدرك ذاتها من طريقين معاً : من طريق وحدتها التي تكونها المفاهيم والتقاليد المشتركة، ومن طريق مخالفتها للآخرين اليت تنشأ عن المغايرة والمفارقة، ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين : الشُعوبية التي تفتتها، والعالَمية التي تُمَيِّعُها، فزوال الإحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية، وهذا هو ما لا يزيد أن يكون، نريد أن يظل هذا التمييز بين ما هو إسلامي وبين ما هو طارىء مستجلب ــ شرقياً كان أو غربياً ــ حيًّا الأجيال الصاعدة والتالية، وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله، ولابد أن يحملها إلى من يجيء بعده)[٥] .

وأخيراً، لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعان على نشر هذا الكتاب، والحمد لله أولاً وآخيراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الإسكندرية في الجمعة الثالث عشر من شهر الله المحرم ١٤٠٦هـ .

(٥) (الإسلام والحضارة الغربية) ص(٥٩ ــ ٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (النساء : ١) .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

بين يديك ـــ أيها القاريء ـــ مواقف تاريخية تبين لك فصول (المعركة) التي نشبت في أواخر القرن الماضي واستمرت أمداً بعيداً بين (الحجاب) وبين (السفور) ، بين (العفة والفضيلة) وبين (التهتك والرذيلة) .

وقد تركز البحث حول تاريخ هذه المعركة في (مصر) ، وإن كان من حقه أن يستوفي تفاصيل المعركة في سائر البقاع الإسلامية ، ولهذا الأمر مبررات :

- منها عزة المصادر المَرْضِيَّة التي يمكن من خلالها استنباط المقصود .
- ومنها أن مصر لما لها من مركز حساس ، ولما تتمتع به من صدارة تؤهلها للقيادة الفكرية ــ يقر بها الجميع ــ كانت الأسوة والقدوة في شتى المجالات بعامة ، وفي مجال (المرأة) بخاصة ، الأمر الذي جعل من فصول المعركة خارجها صورة مطابقة لما حدث فيها ، ولا ينسى التاريخ وصية الملك « عبد العزيز » لأبنائه بأن يقيسوا حال الأمة العربية قوة وضعفاً بحال مصر فهي ميزان قوة العرب والمسلمين(٦) .

ولا ينسى التاريخ أن دفاع المسلمين المصريين ضد الإنكليز وعملائهم من دعاة مايسمى بـ (تحرير المرأة) كان انطلاقاً من وجهة نظر الشاعر « أحمد محرم » التي يلخصها قوله مشيراً إلى « مصر » :

احفظوها إن مصر إن تَضِعْ ضاع في الدنيا تراثُ المسلمين

ومن هنا لم يكن عفواً أن يبدأ المبشرون الصليبيون بمصر ، قلعة الإسلام الصامدة ، ومركز ثقله ، ولم يكن عفواً أن يكون قادة الغزو الصليبي الجديد لمصر من القساوسة المعروفين بكيدهم للإسلام والمسلمين أمثال « دنلوب » هذا الكاهن الذي (خلع عنه ثوب الكهنوت ، ودخل في خدمة الحكومة يدير مدارسها في خلال ربع قرن فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة)(٧) .

---

(٦) « مدافع آية الله » لمحمد حسنين هيكل (ص٢٥٤) ، وانظر ص (١٧ ، ٢٥٢) من نفس المصدر ، وانظر أيضاً : « تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين » للشيخ عبد الله الشرقاوي المطبوع بهامش « فتوح الشام للواقدي ص (١١ ، ١٧ ــ ٢١) .

(٧) « المخاطر التي تواجه الشباب المسلم » د. « مصطفى حلمي » ص (٢٨) نقلا عن (الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية) تأليف أوجين يونج ص(١٥٧) .

وأمثال « كرومر » الذي تخرج هو ودنلوب من أكبر المدارس اللاهوتية في أوربا[٨] وغيرهم من النصارى الذين رحلوا إلى مصر ليتخذوها قاعدة انطلاق، وليجندوا زملاءهم من المنافقين والمنافقات الذين أظهروا أسماء المسلمين، وأبطنوا قلوب الذئاب ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ (البقرة : ٩)، فمن هنا جاز تجريحهم، وكشف عوارهم، تحذيراً منهم ونصيحة للمسلمين، كما بَيَّن ذلك علماءُ « الجرح والتعديل » ﴿ **ولا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ (البقرة : ١٩٣)، ولله دَرُّ القائل :

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب
ولـولا رجـال مؤمنـون لَهُـدِّمَتْ صوامع دين الله من كل جانب

هذا وقد حرصت أن أعزو ــ مااستطعت ــ كل قول إلى قائله، لأخرج من تبعته، وقصرت جهدي على الجمع والترتيب إلا فيما لابد منه من التوضيح والتهذيب .

وهذا الجزء هو الأول من مجموعة (عودة الحجاب) يتلوها إن شاء الله تعالى الأجزاء :

الثاني، وموضوعه : المرأة بين تكريم الإسلام، وإهانة الجاهلية .

والثالث، ويتضمن : مقدمة في ذم التبرج والحث على الحجاب ــ شروط زي المرأة المسلمة الاختلاط وأضراره ــ معاني الحجاب وتاريخه ــ بدعة الدعوة إلى السفور ــ السفور والغيرة ــ السفور والحياء ــ أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب انتقاب المرأة، وسرد المذاهب في ذلك، ومناقشة أدلة المخالفين .

والرابع، ويتضمن : ثلاث قضايا جامعة : تعليم المرأة، وعمل المرأة، وأحكام القرار في البيوت ــ يسر الله إتمامها .

---

(٨) « المرأة ومكانتها في الإسلام » لأحمد عبد العزيز الحصين ص (٢٠٧) .

هذا عدا مسائل أخرى تفرعت من أبواب هذا البحث تعم الحاجة إلى تبيينها وإن بعدت عن المقصود الأصلي منه، ولكن الشيء قد يذكر بالشيء، وتصح الإضافة بأدنى مشابهة في الزي والفيء، وكلها نبضات قد يعوزها الترتيب والتنسيق، ولكن أرجو ألا يعوزها الصدق والتوفيق، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل سعيي هذا مشكوراً وجهدي في هذا الجمع والترتيب ــ وإن كنت مقلاً ــ مبروراً، ويتوب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين فيما فرط منا من السيئات والذنوب، توبة لايصيبنا بعدها نصب، ولا يمسنا فيها لغوب، وحسبي بعد ذلك أن أدعو الله ألا يصرف من نيتي شيئاً إلى غيره، وأن يوفقني كي لاأبتغي بما سطرته إلا وجه الله والدار الآخرة، فإن من كان همه هناك كان في شغل شاغل عن مدح المادحين، وقدح القادحين **﴿ إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ ماستطعتُ وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه أنيب ﴾** (هود : ٨٨) والحمد لله رب العالمين.

معركة الحجاب والسفور
(قضية المرأة)
بين المنهزمين والمتآمرين[٩]

إن جملة الأحكام التي يطلق عليها عنوان (الحجاب) هي في الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء النظام الاجتماعي في الإسلام ، فإذا وضعت هذه الأحكام موضعها الصحيح في النظام الإسلامي بكامله ، ثم تأملها أحد فيه أثارة من البصيرة الفطرية السليمة ، لم يلبث أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التي تضمن القصد والاعتدال في الحياة الاجتماعية ، وأن هذه الأحكام لو عُرضت على العالم منفذة في الحياة العملية بروحها الحقيقية الصحيحة ، لهرولت الدنيا المنكوبة إلى هذا النبع الصافي ، تلتمس فيه الدواء لأدوائها الاجتماعية المتفشية بدل أن تنفر منه ، أو تطعن عليه .

في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت الممالك الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربي ، وبينما المسلمون في هجود الكرى ، لم يستيقظوا بعد كل اليقظة ، جعل هذا السيل يمتد من قطر إلى قطر ، حتى شرّق العالم الإسلامي ، وغرّب ، وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى غدت معظم الأمم المسلمة عبيداً للغرب الأوربي وخولاً له ، والتي لم تدخل منها في عبوديته ، لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورهبة بأسه وسطوته .

ولما بلغ هذا الانقلاب تمامه بدأت في المسلمين آثار اليقظة والحركة ، فلما فتحوا أعينهم على الحال التي قد صاروا إليها ، فشلت ريحهم ، وزال عنهم بغتة ذلك

(٩) مستفاد بتصرف من كتاب « الحجاب » للمودودي رحمه الله ص(٣٧ ــ ٤٧) طبع مؤسسة الرسالة .

الفخار والاعتزاز الذي طالما تأصل فيهم لبقائهم في عزِّ الغلبة ومجد السيادة قروناً متوالية ، فعادوا يفكرون في أنفسهم ، كالسكران يُفيقُهُ توالى الضربات من عدو شديد ، ويبحثون عن الأسباب التي هبطت بهم ، وغَلَّبت الإفرنج عليهم ، غير أن عقولهم لم تكن ثابتٌ بعد إلى رشدها ، إذ كان السكر لاريب قد ذهب عنهم ، ولكن ميزان الفكر كان لايزال مختلاً فيهم :

فبجانبٍ كان يلح بهم شعور بالذلة والهوان ، ويؤزهم أزًّا على تبديل ما هم فيه من الأحوال ، وبجانب آخر يغلبهم من حب الراحة وإيثار الدعة والارتخاء مايحملهم على توخي أقرب الطرق وأسهلها لتبديل تلك الحالة ، وقد خارَت فيهم من جهة ثالثة قوى الفكر والعقل ، وصدئت ملكات الفهم والذكاء بطول تعطلها عن العمل ، زد على ذلك كله ماأخذ بمجامع نفوسهم من الدهشة والروعة التي تعتري بالطبع كل أمة منهزمة مستعبدة ، وتغلغلت هذه العوامل في محبي الإصلاح من المسلمين ، وأوقعتهم في كثير من الضلالات العقلية والعملية ، فأكثرهم ماكادوا يفطنون للأسباب الحقيقية في ارتقاء أوربة وانحطاطهم ، وأما الذين فهموها منهم وأدركوها ، فأعوزهم من بُعْدِ الهمة والعزيمة مايتشجعون به على اختيار الطريق الوعرة للرقي والتقدم ، وكان من وراء ذلك كله الروعة والدهشة التي تعتري الطائفتين على السواء ، فلما مضوا بهذه العقلية المريضة الزائفة يريدون الإصلاح ، لم يروا أضمن للرقي ولا أدنى للوصول إليه من أن يحاكوا في حياتهم اليومية كل مظاهر التمدن والحضارة الغربية ، فيعودوا كالمرآة الصافية ، يُرى فيها خيال الروضة والأزهار والرياحين ، وليس فيها من حقيقة هذه المناظر من شيء .

« لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم »(١٠) :

وهذه هي الفترة الانهزامية التي غدت الأمم الإسلامية فيها تحاكي أمم الغرب

---

(١٠) صدر حديث رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وتتمته : =

في الزي واللباس ، وسائر المظاهر الاجتماعية ، في آداب المجالس وأطوار الحياة ، حتى في الحركة والمشي والتكلم والنطق ، لقد حاولوا تشكيل المجتمع المسلم على الصيغة الغربية ، وقبلوا الإلحاد والدهرية والمادية في نشوة التجدد ، بدون حيطة أو شعور بالعواقب ، وعَدُّوا من لوازم التنور الفكري إيمان المرء بكل مابلغه من قِبَل الغرب من فكرة ناضجة أو فجة ، والإفاضة فيه في مجالسه ، ورحبوا بالخمر والقمار واليانصيب والتهتك والرقص ، وما إلى ذلك من ثمرات الحضارة الغربية ، ثم سلّموا بجميع معتقدات الغرب وأعماله في الأخلاق والآداب والاجتماع والاقتصاد والسياسة والقانون ، حتى في العقائد الإيمانية والعبادات ، سلّموا بكل ذلك من غير فهم أو شعور ، ومن غير نقد أو تجريح ، كأنه تنزيل من السماء ليس لهم قِبَلَهُ إلا أن يقولوا : (آمنا) ، وأصبح المسلمون أنفسهم يستحيون من كل مانظر إليه أعداء الإسلام بالتحقير والتعيير ، ولو كان هذا الشيء من الأمور الثابتة في الشرع الحنيف ، وطفقوا يحاولون أن يمحوا تلك السُّبَّةَ عن أنفسهم :

ــ اعترض الغربيون على ماعندهم من أحكام الجهاد ، فقال هؤلاء المنهزمون : (مالنا وللجهاد ياسادة ؟ إنا نعوذ بالله من هذه الهمجية) ...

ــ اعترضوا على الرق ، فقال هؤلاء : (إنما هو حرام عندنا أصلاً)(١١) .

ــ وأطالوا لسان القدح في تعدد الزوجات ، فجاء المنهزمون ينسخون بضلالهم وجهلهم آيات القرآن ، ويحرفون الكلم عن مواضعه(١٢) .

ــ ثم قال أولئك الغربيون : (لابد من مساواة الرجل والمرأة في جميع نواحي

= (... شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لتبعتموهم ، قلنا : يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) .

(١١) انظر « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » للشنقيطي (٣/٣٨٦ ــ ٣٨٩) .

(١٢) انظر المرجع السابق (٣/٣٧٧ ــ ٣٨٠) .

الحياة) ، فوافقهم المنهزمون ، وقالوا : (وهذا هو الذي ينادي به ديننا ، ويدعو إليه) .

ــ وطعن القوم في أحكام الزواج والطلاق في الإسلام ، فقامت طائفة من المنهزمين تعالجها بالإصلاح والتعديل .

ــ ولما عابوا الإسلام بأنه عدو لما يسمى (الفنون الجميلة) ، استدرك هؤلاء قائلين : (كلا ، بل مازال الإسلام مذ كان ، يحتضن هذه الفنون ويحض عليها ، ويشرف على الرقص والموسيقى والتصوير والغناء ونحت التماثيل ...)

ففي سبيل دفع تهم الجمود التي يلصقها الغربيون بالشريعة رأينا هؤلاء المنهزمين ينجرفون إلى أقصى الطرف المناقض في بيان ماتنطوي عليه الشريعة من مرونة التطبيق ، حتى يبلغوا بهذه المرونة حدّ الميوعة ، وانعدام الذات والمقومات ، تلك الميوعة التي تجعلها صالحة لأن تكون ذيلاً لأي نظام ، وتبعاً للأهواء ، وبذلك ينتهون إلى إلغاء وظيفة الدين، لأنهم بدلاً من تقويم عِوَج الحياة بنصوص الشريعة يحتالون على نصوص الشريعة حتى يبرروا بها عوج الحياة المعاصرة .

نشأة « مسألة الحجاب » :

كان هذا الدور أخبث الأدوار وأخزاها في تاريخ المسلمين ، ففي هذا العصر نشأت (مسألة الحجاب) ، ولو كان البحث في هذه المسألة مقصوراً على تعيين الحد الذي وضعه الإسلام لحرية المرأة ، لهان الأمر ، ولم يستعص حله ، لأن أكثر ماهنالك من الاختلاف بين المسلمين في هذا الباب هو منحصر في وجه المرأة ويديها : هل يجوز إبداؤها أم لا ؟ وليس في هذا كبير خطورة ، ولكن الواقع ههنا غير ماذكرنا .

الواقع في الحقيقة أنه نشأت هذه المسألة في المسلمين لكون الغرب قد نظر

إلى الحجاب والنقاب بعين المقت والازدراء ، وصوره أقبح تصوير وأشنعه فيما كتب ونشر ، وعدَّ (حبس) المرأة ــ على حد تعبيره ــ من أبرز عيوب الإسلام ، ولكن أنّى للمنهزمين أن يغضوا عن هذه النقيصة التي أخذها (سادتهم) عليهم فيما أخذوا ؟! لقد فعلوا في هذه المسألة ــ الحجاب ــ مثل مافعلوا في مسائل الجهاد والرق وتعدد الزوجات ، وما شاكلها من المسائل ، فما كان منهم إلا أن عمدوا إلى الكتاب والسنة يتصفحون أوراقهما ، وإلى كتب الفقه والأحكام ينقبون عن اجتهادات الأئمة فيها ، وأقوال الفقهاء ، لعلهم يجدون في ثناياها مايعينهم على أن يغسلوا عن أنفسهم هذا العار الذميم الذي عيَّرهم به الغربيون .

فإذا بهم يقعون على أقوال لبعض الأئمة تجيز للمرأة أن تبدي وجهها وكفيها ، وتخرج كذلك من بيتها لحوائجها ، ويؤخذ منها أيضاً أن المرأة يجوز لها أن تشهد الحرب لسقي المجاهدين ومداواة الجرحى ، ثم وجدوا في تلك الأقوال إذناً بخروج المرأة إلى المسجد للصلاة ، وجلوسها للتعلم والتعليم ، فكفاهم هذا القدر من المعلومات لأن يدَّعوا أن الإسلام قد أعطى للمرأة حرية مطلقة(١٣) ، وأن الحجاب من تقاليد الجهلاء ، اتخذه المتأخرون من المسلمين الجامدين المتشددين ، ولا أثر له في آية ولا في حديث ، وإنما القرآن والسنة يعلمان الحياء والعفاف على سبيل التوجيه الخلقي العام ، وليس فيهما قانون أو ضابط يقيد حركة المرأة وتنقلها بقيد ما .

ومن الضعف الطبيعي في الإنسان أنه إذا اختار مذهباً من المذاهب في شؤون حياته يكون بدء اختياره لذلك المذهب بنزعة عاطفية غير عقلية ، ثم يأتي بعد ذلك فيستعين بالمنطق والعقل ليثبت كون نزعته تلك صحيحة معقولة ، كذلك وقع في أمر الحجاب أيضاً ، فما عرضت للمسلمين مسألة الحجاب لشعورهم بضرورة عقلية أو شرعية إليه ، وإنما أتت من ذلك الميل والنزوع الذي نشأ من تأثرهم ببريق

(١٣) يأتي في ثنايا هذا البحث إبطال هذه الادعاءات ومناقشة شبهات القوم إن شاء الله تعالى .

حضارة أمة غالية ، ومن ارتياعهم لدعاية تلك الأمة ضد التمدن الإسلامي .

وذلك أن المُسَمَّيْنَ برجال (الإصلاح) لما رأوا المرأة الأوربية وما هي عليه من زينة وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في المجتمع الغربي .. لما رأوا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة ، تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً ، حتى يجاري تمدنهم تمدن الغرب ، ثم أثرت فيهم الدعوات الجديدة إلى تحرير المرأة وتعليم النساء ، ومساواتهن بالرجال .. تلك الدعوات التي كانت تنصبُّ عليهم كالوابل المدرار بلغة قوية منطقية ، وفي طبع أنيق جذاب ، حتى أماتت هذه الكتب والمنشورات الغربية بقوة دعايتها ملكة النقد والتجريح عندهم ، فاستقر في سويداء قلوبهم أنه لابد لكل من يرغب أن يُعَدَّ من (المتنورين التقدميين) ويدفع عن نفسه تهمة (الرجعية والتخلف) أن يؤمن بتلك النظريات إيمانه بالغيب ، ويؤيدها ، ويحامي عنها فيما يكتب ويخطب ، ثم يروجها في الحياة العملية بحسب ماأوتي من همة وجراءة ، كان هؤلاء تكاد تسوح بهم الأرض من فرط الخجل حينما يرون الغربيين يتهكمون بنسائهم المتنقبات المستورات في اللباس العادي ، وينبذونهن بـ(الجنائز المكفنة المتحركة) ، وإلى متى — يا ترى — يطيق القوم الصبر على هذه الوخزات ؟ .. لذلك استعدوا آخر الأمر — طوعاً أو كرهاً — لأن يقوموا فيدفعوا عن أنفسهم هذا العار المخزي .

وهذه النزعات والعواطف هي التي دفعت المنهزمين إلى أن يقوموا بحركة مايسمى : (تحرير المرأة) التي بدأوها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، فمنهم من كانت هذه النزعات كامنة في شعورهم الخفي ، فلا يدرون بأنفسهم ماذا يجرهم ، ويدفعهم إلى تلك الحركة ، فكانوا مخدوعين عن أنفسهم ، ومنهم آخرون كانوا يشعرون بنزعاتهم شعوراً تاماً ، ولكنهم يستحيون ، ويحجمون عن إبداء نزعاتهم الحقيقية ، فهؤلاء لم يكونوا مخدوعين بل دهاة خادعين ، وأيًّا كان الأمر فقد قام

كلا الفريقين بعمل واحد ألا وهو : سحب ذيل الخفاء على المحركات والدوافع الحقيقية لحركته تلك ، وحاول أن يظهرها بمظهر حركة عقلية بدلاً من إظهارها حركة عاطفية ، وساق في تأييدها جميع الأدلة التي تلقاها من الغرب مباشرة كصحة النساء ، وارتقائهن في مجالي الفكر والعمل ، وحقوقهن الفطرية ، واستقلالهن الاقتصادي ، وتخلصهن من ظلم الرجال وأثرتهم ، وانحصار رقي المدنية في رُقِيِّهن ، لكونهن شطراً كاملاً من الأمة ... إلى آخر هذه الحجج ، وحتى ينخدع عامة المسلمين ، ولا يفتضح عليهم صميم المقصد من تلك الحركة ، وهو حمل المرأة المسلمة على اقتفاء آثار المرأة الأوربية واتباع المناهج الاجتماعية الرائجة بين أمم الغرب أعني : اليهود والنصارى ... ولكن الأدهى والأخبث أنهم عادوا يخدعون الناس في هذا الصدد عن طريق احتيالهم في إثبات حركتهم الضالة بنصوص واستنباطات من الكتاب والسنة ، بالرغم من وجود البون الشاسع بين المنهج الإسلامي الرباني في الاجتماع ومقاصد هذه الشريعة العليا ، وبين مباديء النظام الاجتماعي الأوربي ومقاصده .

فإن المقصد الأعلى الذي يريد أن يحققه الاسلام من خلال نظامة الاجتماعي هو صون الأعراض ، وكبح جماح الشهوات ، وترويضها وضبطها وتقييدها بضوابط أخلاقية تضمن استعمالها في خير الإنسان وطهارته ، بدل إهمالها أو تضييعها في الفوضى والهمجية .

وأما النظام الاجتماعي الغربي فعلى العكس من ذلك يرمي إلى الحث على سير التمدن بإشراك المرأة والرجل في تدبير شؤون الحياة ، وتحمُّل تبعاتها على حدٍّ سواء ، واستعمال الشهوات في فنون ووسائل تحول متاعب الحياة إلى لذات ومسرات .

ومن هنا يتضح الفرق ، إذ إن الإسلام يضع نظاما للاجتماع ليخدم مقاصده ،

قد فُصل فيه بين دائرتي عمل الرجل والمرأة إلى حدٍّ كبير ، وحُظر اختلاط الذكور بالإناث بدون قيد خلقي ، ثم حسمت فيه جميع الأسباب التي يمكن أن تخل بهذا الضبط والتقييد ، وبذلك تجفف منابع الفتنة ، وتسد الذرائع إليها ، وتراعى حرمات الله وتؤدى حقوقه سبحانه وتعالى ، وكذا حقوق النفس وحقوق الخلق في انسجام فطري وتناسق طبيعي ، وهذا بخلاف النظام الأوربي الذي يدفع الجنسين إلى ميدان مشترك في الحياة ، مع رفع جميع الحجب من بينهما ، تلك الحجب التي تحول دون اختلاطهما الحر ، ومعاملتهما المطلقة التي لاتحدها حدود .

ولك أن تقدر شدة مكر القوم الذين يريدون من جانبهم أن يتبعوا التمدن الغربي ، ثم يبررون فعلهم هذا بقواعد النظام الإسلامي الاجتماعي .

إن أقصى ماأوتيت المرأة من الحرية في النظام الإسلامي هو أن تبدي وجهها وكفيها إذا دعت الضرورة ، وأن تخرج من بيتها لحاجتها ، ولكن هؤلاء يجعلون هذا الحد الأقصى من حريتها نقطة البدء وبداية المسير ، فيقومون إلى آخر حدود الإسلام ، ويتقدمون في سبيل الحرية ، ويتمادون إلى أن يخلعوا عن أنفسهم ثوب الحياء والاحتشام ، فلا يقف الأمر بإناثهم عند إبداء الوجه والكفين ، بل يجاوزه إلى تعرية الشعر والذراع والنحر إلى آخر هذه الهيأة القبيحة المعروفة ، وهي الهيأة التي لاتخص بها المرأة الأزواج والأخوات والمحارم فقط ، بل يخرجن بكل تبرج من بيوتهن ، ويمشين في الأسواق ، ويخالطن الرجال في الجامعات ، ويأتين الفنادق والمسارح ، ويتبسطن مع الرجال الأجانب ...

ثم يأتي القوم فيحملون رخصة الإسلام للمرأة في الخروج من البيت للحاجة وهي الرخصة المشروطة بالتستر والتعفف على أنها يحل لها أن تغدو وتروح في الطرقات ، وتتردد إلى المنتزهات والملاعب والسينما في أبهى زينة ، وأفتنها للناظرين ، ثم يُتَّخَذُ إذن الإسلام لها في ممارسة أمور غير الشؤون المنزلية ــ ذلك الإذن

المقيد المشروط بأحوال خاصة ـــ يتخذ حجة ودليلاً على أن تودِّع المرأة المسلمة جميع تبعات الحياة المنزلية ، وتدخل في النشاط السياسي والاقتصادي والعمراني تماماً وحذو القُذَّة بالقذة كما فعلت الإفرنجية .

وهاهو ذا المودودي ـــ رحمه الله ـــ يصرخ في وجوه هؤلاء الأحرار في سياستهم ، العبيد في عقليتهم قائلاً :

(ولا ندري أيُّ القرآن أو الحديث يُستخرج منه جواز هذا النمط المبتذل من الحياة ؟ وإنكم ـــ ياإخوان التجدد ـــ إن شاء أحدكم أن يتبع غير سبيل الإسلام فهلا يجترىء ويصرح بأنه يريد أن يبغي على الإسلام ، ويتفلت من شرائعه ؟ وهلا يربأ بنفسه عن هذا النفاق الذميم والخيانة الوقحة التي تزيِّن له أن يتبع علناً ذلك النظام الاجتماعي ، وذلك النمط من الحياة الذي يحرِّمه الإسلام شكلاً وموضوعاً ، ثم يخطو الخطوة الأولى في هذا السبيل باسم اتباع القرآن كي ينخدع به الناس فيحسبوا أن خطواته التالية موافقة للقرآن)اهـ .

حركة « تحرير المرأة » في مصر

البذرة الأولى :

(إن المتتبع لتاريخ مايسمى بحركة « تحرير المرأة » في مصر ، يجد أن جذور هذه الحركة تمتد إلى عهد محمد علي باشا والي مصر ، حينما بعث المبعوثين إلى فرنسا ليتلقوا هناك الخبرات والمهارات الفنية ثم يحملوها معهم إلى مصر ، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل رجع المبعوثون من فرنسا حاملين تيارات فكرية مادية دخيلة على دينهم ، بعد أن بهرتهم رهبانية العلم المادي ، وتعبدهم سلطان العقل ، لقد عاد أولئك المبعوثون يحتلون مراكز الصدارة والتوجيه في مختلف الميادين السياسية والتربوية والفكرية)[١٤] .

دور الشيخ « رفاعة الطهطاوي » (١٨٠١ ــ ١٨٧٣م) :

[وكان من أعضاء الجيل الأول لهؤلاء المبعوثين الشيخ « رفاعة رافع الطهطاوي » ، الذي أقام في باريس خمس سنوات « من ١٨٢٦ ــ ١٨٣١م» تقريباً ، وكان قد رافق البعثة المصرية كواعظ وإمام لها ، وما إن عاد إلى مصر حتى بدأ يبذر البذور الأولى لكثير من الدعوات الدخيلة على البيئة المصرية المسلمة ، تلك الدعوات التي حمل جراثيمها معه من فرنسا ، مثل الدعوة إلى فكرة « الوطنية القومية » بمفهومها المادي المحدود المنابذ للرابطة الإسلامية بين المسلمين مهما تباعدت أوطانهم ، وكذا استوحى من واقع الحياة الفرنسية أفكاراً عن المرأة هي أبعد

---

(١٠٤) انظر « الإسلام والحضارة الغربية » للدكتور « محمد محمد حسين » رحمه الله ص(١٧ ــ ١٨) .

ماتكون عن شرائع الإسلام وآدابه ، وقد تجلى ذلك في مواقفه الجريئة من قضايا تعليم الفتاة ، وتعدد الزوجات ، وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين ، حيث ادَّعى في كتابه « تخليص الإبريز في تلخيص باريز »[١٥] (ص٣٠٥) أن (السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد) اهـ ، وذلك ليبرر دعوته إلى (الاقتداء بالفرنسيين حتى في إنشاء المسارح والمراقص) ، مدعياً أن (الرقص على الطريقة الأوربية ليس من الفسق في شيء ، بل هو أناقة ، وفتوة) وأنه لايخرج عن قوانين الحياء ، ودعا المرأة إلى التعلم حتى تتمكن من تعاطي الأشغال والأعمال التي يتعاطاها الرجال][١٦] .

وهكذا كان « رفاعة الطهطاوي » أول من أثار قضية (تحرير المرأة) في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي ، فسنَّ بذلك أسوأ السنن ، وبذر هذه الأفكار الدخيلة في التربية الإسلامية ، ولم يدرك أنه حين ينقل هذه الآراء خاصة مايتعلق منها بمدلول كلمة « الحرية » إلى المجتمع الإسلامي يمكن أن ينتهي إلى نفس النتيجة التي انتهت إليها أوربة وهي : نبذ الدين ، وتسفيه رجاله ، والخروج على حدوده ، لم يدرك ذلك ، ولم يلاحظ إلا الجانب البرَّاق الذي يأخذ نظر المحروم من الحرية ، حين تمارس في مختلف صورها وألوانها ، وفي أوسع حدودها ، فكان كالجائع المحروم الذي بهرته مائدة حافلة بألوان الأطعمة ، فيها مايلائمه ، وما لايلائمه ، ولكنه

---

(١٥) (وقد كتب الطهطاوي هذا الكتاب أثناء إقامته في فرنسا ، وعرضه على أستاذه (جومار) قبل أن ينشره بعد عودته) اهـ . من « السابق » ص(١٩ ــ ٢٠) .

(وقد بين لنا هذا الكتاب ــ أي : « تخليص الإبريز » ــ أن صاحبه خلق من جديد في الفترة التي قضاها في فرنسا ، يأنس إلى علمائها ، ويأنسون إليه ، فإذا عاد إلى القاهرة أشرف على حركة الترجمة ، وعُيِّن رئيساً لتحرير الوقائع المصرية ، وكتب المقالات ، وألف الكتب وترجم القوانين ، وعُيِّن ناظراً لمدرسة الألسن) اهـ من « تطور النهضة النسائية في مصر » « لإبراهيم عبده » ، و « درية شفيق » ص(٥٣) .

(١٦) « الإسلام والحضارة الغربية » د. محمد محمد حسين ص(٣٦) .

لم ينظر إليها إلا بعين حرمانه ، ولم يرها إلا صورة من النعيم الذي يتوق إليه ، ويشتهيه .

(وكانت دعوة جريئة من « رفاعة » ، لم يجد لها معارضاً خاصة وأن حاكم البلاد ، قد بارك دعوته ، وبارك أول كتاب وضعه « رفاعة » وهو « تخليص الإبريز في تلخيص باريز » يبرز فيه تقدم الغرب ، ويُحَسِّن لمواطنيه الانتفاع بتقدمه ، وأكثر من هذا فقد قرأ « محمد علي » الكتاب قبل نشره ـــ بناء على تزكية له من الشيخ « حسن العطار » شيخ الأزهر ـــ فأمر بطبعه ، وأصدر أمره بقراءته في قصوره ، وتوزيعه على الدواوين ، والمواظبة على تلاوته ، والانتفاع به في المدارس المصرية ، بل إنه أمر بعد ذلك بترجمته إلى التركية)[١٧] اهـ .

لقد كان « رفاعة » أول من وضع الأفكار النظرية موضع التنفيذ ، وأول من أنتج عملاً فكرياً يمهد لخطة اجتماعية عملية ، وتجلى ذلك في مؤلفيه (تخليص الإبريز) و (المرشد الأمين) الذي ألفه بناءً على أمر الخديوي « إسماعيل » وذلك عام (١٨٧٢) قبل افتتاح أول مدرسة للبنات ترعاها الحكومة بعام واحد ، وقبل موت « رفاعة » بأعوام قليلة ، ولما كان الخديوي « إسماعيل » يقود ـــ في بداية تلك المرحلة ـــ حركة التحديث في كل الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية ، فقد حاول بعد ذلك أن يقنع أهل الرأي بتأليف كتاب في الحقوق والعقوبات يطبقه في المحاكم ، بحيث يكون سهل العبارة ، مرتب المسائل على نحو ترتيب القوانين الأوربية ، ولكن رفض أهل الرأي من مشايخ الأزهر هذه الدعوة ، فطلب الخديوي من الشيخ « رفاعة » إقناعهم بقبول ذلك ، ولكنه اعتذر عن ذلك على الوجه الذي وصفه الشيخ « رشيد رضا » في كتاب تاريخ الإمام « محمد عبده » على الوجه التالي :

---

(١٧) « المؤامرة على المرأة المسلمة » د . السيد أحمد فرج ص(٣٨) .

قال الشيخ « رشيد » (حدثني « على باشا رفاعة بن رفاعة بك الطهطاوي » قال : إن « إسماعيل باشا » الخديوي لما ضاق بالمشايخ ذرعاً، استحضر والده « رفاعة بك » ، وعهد إليه أن يجتهد في إقناع شيخ الأزهر وغيره من كبار الشيوخ بإجابة هذا الطلب ، وقال له : « إنك منهم ، ونشأت معهم ، وأنت أقدر على إقناعهم ، فأخبرهم أن أوربا تضطرب إذا هم لم يستجيبوا إلى الحكم بشريعة « نابليون » فأجابه بقوله : « إنني يامولاي قد شخت ، ولم يطعن أحد في ديني ، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في آخر حياتي ، وأقلني من هذا الأمر ، فأقاله)[١٨] .

وكان أن انزوى « الطهطاوي » ، بعيداً عن مكان الصدارة ، وانتأى بعيداً ، ليحتل مكانه الشيخ « محمد عبده » الذي كان في ذلك الوقت في شرخ الشباب ، يحدوه جرأة الشباب وإقدامه ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل « تحرير المرأة » .

مرقص فهمي والقذيفة الأولى :

وفي سنة (١٨٩٤) ، أي بعد الاحتلال الإنكليزي لمصر بحوالي اثنتي عشرة سنة ، ظهر أول كتاب في مصر أصدره صليبي حقود من أولياء (كرومر) الملقب باللورد ، أظهره محتمياً بالنفوذ البريطاني الذي أمّن له الطريق نحو طعن الإسلام وأهله ، ذلكم هو (مرقص فهمي) المحامي ، وكتابه هو (المرأة في الشرق) ، دعا فيه صراحة، وللمرة الأولى في تاريخ المرأة المسلمة إلى تحقيق أهداف خمسة محددة وهي :

أولاً : القضاء على الحجاب الإسلامي .

---

(١٨) « تاريخ الإمام محمد عبده » للشيخ « محمد رشيد رضا » (١/ ٦٢٠ ــ ٦٢١) .

ثانياً : إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثا : تقييد الطلاق ، وإيجاب وقوعه أمام القاضي .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط .

وقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة ، ولم يلبث المسلمون حين صدموا به حتى انطلقت في غمرات هذه الضجة قذيفة أخرى تفجرت في الوسط الإسلامي :

« الدوق داركير » و « المصريون » :

فقد صدر كتاب ألفه (الدوق داركير)[١٩] باسم (المصريون) ، حمل فيه على نساء مصر ، وهاجم المصريين ، وتعدى على الإسلام ، ونال من الحجاب الإسلامي ، وقرار المرأة المسلمة في البيت ، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ، ورعاية الزوج ، وقد هاجم (المثقفين) المصريين بصفة خاصة لسكوتهم ، وعدم تمردهم على هذه الأوضاع .

(وقد بدأ الاستعمار الإنكليزي إثر هذه الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر « مرقص فهمي » ، فلجأ إلى الأميرة (نازلي فاضل)[٢٠] ليستعجلها على عمل شيء يساند « مرقص فهمي » من خلال صالونها)[٢١] .

---

(١٩) وكان داركير قد زار مصر ثلاث مرات سائحاً عابراً في خريف عام (١٨٩٣م) .

(٢٠) وهي ابنة الأمير « مصطفى فاضل » باشا نجل « إبراهيم » باشا ابن « محمد علي » باشا الكبير ، كان والدها « مصطفى فاضل » يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من الخديوي إسماعيل ، ومن هنا كانت الأميرة نازلي تعلن الحرب على الخديوي عباس) اهـ من جريدة المساء ، الخميس (٤ أغسطس ١٩٨٣م) من مقالة (هل انتحر محرر المرأة بسبب امرأة ؟) للصحافي « مصطفى أمين » .

(٢١) « الحركات النسائية في الشرق » لمحمد فهمي عبد الوهاب ص(١٣ ــ ١٤) طبعة دار الاعتصام .

الجـــــــذور [٢٢]

كانت دعوة « تحرير المرأة » جزءاً من منهج كلي شمل كافة اتجاهات الحياة في المجتمع المصري ، وتعود خيوطه إلى مدرسة الشيخ « محمد عبده » تلميذ « جمال الدين الأفغاني » أو إن شئت « المتأفغن » [٢٣] ، وقد سارا على الدرب الذي رسمه الطهطاوي ، وزاد الأفغاني نشاطه المريب ، وعلاقاته بالمحافل الماسونية ، وتبنيه لمبادىء الثورة الفرنسية « الماسونية » [٥] .

ومع وجود بعض الجوانب المشرقة في منهاج « محمد عبده » إلا أننا لانستطيع أن نتجاهل نشاطهِ حيث كان له أخطر الأثر في عملية « التغريب » وتقريب الأمة الإسلامية نحو القيم الغربية ، مما جعل اللورد كرومر يشيد بدعوته وبتلامذته ، ويعلق عليهم أمله في « تغريب » المجتمع المصري ، ويذكر أنهم لذلك يستحقون (أن يعاونوا بكل ماهو مستطاع من عطف الأوربي وتشجيعه) اهـ .

ويكفي للتدليل على خطر هذه المدرسة أن نُقرر دور تلاميذها في إفساد الحياة في مصر :

فهذا (لطفي السيد) يحيي التاريخ الفرعوني ، والنعرة الوطنية الإقليمية ، ويرعى الدعوة إلى « الحرية » بمفهومها الغربي الدخيل على الأمة الإسلامية .

(٢٢) انظر « الإسلام والحضارة الغربية » ص(٤١ ـــ ١٠٠)، و « قاسم أمين » للدكتور « ماهر حسن فهمي » ص (١٩ ـــ ٢٠) .

(٢٣) هنالكَ خلاف منتشر في حقيقة نسب الأفغاني هل هو حقاً أفغاني أم أنه شيعي إيراني ، انظر (المجلة) العدد ٣/٢٣٣أغسطس ١٩٨٤م/ ٧ ذو القعدة ١٤٠٤هـ ـــ ص(٦١ ـــ ٦٣) ، وانظر أيضاً (الإسلام والحضارة الغربية) ص(٦١ ـــ ٦٣) .

(٥) انظر : (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام) للأستاذ مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال ، نشر (دار طيبة) ـــ الرياض ، وهي دارسة كشفت كثيراً من جوانب الغموض في سيرته .

وهي كلها مباديء بلغت مداها على يد تلميذ آخر لمحمد عبده هو (سعد زغلول) .

وهذا تلميذه (قاسم أمين) يفسد الحياة الاجتماعية في مصر بدعوته إلى « تحرير المرأة » بالمعنى الذي يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

لقد كان يريد « محمد عبده » أن يقيم سداً في وجه التيار العَلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه ، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية ، عبرت عليه إلى العالم الإسلامي ، لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر ، ثم جاء فريق من تلاميذ « محمد عبده » وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العَلمانية (اللادينية) .

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر مايكون عقوقا

قاسم أمين (١٨٦٥م ـ ١٩٠٨م)

فتنة الأجيال، وداعية السفور في عهد الاحتلال

(ولد « قاسم أمين » في أول ديسمبر عام ١٨٦٣م بالإسكندرية ، والتحق بمدرسة رأس التين الابتدائية بالإسكندرية ، وكانت تقع بحي رأس التين إلى جوار السراي)[٢٤] .

وقيل (إن أباه « محمد بك أمين » من أصل كردي[٢٥] ، وقيل : (بل أصل الأسرة تركي ، وإن بعض أفراد أسرة « محمد بك أمين » قد ولي « السليمانية » من أعمال العراق ، وبقيت الأسرة ردحاً من الزمن تقوم بهذه الولاية ، حتى ظُنَّ أنها كردية ، وممن صحح هذا « أحمد خاكي » في كتابه « قاسم أمين »)[٢٦] .

(وكان أبوه قد أخذ رهينة في الأستانة على أثر خلاف وقع بين الدولة العلية والأكراد ، ثم جاء إلى مصر في عهد إسماعيل باشا ، وانتظم في الجيش المصري ، ورقي إلى رتبة أميرالاي ، وتزوج بكريمة « أحمد بك خطاب » شقيق « إبراهيم باشا خطاب » فولدت له أولاداً كان أكبرهم « قاسم »)[٢٧] .

(وفي سنة ١٨٨١م نال قاسم إجازة الحقوق ، ثم عمل بمكتب صديق والده التركي « مصطفى فهمي » المحامي)[٢٨] ، (وانضم للكوكبة التي كانت تحيط

---

(٢٤) (قاسم أمين) تأليف د. ماهر حسن فهمي ص(٣٠) .

(٢٥) (بناة النهضة العربية) تأليف جرجي زيدان ص(٩٩) .

(٢٦) (قاسم أمين) تأليف د. ماهر حسن فهمي ص(٢٨) .

(٢٧) (بناة النهضة العربية) ص(٩٩) .

(٢٨) (قاسم أمين) للدكتور ماهر حسن فهمي ص(٣٣) .

بجمال الدين الأفغاني ، حيث التقى بمحمد عبده وسعد زغلول ومحمد فتحي زغلول وعبد الله النديم وأديب إسحاق وغيرهم)[٢٩] .

رحل « قاسم » إلى فرنسا ليتم تعليمه هناك ، وانبهر بالحياة في أوربا حتى أنه صرح بأن (أكبر الأسباب في « انحطاط » الأمة المصرية ، تأخرها في الفنون الجميلة التمثيل والتصوير والموسيقى)[٣٠] ، (وبعد أن كان يقر العامة حين يقولون : « مصر أم الدنيا » فإنه الآن في باريس يقول إنَّ الأصح أن تُسَمَّى « خادمة الدنيا »)[٣١] .

(ويتعرف قاسم على صديقته الفرنسية « سلافا » التي تصاحبه إلى المجتمعات الفرنسية والحفلات ويتعرف إلى كثير من الأسر ، وتقوى العلاقة بينهما ، فبينما كان يقرأ في مصر مقدمة « ابن خلدون » وإحياء العلوم « للغزالي » والأغاني ، نجده في فرنسا يقرأ مع زميلته حكم « لارشفوكو » ، وشعر « لامارتين » وفلسفة « فنلون » و « رينان » ، وأعمال « فولتير » و « روسو » و « سبنسر » وغيرهم)[٣٢] .

(وكانت في فرنسا في الوقت نفسه حركة نسائية كما كانت في إنكلترا وأمريكا حركة نسائية أخرى ..)[٣٣] .

(كل هذه الأفكار تأثر بها مصري يعيش في قلب باريس، في قلب هذه النظريات)[٣٤] .

---

(٢٩) (قاسم أمين) لأحمد خاكي ص(٤٥) .

(٣٠) (كلمات) تأليف قاسم أمين ص (٢٤) .

(٣١) (قاسم أمين) للدكتور ماهر فهمي ص (٤٤) .

(٣٢) السابق ص (٤٠ — ٤١) .

(٣٣) السابق ص (٤٣) .

(٣٤) السابق ص (٤٣) .

(وفي هذا الوسط اضطرب قاسم المسلم الشرقي)[٣٥] .

(والتقى قاسم في فرنسا بالأفغاني ومحمد عبده ، وانضم إلى جمعية « العروة الوثقى » واتخذه محمد عبده مترجما له)[٣٦] .

(وبعد أن أتم قاسم دراسته في فرنسا طلب إليه أستاذه « لرنود » أن يعمل معه بضعة شهور يكتسب فيها خبرات عملية ، ووافق قاسم أمين)[٣٧] .

الخطوة الأولى :

رَدُّه على « داركير »

قرأ « قاسم أمين » كتاب « داركير » عن المصريين ، فتألم أشد الألم حتى قيل : إنه مرض عشرة أيام بعد قراءته لشدة تأثره ، فحاول أن يدافع عن المصريين والإسلام ، وألف ردًّا بالفرنسية ، حاول فيه تفنيد اتهاماته لمصر والمصريين ، وبين فيه فضائل الإسلام على المرأة المصرية ، ورفع من شأن الحجاب ، وعده دليلاً على كمال المرأة ، وحاول شرح الحكمة الإيجابية في قوانين الشرع الإسلامي ، إلا أن دفاعه قد بدا تبريرياً ، وشرحه قد اتسم بالخنوع والذلة فيقول ، وكأنه يناشد داركير أن يعتبر « الإسلام » في مرتبة « النصرانية » و « المجوسية » : (إن الإسلام دين خلقي ، لايقل عن المجوسية ولا عن المسيحية ، وإن روح القرآن لاتختلف عن الروح الإنجيلية)[٣٨] اهـ . ويقول أيضاً : (... ولهذا كان أمامها ــ أي مصر ــ طريقان : العودة إلى تقاليد الإسلام ، أو محاكاة أوربا ، وقد اختارت الطريق

---

(٣٥) السابق ص (٤٥) .

(٣٦) السابق ص (٤٧) .

(٣٧) السابق ص (٥١) .

(٣٨) (قاسم أمين ــ الأعمال الكاملة) تحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦ ــ (ج١/ص٢١٧) .

الثاني ... إنها قد خطت اليوم بعيداً في هذا الطريق حتى ليصعب عليها الارتداد عنه ، إن مصر تتحول إلى بلدٍ أوربي بطريقة تثير الدهشة وقد أخذت إدارتها وأبنيتها وآثارها وشوارعها وعاداتها ولغتها وأدبها وذوقها وغذاؤها وثيابها تتسم كلها بطابع أوربي ... لقد اعتاد المصريون قضاء الصيف في أوربا (؟!) كما اعتاد الأوربيون قضاء الشتاء في مصر ، فلعل أوربا تقدر لمصر مسيرتها ، ولعلها ترد لها يوماً بعض هذا الود الكبير الذي تكنه لها مصر)[٣٩]اهـ ، ومما يجدر الإشارة إليه أن قاسماً استنكر في كتابه ــ المصريون ــ خطة بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات ، فاقتنص بعض خصومه الفرصة ، ووشوا به إلى الأميرة نازلي بأن قاسماً إنما يعنيها هي بهذا التعريض بذم المصريات اللائي يقلدن الإفرنجيات ، ويسرن سيرتهن ، لأنه لم يكن في نساء مصر آنذاك من يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها[٤٠]، فقد كانت الوحيدة التي تختلط بالرجال ، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة ، وإلى « تحرير المرأة » خاصة[٤١] .

(٣٩) المصدر السابق (١/٢٦٣) .

(٤٠) من مقال لداود بركات رئيس تحرير الأهرام (جريدة الأهرام مايو ١٩٢٨) .

(٤١) [وكان من رواد « صالون الضرار » هذا سعد زغلول والشيخ محمد عبده ، واللقاني ، ومحمد بيرم وغيرهم ، وكانت نازلي تؤيد هؤلاء في قصر الدوبارة وهو مقر المندوب السامي الإنكليزي ضد قصر عابدين ، وتسعى لترقيتهم ، وهم يعتمدون عليها في كل أمر ، وكانت الأميرة نازلي قد افتتحت هذا المنتدى إثر عودتها إلى مصر بعد الاحتلال ، وبعد أن قويت روابطها مع اللورد كرومر ، واتخذت من المعتمد البريطاني أداة لحماية رواد هذه الدعوة وتعبئتهم لتوجيه هذه الحركة متى أمكن ذلك]اهـ من (الأخوات المسلمات) ص٢٤٠ وما بعدها ، (الحركات النسائية في الشرق) ص١٥ ، مقالة « داود بركات » في عدد الأهرام الخاص بمرور ٧٥ عاماً على تأسيسه .

رد فعل الأميرة « نازلي » :

غضبت الأميرة مما فعله « قاسم أمين » وقالت للشيخ « محمد عبده » قولاً شديداً بعد أن هددت، وتوعدت، وقد أشير إلى جريدة (المقطم) لسان حال الإنكليز في مصر في ذلك الوقت ــ أن تكتب ست مقالات تتعقب آراء « قاسم أمين » في كتابه « المصريون »، وتفند أخطاءه في دفاعه عن الحجاب، واستنكاره الاختلاط بين الجنسين، ولكن لم تلبث هذه الحملة أن ألغيت بعد أن اقتنع « قاسم أمين » بضرورة تصحيح خطئه[٤٢]، واتفق معه « سعد زغلول » و « محمد عبده » على أن ينشر كتاباً يصحح فيه خطأه، ويؤيد فيه الدوق « داركير »، ويواصل مناصرته لكتاب (المرأة في الشرق) للقبطي « مرقص فهمي »، وهكذا ! خرج « قاسم أمين » على البلاد بكتابه « تحرير المرأة » سنة (١٨٩٩م)، ودعا فيه إلى نفس ماسبق أن دعا إليه ذلك الصليبي بحذافيره، اللهم إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط .

---

(٤٢) وقد حكت « هدى شعراوي » في مذكراتها المنشورة بمجلة (حواء) العدد رقم (١٢٢١) بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٨٠م عن الشيخ عبد العزيز البشري أنه قال في احتفالٍ بذكرى قاسم أمين : (إن كثيرين من الحاضرين كانوا أشد من وجع الضرس وضرباته على دعوة قاسم أمين وعلى شخص قاسم أمين، وقال : إن قاسماً كان في مبدأ حياته من الرجعيين، حتى إنه لما رد على الدوق « داركير » دافع عن الحجاب واستنكر السفور، فظنت الأميرة « نازلي فاضل » ــ وكان مجلسها يجمع العلماء والفضلاء أمثال محمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان وفارس نمر ويعقوب صروف والمويلحي وابنه ــ أنه يقصدها، فغضبت لذلك، ولكن سعداً قدم صديقه إليها، ولما رأى شدة عقلها ورجاحة حلمها ووثاقة فضلها، انقلب عن رأيه، وأخذ يطالب بتحرير المرأة)اهـ .

أثر الأميرة «نازلي» في فكر الشيخ «محمد عبده»:

كان الشيخ «محمد عبده» مقرباً لدى الأميرة «نازلي فاضل»، وقد سعى لأستاذه «الأفغاني» كي يتوسط لها لدى السلطان في الآستانة، ليمنحها وساماً سلطانياً(٤٣).

وكانت هي قد سعت لدى الخديوي «توفيق» ليعفو عن الشيخ «محمد عبده» عقب عودته من منفاه، كما التمست وساطة «كرومر» للأمر نفسه(٤٤)، وتم المراد، وعفا عنه الخديوي.

وقد أدركت تلك الأميرة ما للشيخ من تفوق عقلي وخلقي فَخَصَّته بمكانة متميزة(٤٥).

وقد ظهر تأثيرها على موقف الشيخ «محمد عبده» من الإنكليز الذين كان يشتد عليهم قبل التعرف على الأميرة، أثناء صحبة الأفغاني وعقب الثورة العرابية، أما بعد اتصال الشيخ بالأميرة، التي كانت صديقة لبعض الإنكليز، فقد خفت حملته ضد إنكلترا، وسمح بصداقته الشخصية للورد «كرومر» صديق الأميرة(٤٦)، وهذا ما أحنق صدور بعض الوطنيين عليه، وإن دافع عنه تلاميذه بقولهم: «إنه سمح بصداقته للورد «كرومر» دون تفريط في حق بلاده، أو عدول عن رأيه السياسي» اهـ.

---

(٤٣) (تاريخ الإمام محمد عبده) (٨٩٧/١).

(٤٤) السابق (٨٩٥/١).

(٤٥) مجلة الهلال ــ العدد السامي ص(٢٢٥) من (الهلال) ج٧ م٦٦.

(٤٦) السابق.

الخطوة الثانية :

كتاب « تحرير المرأة »(٤٨)

ظروف تأليف الكتاب :

كتب (فارس نمر) صاحب (المقطم) في مقال له في مجلة (الحديث) الحلبية عام ١٩٢٩ م يقول : (إن الشيخ « محمد عبده » تطوع للقيام بهذه المهمة(٤٩)، وتحدث الشيخ « محمد عبده » مع الأميرة « نازلي » في هذا الشأن، واتفق « محمد عبده » و « سعد زغلول » و « محمد المويلحي » وغيرهم على أن يتقدم « قاسم أمين » بالاعتذار إلى سمو الأميرة، فقبلت اعتذاره، ثم أخذ يتردد على صالونها، وارتفع مقامها لديه، وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة، الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي، والذي أقام الدنيا وأقعدها، بعد أن كان « قاسم أمين » أكثر الناس دعوة إلى الحجاب) اهـ .

نظرة في الكتاب :

طبع الكتاب في سنة ١٨٩٩م، وقد ألغى فيه أفكاره الدفاعية التي أوردها في

---

(٤٨) بتأمل عنوان الكتاب يتبين لنا أنه كان يعتبر المرأة مستعبدة ، وقد أخذ على نفسه أن يحررها ، وقد جاء في مجلة الهلال أنه كان (يعلم مايعتور مشروعه من العقبات وما سيلقاه من مقاومة تيار الرأي العام لأن إصلاح المرأة يقتضي منحها الحرية ، ويتناول تقبيح الحجاب ، والنهي عن الطلاق وتعدد الزوجات ، مما يعده العامة من قبيل العقائد الدينية ، وهو ليس من الدين في شيء ، فاضطر أن يبين ذلك في أثناء بحثه) اهـ من مقدمة « أسباب ونتائج لقاسم أمين » ص(١٠)، وانظر أيضا (بناة النهضة العربية) لجرجي زيدان ص (١٠١) .

(٤٩) يشير إلى إيقاف مقالات الهجوم على « قاسم أمين » .

كتابه السابق (المصريون)[٥٠] سواء المتعلقة بتقييمه للإنسان المصري، أو المتعلقة بالمرأة المصرية، أو أحكام الشريعة وما يسميه (المدنية الإسلامية)، فبينما نجده في كتابه (المصريون) يصف المصري بالأمانة والشجاعة والذكاء وقوة الاحتمال، ويعزي هذه الخصال الجيدة لحقيقة الهوية الإسلامية للمصري، نجده يقول بعد خمس سنوات في كتابه (تحرير المرأة) : (... فالتركي، مثلا، نظيف صادق شجاع، والمصري على ضد ذلك، إلا أنك تراهما رغماً عن هذا الاختلاف متفقين في الجهل والكسل والانحطاط، إذن لابد أن يكون بينهما أمر جامع، وعلة مشتركة هي السبب الذي أوقعهما معا في حالة واحدة، ولما لم يكن هناك أمر يشمل المسلمين جميعاً إلا الدين، ذهب جمهور « الأوروباويين »، وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين، إلى أن الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم ...)[٥١]، وقد انصرف جهد المؤلف في هذا الكتاب إلى التدليل على مازعمه من أن (حجاب المرأة بوضعه السائد[٥٢] ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور[٥٣] ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده) .

وقد تناول في كتابه هذا أربع مسائل، وهي : الحجاب، واشتغال المرأة بالشؤون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، وهو يذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى مايطابق مذهب الغربيين، زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام ـــ قال : (سيقول قوم إن ماأنشره اليوم بدعة، فأقول : نعم ! أتيت ببدعة، ولكنها ليست في الإسلام، بل في العوائد وطرق المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها)[٥٤] .

---

(٥٠) بل لم يحاول نقل كتابه (المصريون) إلى اللغة العربية ولا إعادة إصداره في مصر .

(٥١) (قاسم أمين ـــ الأعمال الكاملة) (٧٢/٢) .

(٥٢) يقصد تغطية المرأة جميع بدنها عن الأجانب .

(٥٣) يقصد به كشف المرأة وجهها .

(٥٤) « تحرير المرأة » ص(٥)، ط محمد زكي الدين بالقاهرة ١٣٤٧هـ .

والذي يهمنا فيما نحن بصدده ، ماكتبه فيما يتعلق بالحجاب :

لقد اعتبر « قاسم أمين » الحجاب (أصلاً من أصول الأدب يلزم التمسك به ، ولكنه يطالب بأن يكون منطبقاً على الشريعة الإسلامية)[٥٥] ، ثم يقول : (إن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة) وإنما هي في زعمه (عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم ، فاستحسنوها ، وأخذوا بها ، وبالغوا فيها ، وألبسوها لباس الدين ، كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين ، والدين براء منها)[٥٦] .

ثم يورد « قاسم » أمين قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾الآيتان[٥٧] .

ثم يقول : (إن الآية قد أباحت أن تظهر بعض أعضاء من جسم المرأة أمام الأجنبي عنها ، غير أنها لم تُسَمِّ تلك المواضع ، وقد قال العلماء[٥٨] : إنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ماكان معروفاً في العادة وقت الخطاب ، واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء في الآية ، ووقع الخلاف بينهم في أعضاء أخر كالذراعين والقدمين)[٥٩] اهـ .

ثم ينتقل إلى الكلام على الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها ، وحظر

---

(٥٥) « تحرير المرأة » ص(٥٤) .

(٥٦) « المصدر السابق » ص (٥٧ ــ ٥٨) .

(٥٧) سورة النور (٣٠ ــ ٣١) .

(٥٨) كذا ! ولم يُسَمِّ واحداً منهم .

(٥٩) « تحرير المرأة » ص (٥٨) .

مخالطتها بالرجال ، فيقول : (إن الحجاب بهذا المعنى هو تشريع خاص بنساء النبي ﷺ ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ﴾[٦٠] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ يانساء النبي لستن كأحد من النساء ﴾[٦١] الآية .

أما نساء المسلمين عامة فهن — في زعمه — منهيات عن الخلوة بالأجنبي فقط[٦٢] اهـ .

ويستمر (قاسم) بنفس التهافت في علاج القضايا الأخرى ، ويزيد على ذلك تهكمه بالفقهاء ، واستهزاءه بعلماء الشريعة ، بل وبنصوصها الصريحة ، كما فعل في قضية تعدد الزوجات ، وهو في كل ذلك يستدل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية[٦٣] ، ثم يعرض لشرحها شرحاً ملتوياً مغرضاً يوجه لتبرير فكرة معينة ، يحاول أن يسخر النصوص لخدمتها تلبيساً على ضحاياه المخدوعين .

وما أصدق ماقاله بعض معاصريه : (مارأيت باطلاً أشبه بحق من كلام « قاسم أمين » ، بل هذا « أحمد شوقي » يشير إلى لباقة « قاسم أمين » في دعم

---

(٦٠) الأحزاب (٥٣) .

(٦١) الأحزاب (٣٢) .

(٦٢) اقتضت الضرورةُ « عدوُّ المرأة المسلمة » أن يتظاهر في بعض المواضع بمظهر المسلم الوقور الغيور علي دينه ، الحافظ لحدود الله ، المحترم للفقهاء والأدلة الشرعية ، بينما تخلى عن هذا القناع في مثل قوله : (في البلاد الحرة قد يجاهر الإنسان بأن لاوطن له ، ويكفر بالله ورسله ، ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ... يقول ويكتب ماشاء في ذلك ، ولا يفكر أحد أن ينقص شيئاً من احترامه لشخصه متى كان قوله صادراً عن نية حسنة ، واعتقاد صحيح (!) ، كم من الزمن يمر على مصر قبل أن تبلغ هذه الدرجة من الحرية ؟) اهـ من (قاسم أمين — الأعمال الكاملة) (١٦٥/١) .

(٦٣) « تحرير المرأة » ص(٦٨) ، هذا وقد وقع في آخر جملة في الكتاب خطأ مطبعي غير مقصود لفظاً ، ولكن لايبعد أن الحكمة الإلهية شاءت أن يقع في محله لأنه مطابق لمقصود الكتاب ، ألا وهو قول « قاسم أمين » : (تم كتاب تجريد المرأة) !

دعوته بالقرآن والسنة ، متسائلاً : أكان « قاسم أمين » يَغَارُ على الإسلام أم يُغير عليه ؟!

ولك البيانُ الجَزْلُ في أثنائه العلم الغزيرْ
في مطلبٍ خَشِنٍ كثيـ ـرٌ في مزالقه العُثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرتَهُما نكير
حتى لنسأل هل تغا ر على العقائد أم تُغير(٦٤) ؟

وقد علق الدكتور « محمد محمد حسين » ــ رحمه الله ــ على هذا المنهج اللئيم بقوله : (أحب أن أسأل الذين يحاولون أن يسوغوا باطلهم الذي يقحمونه على إسلامنا بمزاعم يتحايلون على إلصاقها بالدين ونصوصه ، أحب أن أسأل سؤالاً حاسماً يفرق بين الحق والباطل : هل تعلمون أن أحداً من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم ؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله ــ ﷺ ، ورضي الله عنهم ــ وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعاً عن فهم نصوص دينهم ، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإنس في باريس من أمثال « قاسم أمين » فانتكس تفكيرهم بين معاهدها ومباذلها ، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين ، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد ، يذود عنهم كل شيطان مريد ، وذلك حين بُعِثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها ، فضلُّوا الطريق ، وعادوا إلينا بغير الوجه الذي بعثوا به ، جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق التنزيل التي غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسرين ، ويضربوا بإجماع المسلمين في الأجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة عُرْضَ الحائط ، أليس ابتداع هذه الدعوة في ظل الاحتلال

(٦٤) « الشوقيات » (١٦٨/٢) .

الإنكليزي ، وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الأجنبي المحتل ، هو وحده دليلاً كافياً على أنها طارئة علينا من الغرب تقليدا لمذاهب أهله المبتدعين في دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم ، والخارجين على نصرانيتهم وكتابها) اهـ[٦٥] .

هل كان للشيخ « محمد عبده » (١٨٤٢ ـ ١٩٠٥م) دور في الكتاب ؟

(كان المعروف عن قاسم أمين أنه ليس له إلمام بالعلوم الإسلامية بحيث يتمكن من إضفاء الصِّبْغَةِ الفقهية على كتابه ، ومن هنا شاع بين الناس وقتها أن مؤلفه في الحقيقة هو أستاذه الشيخ « محمد عبده »)[٦٦] .

قال الدكتور « محمد محمد حسين » : (جاء كتابه ـ تحرير المرأة ـ مملوءاً بالمغالطات سواء كان ذلك في تفسير الآيات القرآنية أو في النصوص التاريخية والفقهية أو الأدلة العقلية ، وهذا الاتجاه الذي يفسر النصوص تفسيراً جديداً مخالفاً لكل ماهو ثابت متواتر في تفسيرها هو جزء من اتجاه عام تزعمه الشيخ « محمد عبده » متذرعا إليه بالدعوة إلى فتح باب الاجتهاد الذي زعم أن الفقهاء أغلقوا بابه ، وهو يدعو إلى الملاءمة بين الإسلام وبين الحضارة الغربية)[٦٧] اهـ .

قال « داود بركات » رئيس تحرير الأهرام : (وقد حمل الشيخ « محمد عبده » الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في الرواق العباسي بالأزهر ، حين « أعلن » أن الرجل والمرأة يتساويان عند الله ، وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ « محمد عبده » كتب بعض فصول الكتاب ، أو كان له دور في

---

(٦٥) « حصوننا مهددة من داخلها » (ص١٢١ ـ ١٢٢) طبعة المكتب الاسلامي (١٣٩٨هـ) .

(٦٦) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (٢٨١/١ ـ ٢٨٢) للدكتور « محمد محمد حسين » رحمه الله .

(٦٧) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (٢٨١/١ ـ ٢٨٢) للدكتور « محمد محمد حسين » رحمه الله .

مراجعتها)[٦٨] .

ومما أورده « لطفي السيد » : (أنه اجتمع في جنيف عام ١٨٩٧م بالشيخ « محمد عبده » و « قاسم أمين » و « سعد زغلول » ، وأن « قاسم أمين » أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب « تحرير المرأة » وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ « محمد عبده »)[٦٩]اهـ .

وقالت « وداد السكاكيني » :

(فتح ــ أي محمد عبده ــ على الناس أبواباً جديدة ، تلج منها المرأة المسلمة إلى الحياة ، التي وهبها الخالق إياها ، كما وهبها للرجل ، ولكن النفوس لم تكن هُيِّئت تمام التهيؤ في البداية ، ورأى الإمام ألا يخاطر ، فيلج بنفسه هذا الميدان ، ويرقى مرتقاه الصعب ، فيقف أمام الجهلاء يحاربونه ، فيؤثر ذلك على مركزه كإمام للإصلاح يستند على الدين ، وتضيع بذلك فرص في الإصلاح في الميادين الأخرى ، فهيأ لهذا الميدان بالذات جندياً يصلح له من تلاميذه ، هو « قاسم أمين » ، ثم وقف يسانده ، ويحميه من بعيد ، حتى وصلت الدعوة في تحرير المرأة إلى أبعد مما كان يقصد الشيخ « محمد عبده » .

إذن لم تكن « دعوة قاسم » أمين مبتكرة ، ولا بدعة في سبقها)[٧٠]اهـ .

وقال د. « محمد عمارة » جامع الأعمال الكاملة لـ « قاسم أمين » ومحققها :

---

(٦٨) الأهرام ــ مايو ١٩٢٨م ، وانظر (دحض بدعة المساواة بين الرجل والمرأة) في القسم الثاني من هذا الكتاب . ص(٩٣ ــ ١١٥) .

(٦٩) نقلا عن كتاب (الأخوات المسلمات) ص(٢٤٧)، وانظر (تطور النهضة النسائية) « لإبراهيم عبده » و « درية شفيق » ص(٧٤)، (٧٥) .

(٧٠) « قاسم أمين » لوداد السكاكيني ص (٤٦) .

(... ففي تحرير المرأة وبالذات في الفصول التي تتناول وجهة نظر الشريعة والدين في هذه القضية ، نلتقي بمجموعة من الآراء الفقهية والمناقشات لايستطيع أن يبحثها ، ولا أن يستخلصها كاتب مثل « قاسم أمين »، وأهم من ذلك نجد أحكاماً كلية تدل على أن صاحبها ومصدرها قد استقصى بحث هذا الأمر في جميع مصادره الرئيسية في الفكر الإسلامي ، على اختلاف مذاهبه وتياراته الفكرية ، وهو الأمر الذي لانعتقد أنه قد توافر في ذلك العصر سوى لقلة قليلة في مقدمتهم جميعاً الأستاذ الإمام « محمد عبده »)(٧١)اهـ .

بينما يجزم د. « محمد عمارة » في موضع آخر بهذه النسبة المشار إليها آنفاً بقوله ـــ وهو يعدد إنجازات الشيخ « محمد عبده » ـــ : (ومن أبرز أعماله الفكرية في هذه المرحلة ... الفصول التي شارك بها في كتاب « تحرير المرأة » لقاسم أمين سنة ١٨٩٩م)(٧٢)اهـ .

وذكرت « درية شفيق » أن دور « محمد عبده » في الكتاب قد (أثار حفيظة بعض الرجعيين الذين اتهموه بالزيغ والكفران)(٧٣) .

وقال الدكتور السيد أحمد فرج ـــ حفظه الله ـــ : [وقد بالغ بعض الكتاب فرأى أن فصولاً كاملة بنصوصها في كتاب « تحرير المرأة » كتبها الشيخ « محمد عبده » من إنشائه، وهي الفصول الآتية :

١ ـــ حجاب النساء من الجهة الدينية ص(٥٩ ـــ ٧٢) .

٢ ـــ الزواج ص(١٢٣ ـــ ١٣٢) .

٣ ـــ تعدد الزوجات ص(١٣٣ ـــ ١٤٠) .

---

(٧١) (قاسم أمين الأعمال الكاملة) المقدمة : دراسة في فكر « قاسم أمين » ص (١٤٤) .

(٧٢) (الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده) ص(١٣٨) .

(٧٣) (تطور النهضة النسائية) ص(٧٨) .

٤ ــ الطلاق ص(١٤١ ــ ١٦٤) .

(محمد عمارة ــ الأعمال الكاملة « لمحمد عبده » ٢/١٠٥ ــ ١٢٩ بيروت ١٩٧٢)، وهذا الادعاء من كاتبه يرد عليه، لأنه يحتاج إلى دليل يوثقه، والأرجح أنها من فكر الشيخ « محمد عبده » وإنشاء كاتبها، فالشيخ هو الذي وجه الأفكار، وأرشد إلى ما يحتاجه الكاتب من نصوص الكتاب والسنة وكتب الفقه الإسلامي، وهو الذي أرشده تبوجيهاته أثناء الكتابة أو قراءة أصول الكتاب قبل طبعه ــ كما جاء في مذكرات « أحمد لطفي السيد » .

والمعروف عن الشيخ « محمد عبده » أنه كان يملي الأفكار، ويوجه إليها أكثر مما يكتب، هكذا فعل مع « قاسم أمين » ومع أشهر تلاميذه في مجال الإصلاح الإسلامي السيد « محمد رشيد رضا »][74] .

بين « قاسم » و « سعد » .

قال الصحافي (مصطفى أمين) : (كان « قاسم أمين » لا يفترق عن « سعد زغلول »، وكان « قاسم أمين » هو الذي توسط في زواج « سعد زغلول » بصفية زغلول، وكان « سعد زغلول » هو الذي وقف إلى جوار « قاسم أمين » عندما أصدر كتاب (تحرير المرأة)، وهوجم بعنف وضراوة، واتهم بالكفر الدَّ ... ، ومنع من دخول مصر قصر الخديوي بدعوى أنه يدعو إلى الإباجية، وأقفل الناس بيوتهم في وجهه، وذهب عدد من الشبان المتحمسين إلى بيته في شارع الهرم، واقتحموا بيته، وطالبوا « قاسم أمين » أن يسمح لهم بأن يجتمعوا على انفراد تطبيقاً لدعوته إلى سفور المرأة .

عندما أقفل كبار المصريين في وجه « قاسم أمين » فتح « سعد » له بيته،

---

(٧٤) المؤامرة على المرأة المسلمة : تاريخ ووثائق » ص(٧٦ ــ ٧٧) .

ودعاه هو وزوجته ليتناول الغداء والعشاء على مائدته ومائدة « صفية زغلول »، وأصر أن يخرج في عربته مع « قاسم أمين »، ويطوف شوارع العاصمة متحدياً للأصدقاء الذين نصحوه بأن لا يظهر مع « قاسم أمين » في مكان عام، وإلا ضربه الناس بالطوب، وعندما وضع « قاسم أمين » كتابه الثاني « المرأة الجديدة » متحدياً العاصفة الهوجاء، ومطالباً بأن تحضر المرأة مجالس الرجال، وتمارس الأعمال الحرة، أهدي كتابه الجديد إلى « سعد زغلول » صديقه الحميم، ونصيره الأول)[٧٥]اهـ .

دور سعد زغلول :

قال العقاد : (وكان ـــ أي « سعد زغول » ـــ رجلاً له رأي في المرأة، وفيما ينبغي أن تكون عليه شريكة الحياة، يخالف رأي السواد الغالب في تلك الأوقات، وفي جميع الأوقات، وحسبه من ذلك أنه هو الذي أعان « قاسم أمين » زميله وصديقه الحميم على إظهار كتابه في « تحرير المرأة » وتشجيعه على احتمال مالقي في سبيله من سخط وعناء)[٧٦]اهـ .

وقال الدكتور « السيد أحمد فرج » ـــ حفظه الله ـــ : (والرأي أنه لم يكن في استطاعة « قاسم أمين » أن يبرز نفسه بهذه الآراء الجريئة ـــ في ذلك العصر ـــ لولا تعضيد الإمام « محمد عبده »، وأحد تلاميذه الذي صار زعيماً للأمة « سعد زغلول » باشا، وقد بلغ حب « قاسم أمين » لهما مبلغاً كبيراً، فأهدى كتابه الثاني « المرأة الجديدة » لسعد زغلول، واستشهد على صحة أقواله فيه، بمباركة الشيخ « محمد عبده » لها، وبنشركل بنود اقتراح الشيخ في شأن

---

(٧٥) نقلاً عن « جريدة المساء » الخميس ٤ أغسطس ١٩٨٣ مقالة بعنوان (هل انتحر محرر المرأة ؟) . هذا وقد ذكر الصحافي (مصطفى أمين) في مقالته هذه أنه حدثت قطيعة بين الصديقين حتى الموت تسببت من لعب « قاسم أمين » بالورق « القمار » حتى خسر مبالغ طائلة أودت بثروته، وأثقلته بالدَّيْن .

(٧٦) (سعد زغلول) تأليف « عباس محمود العقاد » ص(٥٢٧) .

إصلاح قانون الأحوال الشخصية في آخره .

و« سعد زغلول » ــ في الحقيقة ــ هو الذي ضمن تنفيذ أفكار « قاسم أمين » تنفيذاً عملياً ، فقد رحل الشيخ « محمد عبده » سنة ١٩٠٥ ، ورحل تلميذه « قاسم أمين » بعده بسنوات قليلة ، وكان في ميعة شبابه ، ثم بقي « سعد زغلول » ، وقد أهّلته مواهبه الفذة أن يقود المجتمع ، ويكيفه كما يريد ، وكان قادرا خاصة وأن الظروف الاجتماعية والفورة الوطنية قد هيأتا الناس لتقبل الأفكار الجديدة ، ووضعها موضع التنفيذ العملي ، « فقد ظل العقلاء ــ كما سماهم « جرجي زيدان » ــ يتهامسون في موضوع تحرير المرأة ... حتى صرح الشيخ « محمد عبده » بآرائه ، فكثر مريدوه ، والمُؤَمِّنون على أقواله وأول أولئك « قاسم أمين »(٧٧) ، و « سعد زغلول » المنفذ الحقيقي لهذه الأفكار)(٧٨) اهـ .

وأيًّا ماكان الأمر فقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة لأنه صادر من (مسلم) يشغل وظيفة مستشار في الدولة ، سبق له أن هاجم أعداء الحجاب منذ وقت قريب ، ولم تقتصر هذه الضجة على الأوساط الإسلامية الغيورة على دينها ، بل شملت الأوساط « الوطنية » و « الأدبية » .

ردود فعل كتاب « تحرير المرأة » :

تجلت ردود الفعل في موجة عارمة من المعارضة ، كان أكثرها مقالات صحافية ، وقد اتهمه المعارضون بالهذيان ، وبأنه ممن تخطف زخارف التمدن الغربي بصائرهم ، يرى المحاسن ، ولا يرى المساوىء ، وهاجمه علماء الدين هجوماً عنيفاً ، وحكم الفقهاء بأنه خرْقٌ في الإسلام ومروق من الدين ، وعدها الكثيرون ضرباً من

---

(٧٧) « بناة النهضة العربية » « لجرجي زيدان » ص (١٠٥) .

(٧٨) « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص(٦٤) .

المبالغة في تقليد الغربيين ، واتهمه آخرون بالجناية على الدين ثم الوطن ، وأنه يرمي إلى قلب الهيأة الاجتماعية المصرية ، وممالأة الإنكليز على ضياع البلاد ، وأنه ينفذ أمنية من أماني الأمم الصليبية التي تريد بها هدم الإسلام ، وتقويض الآداب والأخلاق ، وتحريض النساء على الفساد ، واتهموا من يعضد هذه الدعوة بأنه ليس من المسلمين .

وبادر إلى مناصرة « قاسم » حفنة من الكتاب وعلى رأسهم (جرجي نقولا باز) الذي ألف تأييداً لقاسم كتابين أحدهما : (إكليل غار على رأس المرأة) ، والآخر : (النسائيات)[(٧٩)] .

ولم يكتف دعاة الحق وأنصار الحجاب بالمقالات العنيفة ، بل ألفوا الكتب العديدة (التي بلغ عددها مائة كتاب)[(٨٠)] تبطل شبهات قاسم وتقيم الحجة عليه من أدلة الشريعة المطهرة .

من هذه الكتب :

(« السنة والكتاب في حكم التربية والحجاب » لمحمد إبراهيم القاياتي .

ومنها : « الجليس الأنيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس » لمحمد أحمد حسنين البولاقي .

ومنها : « خلاصة الأدب » لحسين الرفاعي .

ومنها : « نظرات في السفور والحجاب » لمصطفى الغلاييني .

ومنها : « قولي في المرأة » لمصطفى صبري .

ومنها : « رسالة في مشروعية الحجاب » لمصطفى نجا .

---

(٧٩) « قاسم أمين » د.« ماهر حسن فهمي » ص(١٧٢) .

(٨٠) « تطور النهضة النسائية » ص(١٢) .

ومنها : « رسالة الفتى والفتاة » لعبد الرحمن الحمصي)[٨١] .

موقف « محمد طلعت حرب » :

على أن أول كتاب ألف في الرد على « قاسم أمين » هو كتاب « تربية المرأة والحجاب » وهو أهم ماأُلِّفَ وأعمقه أثراً ، ألفه « محمد طلعت حرب » الذي اقترن اسمه فيما بعد ـــ وللأسف ـــ بشئون الاقتصاد الربوي ، وقد استنكر في كتابه هذا على « قاسم » دعوته ، ودافع عن الحجاب[٨٢] .

ويبدأ الكتاب بمقدمة يثبت فيها المؤلف أن المستعمر الغربي يجاهد بكل الطرق ليغير وضع المرأة المسلمة ، كأنما وكلتهم المرأة للدفاع عنها ، وما ذلك إلا ليثبتوا أن الشريعة الإسلامية قد ظلمتهن ، أما هدفهم البعيد فهو التدخل في شئون المسلمين باسم الإنسانية ، وفرنجة المرأة في المجتمع الشرقي لتنحل مقوماته الاجتماعية ، قال : (إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربة من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوربة بالعالم الإسلامي) ، وقال أيضاً : (إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق لا في مصر وحدها ـــ إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذي عمَّ الرجال في المشرق) .

وهو يذكر أن الخديو « إسماعيل » حين أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية وعد ملوك أوربة ـــ إن هم أيدوه من أجل تحقيق هدفه ـــ أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ، فيفصل السياسة عن الدين ، ويطلق

---

(٨١) « قاسم أمين » د.« ماهر حسن فهمي » ص(١٦٤ ـــ ١٦٥) .

(٨٢) ولمحمد طلعت حرب كتاب آخر في الرد على « قاسم أمين » هو : « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » شن فيه حملة عنيفة على ضلالات قاسم ، ووقفت كثرة الشعب في جانبه ، وأيدته ، فاستُهدف قاسم للإهانة تلو الإهانة (انظر : « تطور النهضة النسائية » ص «٧٠») .

الحرية للنساء ، بحيث يَسِرْنَ في أثر المرأة الغربية ، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوربية .

وذكر أن الحرية كانت دائماً شعار الإسلام فكان أولى بقاسم أن يجعل عنوان كتابه « تربية المرأة » بدلاً من « تحريرها » ، ثم يقول « طلعت حرب » : (ومن عجيب المصادفات أن الذي يقرأ « الرحلة الأصمعية » التي طبعت باللغة التركية سنة ١٨٩٣ في مصر ، يقرأ فيها الاعتراضات التي وجهها الأوربيون إلى مؤلف الرحلة فيما يختص بوضع المرأة المسلمة ، فإذا ماقرأنا « تحرير المرأة » لقاسم أمين وجدناه يردد نفس الاعتراضات ، فهل هذا يرجع إلى توارد خواطر ؟

ويتحدث طلعت حرب في الباب الأول من كتابه عن وظيفة المرأة ، فيقرر أن الأديان[٨٣] جميعاً تنفي مساواة المرأة بالرجل مساواة كاملة ، ويورد النصوص من التوراة والانجيل والقرآن ، التي تؤكد سيادة الرجل وحسن المعاملة والتقدير للمرأة ، ويقرر أن سعادة الأسرة لاتكون بوجود قائدين في بيت واحد ، وإنما تكون بتوجيه الرجل توجيهاً حكيماً .

ثم قال : (إن للمرأة أعمالاً غير ماللرجل ، ليست بأقل أهمية من أعماله ، ولا بالأدنى منها فائدة ، وهي تستغرق معظم زمن المرأة إن لم نقل كله : الرجل يسعى ، ويكد ، ويشقى ، ويتعب ، ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله ، وامرأته ترتب له بيته ، وتنظف له فرشه ، وتجهز له أكله ، وتربي له أولاده ، وتلاحظ له خدمه ، وتحفظ عينه عن المحارم ، وهو يسكن إليها ...)[٨٤] .

---

(٨٣) اعلم ــ رحمك الله ــ أنه لايصح إطلاق كلمة « الأديان » ! هكذا مجموعة في سياق التقرير والاحتجاج بها ، لأن الدين واحد هو الإسلام ، الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) ، والشرائع هي التي تختلف من نبي لآخر قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) والله أعلم .

(٨٤) « تربية المرأة والحجاب » ص(١٧) طبعة القاهرة .

وينتقل إلى الباب الثاني فيتناول تربية المرأة ، ويؤكد أن (الشريعة قد حثت على التربية الخلقية التي تضمن إصلاح النفس ، وعمار الكون وضمان السعادتين ، وكان السلف الصالح يُعَوِّدون أبناءهم عليها ، فيشبون وقد تشبعوا بمكارم الأخلاق ، ولم تُوَلِّ الدنيا عنا إلا يوم أهملنا تلك التربية ، ثم دهمتنا المدنية الغربية بما بها من مظاهر خادعة ، فحسبناها منتهى مايدركه الإنسان من الكمال ، فتسابقنا إلى التشبه والتقليد .

فإذا كنا نريد إصلاحاً حقيقياً فلننظر إلى مدنيتنا الإسلامية ، ولنقتبس منها أسس التربية السليمة لكل أفراد المجتمع من بنين وبنات) .

ثم ينتقل إلى أهم نقاط البحث ، وهي مشروعية الحجاب ، فيعرض لقوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...** ﴾ وينقل من أحاديث رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضي الله عنهم أن المقصود ستر الوجه لأنه أعظم زينة للمرأة ، أما ماجاء في قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها** ﴾ فهي الكحل والخضاب ، ثم كيف يمكن الاختلاط مع غض البصر ؟

وإذا كان « قاسم أمين » يرى أن الحجاب خاص بنساء النبي ﷺ ، وأن قوله تعالى : ﴿ **يانساء النبي لستن كأحد من النساء** ﴾ (الأحزاب : ٣٢) فيه معنى التخصيص ، فإن قوله تعالى : ﴿ **ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ (الأحزاب : ٥٩) قد قطع كل شك في وجوب الحجاب ، وقد اعتمد « قاسم » على رأي بعض الفقهاء في إباحة كشف الوجه واليدين والقدمين ، مع أن رأي الفقهاء في هذه الإباحة كان خاصًّا بالصلاة وحدها ، لا بقضية الحجاب والسفور .

على أن من يقول بجواز النظر لوجه المرأة عند أمن الفتنة قد قضى بتحريم ذلك على الإطلاق خصوصاً في هذه الأيام ، حيث نشاهد تبذل الشباب واستهتارهم كل

حين ، فما بالنا لو خلعت المرأة الحجاب ، وأطلقنا لها الحرية ؟

إن الإحصائيات تثبت أن المرأة الشرقية ـــ بسبب الحجاب ـــ أكثر نساء العالم تعففاً ، ولا نريد أن نمزق ستار العفاف .

وإذا كان « قاسم » يتساءل : لماذا اختص النساء بالاحتجاب والتبرقع دون الرجال ، وكلاهما مأمور بغض الأبصار ؟ ، فالإجابة واضحة ، إذ من المسلم به أن لكل من الزوجين وظيفة اختص بها ، وكانت وظيفة الرجل خارج بيته للسعي على معاشه ، ووظيفة المرأة منزلية داخل البيت وخروجها للضرورة ، فتكليفها بالتبرقع دون الرجل أكثر ملاءمة لظروفها .

أما ماقيل عن علم عائشة رضي الله عنها فهو حجة على قائله ، لأنها كانت محتجبة حجاباً تامًّا بالإجماع ، ولم يمنعها الحجاب من التفقه في أمور الدين والمشاركة في أمور الحياة ، وكذلك كان كل النساء المسلمات اللائي نبغن ، وبلغن درجة من العلم والكمال ، فالحجاب لم يمنع من تحصيل العلم ولا تدريسه ، وإذا كان الحجاب هو المانع من الترقي ، فلِمَ لم يترقَّ كل الرجال ؟

ولو نظرنا إلى المرأة الأوربية ، لوجدنا الأمر يرجع إلى حاجة أوربة للأيدي العاملة بسبب ظروف حياتها ، فخرجت النساء لمساعدة الرجال على الكسب والتعمير ، فلما ابتذلت المرأة هناك أعرض الشباب عن الزواج ، فاضطرت المرأة أن تستمر في العمل لتعيش ، على أن الناظر إلى المرأة الشرقية الآن[٨٥] ، يراها قد خرجت ، وأقبلت على ملاذّ الدنيا ، وأغرتنا الحضارة الأوربية على التساهل ، وسيسير الزمن بنا ـــ باسم الحرية والمدنية ـــ حسب التخطيط الذي يدفعنا الأجنبي إليه إلى أن تصبح المرأة الشرقية مثل الأجنبية ، مالم نبادر إلى تقييد تلك الحرية لا إطلاقها ،

---

(٨٥) طبع الكتاب سنة ١٨٩٩م .

وإلى تحرير الرجل قبل المرأة من الجهالة والفساد .

ويختم « طلعت حرب » كتابه قائلاً : (الحجاب أصل من أصول الأدب ، فيلزم التمسك به ، إلا أن المطلوب أن يكون منطبقاً على ماجاء به الشرع)(٨٦) .

موقف « محمد فريد وجدي » :

ونشر « محمد فريد وجدي » في (المؤيد) و (اللواء) بضع مقالات قال في بعضها :

(إذا أشرنا اليوم بوجوب كشف الوجه واليدين ، فإن سنة التدرج سوف تدفع المرأة إلى خلع العذار للنهاية في الغد القريب كما فعلت المرأة الأوربية ، التي بلغت بها حالة التبذل درجة ضَجَّ منها الأوربيون أنفسهم ، وبدلاً من أن نضرب الأمثلة بالغرب دائماً ، ينبغي أن نولي وجوهنا إلى عظمة مدنيتنا الإسلامية الماضية)(٨٧) .

ويتهكم أحد الكتاب بالدعوة إلى خروج المرأة للعمل ، ويحاول أن يتصور المرأة ، وقد خرجت إلى معترك الحياة تعمل ، فإذا البيوت مقفرة ، والشوارع مزدحمة بالرجال والنساء ، والمحال التجارية وقف بها المتحككون بالنساء البائعات ، أما الزي فخليط عجيب ، امرأة بقبعة ، وأخرى بغيرها ، والمقص قد تحيف الجيوب والذيول والأكمام ، والتصقت الملابس بالمرأة ، حتى صارت كبعض جسمها ، ثم يتساءل قائلاً : (أهذا مانريده ؟ إن مانريده حقاً هو تربية المرأة قبل كل شيء)(٨٨) .

---

(٨٦) السابق ص(١٠٥) .

(٨٧) « قاسم أمين » د.« ماهر حسن فهمي » ص(١٦٢) .

(٨٨) السابق ص(١٦٣) .

موقف « مصطفى كامل » (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م) :

كان للكتاب دويٌّ شديد في الأوساط الوطنية ، لأنه كان بمثابة تحدٍّ صريح للرأي الإسلامي العام ، وهجوم سافر ضد الإسلام ، لذلك لم يكن عجباً أن يقف الحزب الوطني المصري ، أو بمعنى آخر أن يقف « مصطفى كامل » من هذه الحركة موقف المقاومة والعناد ، إذ تحسس وراءها الأصابع البريطانية ، فربط بين هذه الحركة التي يديرها ذلك النادي الذي جمع أذناب الاستعمار وبين الإنكليز على أنها وسيلة من وسائله المتلونة في القضاء على مقومات الأمة ، فسارع إلى مقاومة هذه الحركة الخائنة وتحذير الأمة منها ، فأشار إليها في أول اجتماع عام عقده عقب صدور ذلك الكتاب في الخامس من شعبان سنة (١٣١٧هـ) ، الموافق الثامن عشر من سبتمبر (١٨٩٩م) ، حيث قال :

(إني لست ممن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المباديء الأوربية ، فإن في ذلك خطراً كبيراً على مستقبل الأمة ، فنحن مصريون(*) ويجب أن نبقى كذلك ، ولكل أمة مدنية خاصة بها ، فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليداً أعمى ، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا ، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله ، فالحجاب في الشرق عصمة وأي عصمة ، فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم ، وعلموهن التعليم الصحيح ، وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة ... هو تعليم الدين)[٨٩] اهـ .

وقد بلغ « بمصطفى كامل » الاهتمام بمقاومة هذه الحركة المسمومة إلى الحد الذي جعله يفتح صدر صحيفة (اللواء) منذ أول ظهورها سنة (١٩٠٠م) لكل طاعن على « قاسم أمين » وأفكاره ، فكانت « اللواء » ـ كما يقول الدكتور

(*) الواجب أن يقول : (فنحن مسلمون) ، وإلا فما قيمة المصريين أو غيرهم بدون الإسلام ؟

(٨٩) « الحركات النسائية » ص(١٦ ـ ١٧) .

« محمد حسين هيكل » ـــ : (خصماً لدوداً لقاسم وأفكاره ، وكانت ميداناً لأشد المطاعن عليه)[٩٠] اهـ .

وكتب (مصطفى كامل) في (اللواء) (٣١ يناير ١٩٠١) يؤكد على (وجوب الالتفات إلى تربية النساء فهي دعوة يوافق عليها كل مثقفي الأمة ، أما الحرية للمرأة فلا محل للحديث عنها الآن ، وعملية التطور الطبيعي تسير سيرها المحترم ، وفرق بين التطور والتطوير القسري ، الذي لا يُؤمَنُ معه من سوء العاقبة ، فإن الرجل منا أهون عليه أن يموت ؛ من أن يرى من أهله أو من بيته امرأة فاسدة ، ولو كانت بهجة العلم وحليته) .

ثم يخدش قاسماً ـــ وما أصاب ـــ فيقول : « ولست أدري إذا كان هذا الشعور شعوراً طبيعياً عند كل الرجال أو منشؤه الميراث الذي يحمله كل منا في دمه من أخلاق آبائه وأجداده ، وسواء كان هذا أو ذاك فإن الحرية التي تقتل العصمة ، شرٌ عندي من الحجاب القاتل للرذائل »[٩١] .

أثر كتاب « تحرير المرأة » في العراق والشام :

واجه الكتاب هناك معارضة عنيفة لا تقل عن التي واجهها في مصر ، وأعلن المعارضون لقاسم أن الدعوة إلى خروج المرأة المسلمة اقتداءاً بالغربية ، دعوة لا تستند إلى حجة مقبولة ، لأن الغربية لم تناد بالخروج إلى المجتمعات وإلى الحرية المطلقة ، وإنما الرجال هناك هم الذين دفعوها إلى العمل تخلصاً منها ، وطمعاً في الانتفاع بتعبها ، فكانت النتيجة أن استُدْرِجَتْ إلى مواقف لم تأمن معها من الزلل ، وفقدت بيتها ،

(٩٠) « تراجم مصرية وغربية » للدكتور محمد حسين هيكل باشا ص(١٤٢) .

(٩١) « قاسم أمين » تأليف د. ماهر حسن فهمي ص(١٦٠) ، ومما يلزم التنبيه إليه أن هذا الأسلوب المتضمن للهمز واللمز بأباه الإسلام الذي يَعلو ولا يُعلى ، والذي يعد الدعوة القومية ، والعصبية الوطنية جاهلية خبيثة منتنة .

وفقدت أنوثتها، وإذا كان التاريخ يستفظع وأد بعض رعاع العرب لبناتهم تخلصاً من العار، فكم يكون استفظاعه لحياة كثيرات من الفتيات في هذه المدنية التي يود البعض أن نقتدي بها ؟!

وثار علماء الدين في الشام ثورة عنيفة ضد « قاسم أمين » فأعلنوا أن دعاة السفور هم دعاة فساد، لأنه يخالف ما أمر به الدين، ولأن السفور يقود الناس حتماً إلى المجون وهدم القيم، وبذلك تنحل كل الروابط الاجتماعية[٩٢] .

الإنكليز يترجمون الكتاب وينشرونه :

وقد كتب « مصطفى كامل » في (اللواء) بتاريخ (٩ فبراير سنة ١٩٠١م) يقول : (هذا، وقد انتشر خبر كتاب « تحرير المرأة » في جهات الهند، واهتم الإنكليز بترجمته وبث قضاياه، وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً، لما وراء العمل به من فائدة لهم) اهـ .

من مواقف الشعراء :

وكان للحركة صدى عميق في نفوس الأدباء والشعراء[٩٣]، وهذا (أحمد محرم)[٩٤] الذي أعجب به « مصطفى كامل » وطالما أشاد به وبشعره على صفحات (اللواء) يقول مستنكراً دعوة « قاسم أمين » :

أغرَّكِ يا أسماءُ ما ظنَّ قاسمٌ !؟ أقيمي وراء الخِدر[٩٥] فالمرء واهمُ

---

(٩٢) السابق ص(١٦٣ ــ ١٦٤) .

(٩٣) كان أكثر شعراء تلك الفترة من أهل الرأى والفكر، ولم يكونوا مجرد نظاميين .

(٩٤) « أحمد محرم » (١٨٧١ ــ ١٩٤٥) عده الأدباء في الطبقة الأولى من شعراء جيله، وسلكوه في صف شوقي وحافظ، وطبع شعره الإسلامي بعنوان (الإلياذة الإسلامية) سنة ١٩٦٣ .

(٩٥) الخدر : ستر يمد للجارية في ناحية البيت، وجارية مخدَّرة ومخدورة إذا ألزمت الخدور، وانظر « لسان العرب » (٣١٢/٥ ــ ٣١٥) .

تضيقين ذرعاً بالحجاب وما به سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله إذا ماالستبيحت في الخدور الكرائم
أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغي بقومك والإسلامِ ما الله عالم
لنا من بناء الأولين بقية تلوذ بها أعراضنا والمحارمُ
أسائل نفسي إذ دَلَفْتَ(٩٦) تريدها أأنت من البانين أم أنت هادم ؟
ولولا اللواتي أنت تبكي مُصابَها لما قام للأخلاق في مِصْرَ قائمُ
نبذت إلينا بالكتاب(٩٧) كأنما صحائفه مما حَمَلْنَ ملاحِمُ(٩٨)
ففي كل سطر منه حتفٌ مفاجيءٌ وفي كل حرف منه جيشٌ مهاجِمُ

إلى أن يقول :

لنا في كتاب الله مجدٌ مُؤَثَّلٌ(٩٩) ومُلْك على الحِدْثانِ(١٠٠)والدهر دائم
إذا نحن شئنا زلزل الأرضَ نابُنا ودامت لنا أقطارها والعواصمُ

* * *

همنا بربات الحجال(١٠١)نريدُها أقاطيع ترعى العيش وهي سوائمُ
وإنَّ امرءاً يُلقي بليل نعاجه إلى حيث تَسْتَنُّ الذئابُ لظالمُ
وكُلُّ حياة تُثْلِمُ العِرْضَ سُبَّةٌ ولا كحياة جَلَّلتْها المآثمُ
أتأتي الثنايا الغر والطُّرَرُ(١٠٢) العلى بما عجزت عنه اللحى والعمائم ؟

(٩٦) دلفت : أي تقدَّمت .
(٩٧) يشير إلى كتاب « تحرير المرأة » .
(٩٨) جمع ملحمة : وهي الوقعة العظيمة القتل .
(٩٩) أي الحسيب الأصيل العظيم الشريف .
(١٠٠) الحِدْثان : الثَّوب .
(١٠١) الحَجْل بفتح الحاء وكسرها : الخلْخال .
(١٠٢) الطُّرر : جمع طُرَّة : جانب الثوب الذي لا هُدْبَ له، وطرف كل شيء .

فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد إذا حلقت فوق النسور الحمائم
عفا الله عن قوم تمادت ظنونُهُمْ فلا النهج مأمون ولا الرأى حازم
ألا إن بالإسلام داءً مخامراً وإن كتاب الله للداء حاسم(١٠٣)

* * *

وهاجم الشاعر العراقي « البناء » السفوريين، وخاطب المرأة قائلاً :

وجوه الغانيات بلا نقاب تصيد الصيد في شَرَكِ العيون
إذا برزت فتاة الخِدْرِ حسرى تقود ذوى العقول إلى الجنون

وهذا الشاعِر « جواد الشبيبي » يقول مستنكراً الدعوة الأثيمة :

منع السفورَ كتابُنا ونبيُّنا فاستنطقى الآثارَ والآياتِ
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت للناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتم في البراقع خفية من أن تمس حصانة الخَفِرات(١٠٤)
واليوم فتَّحَها الصبا فتساقطت بعواطف الألحاظ والقبلات
صونى جمالك بالبراقع إنها ستر الحسان ومظهر الحسنات
وضعى الصدار على الترائب إنه حق عليك فحق نهدك نات(٥)
وتماثلى في البيت صورة دمية مكنونة الأعضاء في الحبرات(١٠٥)

وفي قصيدة للأزدى يعارض بها « الرصافى »، ويخاطب بنت بغداد (كريمة الزوراء)، ويحذرها من ضلال السفوريين، ويبصرها بعواقب مسلكهم الوخيم، يقول :

---

(١٠٣) ديوان محرم (٢/٦٣ ــ ٦٥) الطبعة الأولى (١٣٣٨هـ ــ ١٩٢٠م) ــ مطبعة الفتوح بدمنهور .

(١٠٤) امرأة خَفِرة : أي شديدة الحياء .

(٥) كذا بالأصل !

(١٠٥) انظر « قاسم أمين » للدكتور « ماهر حسن فهمي » ص(١٧٣) .

أولم يروا أن الفتـاة بطبعهـا كالماء لم يُحفـظ بغير إنـــاء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها مما يجيش بخاطـر السفهـــاء ؟
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه عن خدع كل خريدة حسناء ؟

إلى أن يقول :

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح للمسلــــمين تبرج العـــذراء
ماذا يريبك من حجاب ساترٍ جيدَ المهاة[١٠٦] وطلعة الذلفاء[١٠٧]
ماذا يريبك من إزارٍ مانـع وزر الفـــؤاد وضلـة الأهـــواء
ما في الحجاب سوى الحياء فهل من التهذيب أن يهتكن ستر حياء
هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو أصدقتك ضمائر الجلساء
شيد مدارسهن وارفع مستوى أخلاقهــــن لصالح الأبنـــــاء
أسفينة الوطـن العزيـز تبصري بالقعر لا يَغْرركِ سطح الماء[١٠٨]

وهذا « أديب التقى » يحذر من السفور كذريعة إلى الخلاعة والدمار الاجتماعي :

كيف ترضى بأن ترى حاسرات يتـــملى وجوههــــا الفجّـــار
واتخذن الخلاعـة اليـوم خلقـا هو للشعب لو أفاق دمار[١٠٩]

وفي السودان هاجم الشيخ « حسيب على حسيب » بعنف دعاة السفور فقال :

دَعُوا في خِدْرِها ذات الدلالِ فقـــد أرهقتموهــــا بالجدالِ
رأيت شعورَهــــــا الحسَّاس مضنًى على هذا الجمود عن المعالى
تذوب وقـد تناظـرتم حيــاء بفحش اللفظ أو هُجْرِ المقال
ويعلـو خَدَّهـا خَفَـرٌ ينــادى ألا يا للنساء من الرجـــال

---

(١٠٦) الجيد ــ بالكسر : العنق أو مُقَدَّمُه، و (المهاة) : الشمس، والبقرة الوحشية .

(١٠٧) الذَّلَف : صِغَر الأنف .

(١٠٨) « الأدب العصري » (٥٦/٢) طبعة القاهرة (١٩٢٣) .

(١٠٩) « الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام » ص(١٤٤) طبعة القاهرة (١٩٥٨) .

زعمتم تعشقون لها صلاحاً فظني أن ذا عشق الجمال
ومسألة « السفور » غَدَتْ قديماً لدى الكُتَّاب مشكلة النضال
وما أحد لها يدعو فماذا يريد الناس من قيل وقال
أحباً في مناجاة الغواني تُرى .. أم ذاك زهداً في المعالي
بلى فالعلم عندهم كريم ولكن المُتَيَّمَ غيرُ سال
دعوها فهي تؤلمها كثيراً سهام المصلحين بلا اعتدال
عجبت لحلمهم في كل خطب وإن ذُكر البناتُ دَعَوْا نَزَال

وقال آخر :

زعموهن بالحجاب عن العلـ ـم ونور العرفان محتجباتِ
بنت مصر كالشمس يحجبها الليل وراء الآفاق والظلمات
وهي في أفقها ضياء ونور ساطع في بدورها النيراتِ
أوهِيَ المسك ينفذ العَرْفُ منه من وراء الأستار والحجرات

انتهى من « التيار التراثي العربي الحديث » د . سعد دعيبس ص (١٤٨) .

الخطوة الثالثة :

كتاب « المرأة الجديدة »

لم يلبث مؤلف (تحرير المرأة) حين واجه هذه المعارضة التي أحرجته كثيراً أن « أسفر » عن وجهه الحقيقي ، وخلع عنه ثوب الحياء ، وقناع التدين ، وكشف في جرأة وصراحة عن أهدافه المغرضة في كتاب ظهر في العام التالي ، وهو كتاب (المرأة الجديدة) الذي بدأ فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً ، فالتزم فيه مناهج البحث الأوربية الحديثة ، التي ترفض كل المُسَلَّمات والعقائد السابقة ، سواء منها ما جاء من طريق الدين ، وما جاء من غير طريقه ، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع

على حسب المنهج الذي يسلكه باحثو الاجتماع الأوروبيون، وهو ما يسمونه بـ (المنهج العلمي)[١١٠]، فتراه يعتمد على آراء مفكري الغرب، ويصطنع أساليبهم في الإحصاء وفي الدراسات النفسية والاجتماعية والتجريبية.

وبينما كنت تراه هادئاً في كتابه الأول، يحوم حول النصوص الإسلامية، ويمتص من رحيقها، لتعضيد مواقفه في المطالبة بحقوق المرأة، انقلب في الكتاب الثاني، يسلط حمم غضبه، ويستعمل عبارات قاسية في التعبير عن رأيه، عبارات لا تقرها المرأة ذاتها، فهو لا يقبل — بزعمه — « حق ملكية الرجال للنساء »، ويرى ترك حرية النساء للنساء حتى ولو أدى الأمر إلى « إلغاء نظام الزواج، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة، لا تخضع لنظام، ولا يحددها قانون »[١١١]..

و « المرأة الجديدة » التي قصدها « قاسم أمين » هي المرأة الأوربية التي أراد من المصرية أن تتحول إليها، وتتخذها مثلاً أعلى، قال « قاسم » : (هذا التحول هو كل ما نقصد، وغاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع، وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال، وأن تكون مثلها تحرراً، فالبنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن، ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض وحدهن، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة، متنقلات من بلد إلى أخرى، ولم يخطر

(١١٠) « المرأة الجديدة » ص(٧٥)، ومما ينبغي التنبه له أن هذا الذي يسميه علماً ليس علماً بالمعنى الصحيح للكلمة، إلا فيما يتصل بالفروع التجريبية كالطبيعة والكيمياء والهندسة والطب، أما ما يتصل منه بالنفس والاجتماع والأخلاق فإنه لا يزيد على أنه فروض لحل بعض المشكلات، ونظريات لتعليل ما غاب عن الحس، ولذلك فهو دائماً موضع أخذ ورد حتى بين دارسي الغرب، ولا ننسى أن هذه الدراسات النفسية والاجتماعية قد أصبحت موجهة، وتسخر لخدمة المذاهب والأحزاب السياسية المختلفة، وأن بعضها يتذرع باسم (العلم) ليهدم الدين والخلق، ويفرض السياسات الاستعمارية، انظر: «الاتجاهات الوطنية» (١ / ٢٨٣).

(١١١) « مبادىء السياسة والأدب والاجتماع » لأحمد لطفي السيد ص(١٧٣) — كتاب الهلال ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م.

على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما ، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج ، والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها ، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها)[١١٢].

وطلب قاسم أمين من المصريين أن يتخلصوا مما وقر في أنفسهم من أن عاداتهم هي أحسن العادات ، وأن ما سواها لا يستحق الالتفات ، وقال : (إن طالب الحقيقة لا يجب أن يجرى في إصدار أحكامه على هذا الضرب من التساهل ، بل يجب أن يعود نفسه على أن يجرى نقده للحوادث الاجتماعية على أسلوب علمي) ص ٧٥ ، ويقول في موضع آخر : (إن التشريح الفسيولوجي والتجربة في البلاد التي منحت المرأة حريتها قد أثبتت أن المرأة مساوية للرجل في الملَكات) ، ويستشهد في معرض كلامه عن أثر حرارة الجو في إثارة الشهوة بكلام كاتب إيطالي يقول : (إن العفة تكتسب بمنح الحرية للمرأة ، وإن اختلاف الأجواء لا أثر له في ذلك) ، ثم يقول في موضع آخر : (لما تخلصت المرأة المصرية من الاستعباد رأت نفسها في أول الأمر في حيرة لا تدري معها ماذا تصنع بحريتها الجديدة ، وهكذا يكون الحال بالنسبة لحرية النساء : أول جيل يظهر فيه حرية المرأة تكثر الشكوى منها ، ويظن الناس أن بلاءً عظيماً قد حل بهم ، لأن المرأة تكون في دور التمرين على الحرية ، ومع مرور الزمن تتعود المرأة على استعمال حريتها ، وتشعر بواجباتها شيئاً فشيئاً ، وترتقي ملكاتها العقلية والأدبية ، وكلما ظهر عيب في أخلاقها يداوي بالتربية ، حتى تصير إنساناً شاعراً بنفسه)[١١٣] ، ويقول في موضع آخر : (إننا قد ورثنا الصورة التي كوناها عن المرأة من العرب الذين قامت حياتهم ــ حسب زعمه ــ على الغزو والنهب ، ومن ثم لم

---

(١١٢) « آثار باحثة البادية » ص(٢٧٤) .

(١١٣) « المرأة الجديدة » ص (٧٠ ــ ٧١) .

يكن فيها للمرأة نصيب تشارك به في الدولة، ثم لم يكن لها نصيب في تربية الولد، لأن تربيته كانت مقصورة على تغذية جسمه، ليشب مقاتلاً لا عالماً فاضلاً، وصورة المرأة هذه التي ورثها المسلمون ـــ حسب زعمه ـــ عن العرب قد تكون صحيحة بالقياس إلى الماضي، ولكنها مزورة إذا نظرنا إلى الحال والمستقبل)اهـ.

وكان معارضو « قاسم أمين » يرون أن نهضتنا يجب أن تعتمد على تراثنا القديم وعلى حضارتنا الإسلامية وحدها، فقام هو بالرد على ذلك بأن (الحضارة الإسلامية قامت على دعامتين : الأساس الديني الذي كوَّن من القبائل العربية أمة واحدة، والأساس العلمي الذي ارتفعت به الأمة الإسلامية وآدابها)، ثم يزعم أن العلم وقتذاك كان ضعيفاً في أول نشأته، وكانت أصوله ضرباً من الظنون التي لم تؤيدها التجربة، ولذلك كانت قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين، فتغلب الفقهاء على رجال العلم، ووضعوهم تحت رقابتهم، وزجوا بأنفسهم في المسائل العلمية، ينتقدونها ويفتون بمخالفتها لنصوص القرآن والحديث التي يؤولونها، وبذلك حملوا الناس « حسب زعمه » على إساءة الظن بالعلم، فنفروا منه وهجروه، وانتهى بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن العلوم جميعاً باطلة إلا العلوم الدينية، بل قالوا في العلوم الدينية نفسها : إنها يجب أن تقف عند حَدٍّ لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، ثم تقدمت العلوم، وظهرت المكتشفات الحديثة، واستطاع العلم أن يشيد بناءاً لا يمكن لعاقل أن يفكر في هدمه، وتغلب رجال العلم على رجال الدين)[114]، وينتهي « قاسم أمين » من هذا العرض

(١١٤) إن محاولة « قاسم أمين » إلقاء العداوة بين العلم والدين ما هي إلا مظهر من مظاهر التبعية العمياء للغرب حين سادت العداوة بين النصرانية وبين العلوم التجريبية، وفي سحب هذا الحكم على الإسلام والمدنية الإسلامية مغالطة تكشف عن جهل بالواقع التاريخي من جهة، وبحقائق الدين والعلم من جهة أخرى ـــ راجع كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للشيخ أبي الحسن الندوي، وانظر أيضاً (أضواء البيان) للشنقيطي (٣٩٦/٣ ـــ ٤٠٠)، وانظر بحث (فصل الدين عن السياسة ضلالة مستوردة) للأستاذ يوسف العظم، وانظر « بيان الهدى من الضلال » للشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السويح، ومما =

إلى أن التمدن الإسلامي قد بدأ وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم، فكيف يمكن أن نعتقد أن هذا التمدن كان نموذج الكمال البشري ؟ .. ثم يبين أن كثيراً من ظواهر التمدن الإسلامي لا يمكن أن تدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية، ويضرب الأمثلة من نظم هذا التمدن في الحكم، وهي في رأيه أقل من المستوى الذي بلغه اليونان والرومان في كفالة الحريات(١١٥)، كما يضرب أمثلة من نظام الأسرة ليبين أنه كان غاية في الانحلال، وأن الفرق واسع بين وبين النظم والقوانين التي وضعها الأوربيون لتأكيد روابط الأسرة)، ويختم ذلك متسائلاً : (إذا كانت هذه حالهم، فما الذي يطلب منا أن نستعيره منها ؟ .. وأي شيء منها يصلح لتحسين حالنا اليوم ؟) ثم يقول : (متى تقرر أن المدينة الإسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه، لا بما كانت في الحقيقة عليه، وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة، فسيان عندنا بعد ذلك أن احتجاب المرأة كان من أصولها أو لم يكن، وسواء صح أن النساء في أزمان خلافة بغداد والأندلس كن يحضرن مجالس الرجال أو لم يصح، فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا) اهـ(١١٦) .

= يجدر التنبيه إليه أن مصطلح « رجل الدين » مصطلح دخيل على الفهم الإسلامي الصحيح، بل كل مسلم ينبغي أن يكون رجل دين عليه واجبات تجاه دينه لابد من تأديتها حتى يستحق وصف المسلم .

(١١٥) هذه المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الرومانية وترجيح كفة الأخيرة تبين أن المعين الذي كان يستمد منه قاسم أمين وأضرابه هو كتابات (المتحررين) في أوربا الذين كانوا يحقرون الحضارة المسيحية، ويمجدون الحضارة اليونانية واللاتينية الوثنية السابقة على المسيحية، وما هذه المقارنة الغبية إلا صورة جديدة تدل على التخلف الفكري والتقليد الأعمى الذي كان يعاني منه ذلك المفتون بحضارة الغرب، الذي نلاحظ من كتاباته كم كان شامخ الأنف متغطرساً مع مواطنيه، متعالياً على أمته، وفي الوقت ذاته مهدور الكرامة مطأطأ الرأس ذليلاً أمام أعداء دينه وأمته، قد وقف حياته على أن يجذب بمناهجه السقيم أعناقنا نحن المسلمين وجباهنا ــ نحن الموحدين ــ لتسقر أمام أقدام أعدائنا اليهود والصليبيين خاشعة خاضعة .

(١١٦) « المرأة الجديدة » ص(١٨٣)، ويبدو أن الجذرية في كتابه الثاني هذا لم تكن رد فعل للهجوم القاسي من =

ثم يستطرد (عدو المرأة المسلمة) قائلاً : (نحن لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها، فليس خطؤها في ذلك أكبر من خطئها في كثير من الأمور الأخرى ..) ويقول : (.. والذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن ننهض جميعاً لمحاربتها، لأنه ميل إلى التدني والتقهقر .. هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له من دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، إذا أتى هذا الحين ــ ونرجو أن لا يكون بعيداً ــ انجلت الحقيقة أمام عيوننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة، وإن أحوال الإنسان مهما اختلفت، وسواء كانت مادية أو أدبية، خاضعة لسلطان العلم، لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على اختلافها في الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابهاً عظيماً في شكل حكومتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها ولغاتها(١١٧) وكتابتها ومبانيها

= أوساط العلماء الأزهريين، وإنما كان قاسم أمين قد أعد أصول الكتابين في ذهنه قبل نشرهما، وخطط لإخراجهما بهذه الصورة، وقاسم أمين نفسه كان يؤمن بطريقة غرس الأفكار بالتدريج، فقد قال في الصفحات الأولى من « تحرير المرأة » : (إني لست ممن يطمع في تحقيق آماله في وقت قريب، لأن تحويل النفوس إلى وجهة الكمال في شئونها لا يسهل تحقيقه، وإنما يظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد في أثناء حركته الخفية، وكل تغيير يحدث في أمة من الأمم، وتبدو ثمراته في أحوالها، فهو ليس بالأمر البسيط، وإنما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة، تحصل بالتدريج في نفس كل فرد، شيئاً فشيئاً، ثم تسرى من الأفراد إلى مجموع الأمة، فيُحْدِثُ التغيير في حال ذلك المجموع، نشأة أخرى للأمة) اهـ من « تحرير المرأة » ص(٢، ٣) . وهذا يوضح أن قاسماً كان يضمر في نفسه شيئاً لم يشأ أن يعلنه في هذا الكتاب، حتى لا تسقط كل جهوده، فأبرزه في كتابه الثاني « المرأة الجديدة » التي كانت ــ بالفعل ــ امرأة « جديدة » مغايرة تماماً لتلك التي رأيناها في كتابه الأول « تحرير المرأة » .

فالحاصل أن كل ما يمكن أن يكون تركه هجوم شيوخ الأزهر من أثر هو حدة الكلمات والعبارات، لا جوهر الفكر ذاته ــ والله تعالى أعلم ــ انظر « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص(٦٥، ٧٨) .

(١١٧) من المعروف أن قاسم أمين كان يدعو إلى ثورة في لغة الأدب وخطته في ذلك تشبه ثورته الاجتماعية، =

وطرقها، بل في كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوربين، ونشيد بتقليدهم، وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوربية)اهـ[118] .

بعض ردود فعل الكتاب :

موقف « مصطفى كامل » :

تصدى « مصطفى كامل » من جديد « لقاسم أمين »، وكتب في (اللواء) بتاريخ ١٩٠١/٢/٩م معلقاً على كتاب (المرأة الجديدة) : (أخرجه أخيراً قاسم أمين ليدعم به أمر كتابه الأول، ويفتح به آفاقاً جديدة لتحلل المسلمين من دينهم وأخلاقهم)اهـ .

ويحكي « مصطفى كامل » كيف أن سلطان « ملديفى » لما بلغه خبر الكتاب، وسئل عن رأيه في هذه الاتجاهات قال : (أما تعليم النساء المسلمات فقد أصبح من المسائل الحيوية للإسلام والمسلمين، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء إلى خطة مدنية الغرب الغبراء، كان معولاً لهدم أركان الإسلام، وفأساً لفتح القبور لأبنائه، ودَسِّهم فيها وهم أحياء، أما رفع الحجاب فلا أرضاه لنسائي وبلادي، وأما المرأة وحق طلاق زوجها فدعوة لا تصدر من معترف بقول الله في كتابه : ﴿ الرجال

= فتنسلخ من لغة القرآن، ونكتب آدابنا بلهجاتنا العامية على نحو ما انسخلت اللغات الأوربية الحديثة من أمّها اللاتينية، ونعبر في خطنا عن الحركات بحروف تدخل في بنية الكلمة على طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية ــ (انظر « الأعمال الكاملة » ١/١٥٧ ــ ١٥٨) ولا يخفى ما في هذا « التكتيك الخبيث » من خدمة عظيمة لأعداء الإسلام تشير بأصبع الاتهام من جديدة إلى « قاسم أمين » .

(١١٨) « المرأة الجديدة » ص(١٨٥ ــ ١٨٦) .

قوامون على النساء ﴾النساء (٣٤)، فنسأل الله السلامة)اهـ[١١٩].

وأفسح « مصطفى كامل » لعلماء المسلمين المجال في جريدة اللواء ليتصدوا لهذه الدعوة الاستعمارية، وليبينوا حكم الإسلام فيها وفي أصحابها، (وكان من الكُتَّاب الذين نشرت لهم « اللواء » مقالات تعيب على قاسم أمين وذيوله خصومة الحجاب، وتجاوز ذلك إلى تحرر يسيء إلى حياة الأمة الأستاذ « محمود سلامة » الأديب المعروف)[١٢٠].

ومن البحوث التاريخية التي نشرها « اللواء » أيضاً ذلك البحث الذي وضعه قاضي قضاة مصر[١٢١] السيد عبد الله جمال الدين أفندي رحمه الله، ونشرته له « اللواء » في عدديها رقم (٤٥٦، ٤٥٧) بتاريخ (٢٥، ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ، أي في أواخر سنة ١٩٠٠م)، وقد استغرق هذا البحث من كل عدد الصفحة الأولى كاملة، وثلث الصفحة الثانية[١٢٢].

وبما أن هذه الحركة كانت قد نشأت في بيئة وطيدة الصلة بالاحتلال البريطاني، معادية في نفس الوقت لحاكم البلاد الرسمي (الخديوى)، فكان من الطبيعي أن يقف منها الخديوى موقف العداء .. أولاً : لمنافاتها للإسلام في وقت كان الحكام والأمراء يفاخرون بالحرص عليه، وثانياً : لصلتها بالاحتلال الذي يعمل على حشد القوى المناصرة له، لمناهضة الخديوى، والحد من سلطانه، وقد أبرز « مصطفى كامل » موقف الخديوى « عباس حلمي » من هذه الحركة في اللواء بتاريخ (٢٢ أبريل سنة

---

(١١٩) « الحركات النسائية في الشرق » ص(١٨).

(١٢٠) انظر « تطور النهضة النسائية » ص(٥٨).

(١٢١) كره بعض العلماء هذا اللقب لشبهه بلقب « شاهنشاه » أي ملك الأملاك المذموم في السنة الصحيحة، وذلك قوله ﷺ : (إن أخنع اسم عند الله تعالى رجل تسمى ملك الأملاك) متفق عليه.

(١٢٢) وقد طبع حديثاً في كتيب بعنوان (حجاب المرأة العفة والأمانة والحياء) طبع مكتبة التراث الإسلامي (١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م).

١٩٠١م) بعنوان : (رأى الجناب العالي في مسألة الحجاب) وقد جاء فيه ما نصه :

(يرى الجناب العالي حفظه الله في مسألة الحجاب وإطلاق حرية النساء، ما يراه الشرع الشريف ويأمر به، وقد عرف رأى جنابه في هذا الشأن بأمرين :

الأول : أنه أبى قبول كتاب (المرأة الجديدة) عندما ذهب « قاسم أمين » في الأيام الأخيرة إلى المعية السنية، والتمس تقديمه إلى سموه .

الثاني : أنه قبل كتاب (الاحتجاب) الذي رفعه إليه يوم الجمعة الماضي حضره الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله نقيب الأشراف برودس وقريب مؤلف الكتاب عبد الله جمال الدين أفندي رحمه الله، وتقبله حفظه الله بكل ارتياح وانشراح، وأعرب عن عظيم امتنانه من نشره حتى ينتفع به المسلمون، ويرشدهم إلى الحق والصواب) اهـ .

هذا ولم يقف الأمر بالخديوي حيال « قاسم أمين » عند هذا الحد، بل لقد أصدر أمراً بمنعه من دخول القصر في أي مناسبة، مع أنه مستشار[١٢٣] في الدولة، وذلك أنصع في الدلالة على استنكار الخديوي لهذه الحركة الأثيمة[١٢٤] .

---

(١٢٣) درس « قاسم أمين » الحقوق في فرنسا، وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م، فتعين وكيلاً للنائب العمومي في محكمة مصر المختلطة، وما زال يرتقي حتى صار مستشاراً في الاستئناف إلى أن مات بالسكتة في ليلة ٢٣ أبريل ١٩٠٨م وهو في الثالثة والأربعين من عمره، وقد زعم الصحافي « مصطفى أمين » أنه لم يمت موتاً طبيعياً ولكنه انتحر، وذكر سبب ذلك في مقالة نشرت بجريدة المساء (الخميس ٤/٨/١٩٨٣) بعنوان « هل انتحر محرر المرأة بسبب امرأة » .

(١٢٤) ومن المواقف (الملكية) النادرة ما روته وصيفة « الملكة نازلي » عن شدة معاملة « الملك فؤاد » لها، قالت : [وفي السبع عشرة سنة التي عاشها الملك مع الملكة لم يسمح لها بالسفر إلى أوربا سوى مرة واحدة عندما أجمع الأطباء على ضرورة سفرها إلى إحدى مدن المياه المعدنية بفرنسا لتعالج فيها، وذلك عام ١٩٢٧م وكان الملك مسافراً لبعض دول أوربا زيارة رسمية، ورفض أن يصحبها معه في هذه الزيارات، واشترط أن تبقى في أوربا محجبة، ورفض أن تكون معه على نفس الباخرة، وأمر بأن تسافر باليخت (المحروسة) ليتفادى سفرها بالبواخر العادية حتى لا تختلط بالرجال، وأمر الملك أن يكون هناك (ديدبان) طوال =

= الليل في الممشى أمام الجناح الخاص بالملكة في اليخت، وعندما بدأت الرحلة، وخيم الظلام في الليلة الأولى رأت الملكة الديدبان، فغضبت وهاجت وماجت وأمرت قبطان اليخت المحروسة بسحب الديدبان فوراً، وقال لها القبطان في احترام: « إنني أنفذ أوامر جلالة الملك شخصياً »، وقالت الملكة: « ولكن وجوده هنا يضايقني، وصوت حذائه يزعجني ويقلق نومي »، ولم يستطع القبطان أن يقول إن صوت الحذاء لا يسمع مع وجود (البساط) المفروش على الأرض، بل قال للملكة: إذا كان صوت حذاء الديدبان يزعج جلالتك فإنني سآمره أن يخلع حذاءه، وفعلاً كان الجنود الذين يتناوبون الحراسة ليلاً أمام جناح الملكة يخلعون أحذيتهم، ويقفون حفاة تنفيذاً لأمر الملك من جهة، وإرضاءً للملكة من جهة أخرى.

وحدث في تلك الأيام أن نشرت مجلة (روز اليوسف) صورة للملكة نازلي ووجهها مكشوف، فقامت قيامة الملك فؤاد، وطلب من « توفيق نسيم » باشا رئيس الديوان الملكي أن يطلب من « عبد الخالق ثروت » باشا رئيس الوزراء إغلاق مجلة روز اليوسف بتهمة (العيب في الذات الملكية) .. وحقق مدير المطبوعات مع « روز اليوسف »، فقالت: « إن الصورة منقولة عن جريدة فرنسية وزعت في مصر »، واكتفى مدير المطبوعات بتوجيه توبيخ شديد اللهجة إلى « روز اليوسف ».

وكان الملك « فؤاد » يحرص أن لا تبدو الملكة نازلي سافرة أمام رجل، حتى أنها كانت لا تستطيع أن تتنزه في حدائق القصر الملكي إلا إذا حجبت نصف وجهها، وبعدما يتحقق بوليس القصر من عدم وجود رجل في المنطقة التي ستتنزه فيها الملكة، وفي الوقت الذي ستتنزه فيه الملكة، وفي الوقت نفسه يصدر الأمر إلى جنود الحرس الملكي الذين يقفون فوق جدران القصر أن يديروا ظهورهم إلى حديقة القصر طول مدة سير الملكة في الحديقة!

وحدث أن قرر الملك (أمان الله خان) ملك أفغانستان أن يزور مصر وهو في طريقه إلى أوربا، فصحب الملكة (ثريا) زوجته، ورحب الملك فؤاد بملك أفغانستان، ثم سمع أن الملك (أمان الله) دعا نساء أفغانستان إلى نزع الحجاب اقتداء بالغازي (كمال أتاتورك) الذي ألغى الحجاب في تركيا، وجاءت البرقيات تقول إن الملكة (ثريا) سترافق الملك « سافرة » في رحلته، وعندئذ ألغى الملك فؤاد استضافته ملك أفغانستان في قصر عابدين، بحجة أن التقاليد تحول دون اشتراك الملكة ثريا في الزيارة الرسمية، وعُرف أن الملك فؤاد لا يريد أن تقيم ثريا في قصر عابدين حتى لا تُسمِّمَ أفكار الملكة نازلي، ووافق الملك (أمان الله) على أن تكون إقامة ثريا في مصر إقامة غير رسمية، فلا تشترك في الحفلات والاستقبالات التي يُدْعَى إليها، ولم يكتف الملك فؤاد بذلك، بل أبلغ الملك (أمان الله) أنه يرجو ألا تظهر زوجته سافرة أثناء إقامتها في مصر مراعاةً لتقاليدها، وخضعت ثريا لرغبة الملك، وأصدر الملك فؤاد أمره إلى وزارة الداخلية بعدم محاولة تصوير ملكة أفغانستان، وفعلاً لم تظهر صورة واحدة للملكة ثريا في الصحف المصرية طوال مدة إقامتها. =

هل رجع « قاسم أمين » عن آرائه ؟

زعم بعض الباحثين أن قاسم أمين (عدل عن رأيه في عام ١٩٠٦م، بعد أن تبين له أنه ضل الطريق، وذلك ضمن حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التي كان يصدرها « محمد أبو شادي » المحامي، أعلن فيه رجوعه عن رأيه، كما أعلن فيه أنه كان مخطئاً في « توقيت » الدعوة إلى تحرير المرأة)[١٢٥] .

وقد استدل من ذهب إلى ذلك، بحديثه المذكور آنفاً في صحيفة « الظاهر »، وفي الاستدلال بهذا الحديث نظر، لأن عبارته لم تكن صريحة في توبته عن ضلاله بالكلية، ولكنه ادَّعى أن خطأه، كان فقط في « توقيت » الدعوة إلى تحرير المرأة، وليس في مضمون الدعوة ذاتها، وإليك نص عبارته في ذلك :

قال « قاسم أمين » : (لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في تحرير نسائهم، وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في

= وعندما انتهت الزيارة، وصعدت ملكة أفغانستان إلى الباخرة الإيطالية التي أقلتها إلى أوربا أسرعت، ونزعت الحجاب بحركة عصبية، وقالت للصحافيين : (أظن أننا لم نعد مقيدين بأوامر الملك فؤاد هنا) اهـ من مقالات بعنوان : (من عشرة لعشرين) للصحافي مصطفى أمين ــ أخبار اليوم ٩ يناير ١٩٨٢م .

(١٢٥) (الأخوات المسلمات) ص (٢٥٢)، ولعل مما يضعف احتمال رجوعه عن مذهبه ما قالته « هدى شعراوي » في حفل تكريم ذكرى رحيل « قاسم أمين » العشرين ــ والذي حضره : صفية زغلول، وطه حسين، ولطفي السيد، وواصف غالي، وتوفيق دوس، ومصطفى عبد الرزاق : (سادتي وسيداتي : اسمحوا لي أن أبدأ كلمتي بآخر كلمة نطق بها المرحوم قاسم أمين في حفلة نادي المدارس العليا وهو يحيي الطلبة الرومانيين ليلة وفاته إذ قال : « كم أكون سعيداً في اليوم الذي أرى فيه سيداتنا يزين مجالسنا كما تزين طاقات الزهور قاعات الجلوس » هذه هي آخر جملة نطق بها المرحوم قاسم قبل أن يلبي دعوة ربه ببرهة وجيزة، وهي كما ترون تتضمن أمنية غالية لم يمهله الموت حتى يشاهد تحقيقها) اهـ من (حوء) العدد (١٢٤٩) ٣٠ أغسطس ١٩٨٠م ص (١٤ ــ ١٥) .

كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف، ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي، واستنفر الناس إلى معارضتي ..، رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء، ثم ما وجدت زحاماً في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسنة جميعاً .. إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل)[١٢٦] .

وقد كان نشر هذا الكلام قبل موته بعامٍ ونصف، فلعله رأى ــ بعد أن تغيرت الظروف بزوال (كرومر) وانطفاء نفوذ (نازلي فاضل) ربيبته ــ أن يتخفف من تبعه هذه الدعوة المدمرة، بل ربما كان لبعض التجارب أثرها في نفسه، فمما يُروي (أن صديقاً عزيزاً « هو المؤرخ الإسلامي رفيق العظم » زاره ذات مرة، فلما فتح له الباب قال : « جئت هذه المرأة من أجل التحدث مع زوجكَ في بعض المسائل الاجتماعية ! »، فذُهش « قاسم أمين »، كيف يطلب مقابلة زوجته، ومحادثتها ؟ فقال له صديقه : « ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك ؟ » فأطرق « قاسم أمين » صامتاً)[١٢٧]، (كلَّمته زوجة « قاسم » من وراء ستار، وأفهمته أن قاسماً لم يدع إلى السفور، ولا إلى الخلوة بأجنبي)[١٢٨] .

---

(١٢٦) نقلا عن كتاب (رجال اختلف فيهم الرأى) للأستاذ أنور الجندي ص(٢٩) طبع دار الأنصار .

(١٢٧) عن مجلة (الاعتصام) عدد رمضان سنة ١٣٩٩هـ.

(١٢٨) « قاسم أمين » د . « ماهر حسن فهمي » ص (١٥٩)،

= ومن الجدير بالذكر أن زوجة (قاسم أمين) كانت محجبة حجاباً كاملاً، وقد ذكرت في بعض تصريحاتها بعد وفاته :

(أنه ــ أى قاسم ــ لم يرغمها على السفور عندما كان ينادي إليه)، وتقول : (إنها ظلت ترتدي البرقع والحبرة)، وإن قاسماً (كان يكتفي بالمناداة بفكرته، ولكنه لم يطبقها في أسرته إلا على النشء الجديد، أعنى على بناته)، ثم تحاول تبرئه قاسم من وزر الفساد الذي ترتب على دعوته، فتقول : (إن بنات الجيل الحالي وشبابه قد أخطأوا فهم هذه الدعوة، وتجاوزوا مداها، فالمظهر الذي تظهر به فتيات هذا =

موت « قاسم أمين » :

(ومات « قاسم أمين » ليلة الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٠٨م، فأوحى الإنكليز إلى شيعته بإقامة ما يسمى « حفل تأبين » له، فأقاموا هذا الحفل، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور، فقابل رجال الحزب الوطني هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب، ولإبراز أصابع الإنكليز في فتنة السفور)[١٢٩].

من يحمل اللواء ؟

وبموت « قاسم أمين » لم تهدأ هذه الدعوة إلى (تدمير) المرأة إلا قليلاً، وكيف يهدأ للإنكليز بال والخطة لم تصل بعدُ إلى أهدافها ؟

وإن مات « قاسم أمين » فهناك على الساحة السياسية من يستأنف الدور، ويحمل اللواء، هناك « حزب الأمة » وزعاماته المعروفة بعمالتها للإنكليز من أمثال : (أحمد فتحي زغلول)[١٣٠] عضو محكمة دنشواى، والهلباوى جلادها

= العصر ليس سفوراً، بل بهرجة فظيعة لم يكن يخطر على بال قاسم أن ينادي بها أو يدعو إليها، وإنما كان قاسم ينادي بالسفور الشرعي (أ) الذي لا يزيد عن إظهار الوجه واليدين والقدمين، ولا يتجاوزه إلى إظهار العورات، وإلى اختلاط المرأة بالرجل بالشكل الحاصل الآن، وإني أعتقد أن قاسم بك لو كان حياً، لما رضي عن هذه الحال، بل لانبرى إلى محاربتها)اهـ، وانظر « قاسم أمين » لأحمد خاكى ص (١٠٦ ــ ١٠٧).

(١٢٩) (الحركات النسائية في الشرق) ص (١٩).

(١٣٠) أحمد فتحي زغلول شقيق سعد زغلول، اشترك في الحكم على المتهمين في حادثة دنشواي، إذ كان أحد قضاة المحكمة المخصوصة، [وهي التي أصدر بطرس « باشا » غالي وزير الحقانية بالنيابة قراراً بتشكيلها لمحاكمة المتهمين برياسته هو نفسه ــ أى بطرس ــ ، وعضوية كل من (المستر) هيتر و (المستر) بوند والقائم مقام (لادلو)، وأحمد فتحي (بك) زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية] اهـ من (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية) لعبد الرحمن الرافعي ص (٢٠٣)، وفيه أيضاً أن (أحمد زغلول هو الذي كتب الحكم بقلمه، ورقي بعد الحكم وكيلاً لوزارة الحقانية، وسماه مصطفى كامل قاضي دانشوى) اهـ ص (٤١٩) ــ وهو المقصود بقول شوقي في « وداع كرومر » :

أم من صيانتِك القضاءَ بِمصْرَ أن ... تأتي بقاضي دنشوايَ وكيلاً ؟

وسفاحها ، وهناك وكلاء الغرب المنضوون تحت لواء هذا الحزب من أمثال (لطفي السيد) الذي حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير ، وها هو ذا (أستاذ الجيل) أو (منشيء الوطنية المصرية) على حد تعبير « سلامة موسى » يتحدى المسلمين ، ويدخل الفتيات طالباتٍ في الجامعة مختلطات بالطلاب ، سافرات الوجوه ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية(١٣١) ، وظل (أستاذ التضليل) يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات (الجريدة) لسان حزب الأمة(١٣٢) .

(١٣١) وكان عضده ونصيره في تلك الخطوة (طه حسين) و (كامل مرسي) من « المرأة المصرية » لدرية شفيق ص (١٥٣ ، ٢٦٧) ، أما تفاصيل ذلك : فقد حكاها (طه حسين) في الاحتفال بتكريم أولى خريجات الجامعة وأول طيارة مصرية في فبراير ١٩٣٢م حيث قال في كلمته : (أظن أن موقفي الآن ــ ولست من الرجال الرسميين ــ يسمح لي بأن أكشف لحضراتكم عن مؤامرة خطيرة جداً حدثت منذ أعوام ، وكان قوامها جماعة من الجامعيين ، فقد ائتمر الجامعيون ، وقرروا فيما بينهم أن يخدعوا الحكومة ، وأن يختلسوا منها حقاً اختلاساً لا ينبئونها به ولا يشاورونها فيه ، وهو الإذن للفتيات بالتعليم العالي في الجامعة المصرية ، وأؤكد لكم أيها السادة أنه لولا هذه المؤامرة التي اشترك فيها الجامعيون ، وبنوع خاص أحمد لطفي السيد باشا وعلي إبراهيم باشا وهذا الذي يتحدث إليكم ، لولا هذه المؤامرة التي دبرناها سراً في غرفة محكمة الإغلاق لما أتيح لنا ولا للاتحاد النسائي أن أقدم إليكم الآن محامية مصرية وأديبات مصريات ، اتفق هؤلاء الثلاثة فيما بينهم أن يضعوا وزارة المعارف أمام الأمر الواقع ، وكان القانون الأساسي في الجامعة يبيح دخول المصريين ، وهو وإن كان لفظاً مذكراً ينطبق على المصريين والمصريات ، وعلى ذلك ائتمرنا على أن تقبل الفتيات ، فقبلناهن ولم نحدث أحداً بذلك ، حتى إذا تم الأمر وأصبح لهن حق مكتسب في الجامعة ، علمت الوزارة أن الفتيات دخلن الجامعة) اهـ ص (٢٣ ــ ٢٤)من (حواء) العدد ١٢٥٥ / ١١ أكتوبر ١٩٨٠م .

(١٣٢) ومن المعروف أنه كان من الداعين إلى « إصلاح الخط العربي » سنة ١٨٩٩ وذلك بالدلالة بالحرف على الحركات فتكتب سعدٌ بالرفع هكذا (ساعدون) ، وبالنصب (ساعدان) والجر (ساعدين) ، وبفك الإدغام فتكتب محمد هكذا (موحاممادون) في الرفع و (موحاممادان) في النصب و (موحامميدين) في الجر ، وهو يوافق في ذلك القاضي الإنكليزي (ولمور) ، « والأب » (أنستاس) في خططهما الخبيثة للقضاء على لغة القرآن المجيد ومحو الشخصية المسلمة من الوجود .

[وقد كان (لطفي السيد) خصماً للعروبة والوحدة الإسلامية ، وكان يدعو إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان ، وكان يدعو إلى اللهجة العامية على وفق ما دعا إليه المستشرقون والمبشرون مثل (مولار ، =

صدور مجلة « السفور » :

ولما قامت الحرب العالمية الأولى وكانت الفرصة سانحة لإخفات صوت الإسلاميين، وتشريد دعاتهم، وكتم أنفاسهم ــ اعتقلت السلطات البريطانية رجال الحزب الوطني، وانتهز أنصار الحركة النسائية الفرصة، فأصدروا مجلتهم (السفور)

= ويلكوكس) رافعاً شعار « تمصير العربية بإحياء العامية »، وكان يقاوم التضامن العربي الإسلامي، فقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم في طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالي عام ١٩١١، ودعا إلى التزام الحياد المطلق في هذه الحرب الإيطالية « التركية » .

ومن مواقفه الشهيرة أنه مجَّد اللورد كرومر، ووصفه بأنه (من أعظم عظماء الرجال، ويندر أن نجد في تاريخ عصرنا ندًّا له يضارعه في عظائم الأعمال)، ونشر عنه هذا الكلام في نفس اليوم الذي ألقى فيه كرومر خطاب الوداع، فسبَّ المصريين جميعاً .

وقد رسم (أستاذ الجيل) منهجاً للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية في مصر يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبي والاحتلال البريطاني والفكر الغربي تحت اسم عبارة خادعة هي (مصر للمصريين) .

وقد أنشأ ذلك (الأستاذ) حزب الأمة الذي كان « صناعة بريطانية » بإجماع الآراء، وكان هدف هذا الحزب تقنين الاستعمار، والعمل على شرعية الاحتلال، والدعوة إلى مهادنة الغاصب، وتقبل ما يسمح به بدون مطالبته بشيء ! ..

أما موقفه من الدين فيلخصه قوله : (لست ممن يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه، أو قاعدة أخلاقية بعينها، ولكني أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادىء يتمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره، هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر)] انتهى ملخصاً من كتاب (رجال اختلف فيهم الرأي) للأستاذ أنور الجندي ص(٤ ــ ١١)، وقال د. حسين فوزي : (والفكرة في عقيدة لطفي السيد هي الحرية، الحرية في كل صورها ومعانيها، والعقيدة هي القومية والديمقراطية والتمدين) اهـ من « أحمد لطفي السيد » ص(٢٨٧) .

وقد كان الرباط وثيقاً جداً بين (طه حسين) و (لطفي السيد)، وآية ذلك :

ــ أن أول رسالة علمية في الجامعة مُنِحَتْ لطه حسين .

ــ وحينما تحولت الجامعة الأهلية إلى حكومية اشترط لطفي السيد أن يكون طه حسين أستاذاً فيها .

ــ وحينما أُقِيل طه حسين لعدوانه على الإسلام استقال لطفي السيد من الجامعة تضامناً معه .

(انظر « لطفي السيد » للدكتور حسين فوزي ص(٢٧٠ ــ ٢٧٨) .

باسم (عبد الحميد حمدي)، وقد أخذت على عاتقها نشر الدعوة ضد الحجاب، وضد الآداب الإسلامية، وممن كتب فيها داعياً إلى السفور مصطفى عبد الرازق، وعلى عبد الرازق(١٣٣)، وطه السباعي، وصاحب « المجلة » وغيرهم(١٣٤).

وإلى قيام ثورة ١٩١٩ كانت هذه الدعوة الآثمة محصورة في أضيق الحدود، حتى إن المتظاهرات اللاتي أغراهن دعاة التحرير بالخروج في ذلك الحين كن محجبات يرتدين البراقع البيضاء، ولا يخالطن الرجال(١٣٥).

---

(١٣٣) « علي عبد الرازق » صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) صدر كتابه سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) عقب إلغاء الكماليين للخلافة الإسلامية في تركيا ليسوغ صنيعهم، زاعماً أن الخلافة نظام تعارف عليه المسلمون، وليس في أصول الشريعة الإسلامية ما يلزم به، والكتاب مليء بالتهجم الظالم والمتهور على الخلافة والخلفاء، ولم يستثن من ذلك الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وعلى رأسهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه، وزعم عدو الله أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك، لا في سبيل الدين، (حاشا لرسول الله صلى الله عليه وسلم)، وأنكر أن القضاء وظيفة شرعية، ووصف حكومة الخلفاء الراشدين بأنها كانت (لا دينية) وهذه جرأة (لا دينية) من المؤلف، وقد ذهب قبل تأليفه إلى بريطانيا، وأقام فيها عامين، ولقرائن عديدة ذهب فضيلة الشيخ (محمد بخيت) رحمه الله إلى أن الكتاب ليس من تأليف « على عبد الرازق »، ورجح الدكتور « ضياء الدين الريس » بأن مؤلف الكتاب الحقيقي هو مستشرق إنجليزي يهودي الأصل وهو (مرجليوث)، ومن هنا أطلق عليه الأستاذ أنور الجندي (حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث) ! وقد صدرت كتب عديدة ترد على الكتاب، وتفضح مؤامراته، وحوكم مؤلف الكتاب أمام هيئة كبار العلماء بالأزهر، فأصدرت حكمها في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٩٢٥م، وهو يقضي (بإخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية، ومؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من زمرة العلماء، ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت الكتاب المنحول، وفندت أباطيله، إلا أن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات ضافية يكتبها المضللون الشعوبيون ليخدعوا المسلمين بأسمائهم وألقابهم ــ انظر (الاتجاهات الوطنية) (٢/ ٨٥ ــ ٩٥)، (رجال اختلف فيهم الرأى) ص (٦١ ــ ٧٢).

(١٣٤) (تطور النهضة النسائية) ص(١٤).

(١٣٥) من (خمسون عاماً على ثورة ١٩١٩) لأحمد عزت عبد الكريم، أصدرته مؤسسة الأهرام مركز الوثائق =

الطفـرة :

وقد كان ثورة (١٩) أكبر طور طفر بحركة « تحرير المرأة »، وقد تمثل ذلك في مشاركة المرأة في ثورة ١٩١٩، ومؤازرة « سعد زغلول » للحركة النسائية، وكانت المشاركة الفعلية للمرأة بمظاهرة يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩، وكانت هذه المشاركة في ذلك اليوم بمثابة جواز المرور الذي تجاوزت به المرأة الحائط القديم الذي قبعت طويلاً خلفه، لوم تعد إليه أبداً، بعد أن وضعت قدمها موضع قدم الرجل، فعندما تشكل الوفد المصري من الرجال، همت المرأة فشكلت لجنة الوفد من السيدات اللاتي اجتمعن برئاسة « هدى شعراوي » في الكنيسة المرقصية الكبرى يوم (٨ يناير سنة ١٩٢٠)، ومنذ ذلك التاريخ انتقل التنظيم النسائي إلى مرحلة العمل المنظم، على أساس أنه هيئة مستقلة حرة معترف بها، لها الحق في أن تشارك في مجريات الأحداث التي تمر بها البلاد .

وظلت الصحافة في هذه المرحلة، تؤازر المرأة، خاصة التي يحررها صحافيون سفوريون ممن كانوا يؤازرونها من قبل، وممن انضم إليهم من أمثال الدكتور « محمد حسين هيكل » صاحب جريدة « السياسة »، وبعض كتاب مجلة الهلال وغيرهم، ورسمت الصحافة صورة المرأة المثالية، التي يجب أن تتمثلها المرأة المصرية، وهي نفسها صورة المرأة الأوربية في ذلك الوقت، يقول أحد الكتاب : « المرأة الأوربية عندها واجبان مقدسان : بيتها ووطنها، وبين الواجبين تخص بساعة نفسها، فتحضر حفل موسيقى، أو تدعو أصحابها لليلة راقصة، ولا تنسى أن تقف أمام المرآة لتزين حالها، فتتذكر دائماً أنها امرأة، إنها في نظري مثال المرأة الأعلى، ويحسن بالمرأة الشرقية أن

= والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة (ص ١٩٣ ــ ١٩٧)، وقد ضُمِّنَ الكتاب صور المتظاهرات في وسط الطريق وهن يرتدين النقاب الأبيض، والجلباب الأسود، في حين وقف الرجال على جنبات الطريق ينظرون إليهن وقد مضين قدماً .

تقتبس عنها كل شيء »[١٣٦] .

وربط كتاب هذه المرحلة صراحة بين تحرير المرأة وفكرة « المصرية » ونبْذ فكرة « الإسلامية »، يقول « محمود عزمي » ـ وكان من أبرز كُتَّاب تلك المرحلة : (تأثرت بكتب « قاسم أمين » تأثراً عجيباً، جعلني أمقت الحجاب مقتاً شديداً، يرجع إلى اعتبار خاص، هو اعتباره من أصل غير مصري، ودخوله إلى العادات المصرية، عن طريق تحكم بعض الفاتحين الأجانب، فكان حِنْقي على أولئك الأجانب الفاتحين الإسلاميين يزيد)اهـ[١٣٧] .

جريمة الزعيم :

(صحبت « صفية زغلول » زوجها « سعد زغلول » في باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ لعرض القضية المصرية، وقد مكثت صفية ترتدي الحجاب إلى أن عادت مع « سعد زغلول » إلى مصر بعد عودته من منفاه، وعلى ظهر الباخرة التي نقلتهما إلى الإسكندرية، وجد « سعد » البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب، وقال سعد لصفية : « ارفعي الحجاب »، وتدخل « على الشمسى »، و « واصف بطرس » ! ـ من أعضاء الوفد ـ وعارضا في ذلك، فقال سعد زغلول : « المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع، ومن حقها أن ترفع الحجاب اليوم »، ورفعت « صفية زغلول » الحجاب[١٣٨]، ثم وقفت إحدى صنائع

(١٣٦) انظر : (المؤامرة على المرأة المسلمة) ص (١٤).

(١٣٧) « الهلال » العدد الماسي ـ ص (١٣٢).

(١٣٨) ويبدو أن الأمر استقر أخيراً على أن لا تخلع « صفية » الحجاب نزولاً على رغبة (واصف بطرس غالي) !!، فقد حكت « هدى شعراوي » في مذكراتها قصة عودتها على نفس الباخرة التي عاد عليها « سعد »، فقالت :

(وقد بدأ ـ أي سعد ـ يهنئني على توفيقي في الوصول إلى رفع الحجاب، وكيفية عمل الحجاب الشرعي (!) الذي أرتديه، وقال : « إنه قد سُرَّ عندما رأى صورتي بهذا الزي الجديد في منفاه »، ثم =

الاستعمار تخطب في القاهرة في احتفال الشعب المخدوع بقدوم « الزعيم »، وطلب منها رفع الحجاب، وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب) اهـ[١٣٩].

وجاء في جريدة « الجمهورية » الصادرة في (١٩٧٨/٤/٢٠) في الذكرى السبعين لموت « قاسم أمين » تحت عنوان : « تحليل شخصية قاسم أمين » : (ولما تولى « سعد زغلول » زعامة الشعب في عام ١٩١٩ اشترط على السيدات اللواتي يحضرن لسماع خُطَبه أن يزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن، وكانت هذه أول مرحلة عملية للسفور)اهـ.

وفي رواية : (نفت بريطانيا « صديقها » سعد زغلول وجماعته إلى جزيرة « سيسل » فترة، ثم أعادته إلى مصر لتوليه رئاسة الوزارة، وتوقع معه معاهدة، فيكون احتلال بريطانيا لمصر شيئاً رسمياً متفقاً عليه !

هيىء الجو في الإسكندرية لاستقبال سعد، وأُعِدَّ سرادق كبير للرجال، وآخر للنساء المحجبات، وأقيمت الزينات في كل مكان، ونزل « سعد » من الباخرة، وعلى استقبال حافل وهتافات، أخذ طريقه إلى سرادق النساء ــ دون سرادق الرجال ــ فلما دخل على النساء المحجبات، استقبلته « هدى شعراوي » بحجابها ..

فمدَّ يده ــ يا ويله ــ فنزع الحجاب عن وجهها، تبعاً لخطة معينة، وهو يضحك ..

فَصَفَّقَتْ هدى ...

= طلب من السيدة حرمه أن تُقَلِّدَني، فوعدت بذلك ..

صعَدت إلى ظهر الباخرة للنزول، وإذا بصفية هانم تقابلني ببرقعها وملاءتها، فقلت لها : « أين وعدك لسعد باشا بارتداء الإزار الشرعي ؟ »، فقالت : « أنا ليس لي زوج واحد .. واصف باشا غالي استحسن ألا أغير زيي حتى لا أحدث تأثيراً سيئاً في المستقبلين »، فعجبت من ذلك، وصافحتها، ونزلت إلى اللنش الذي كان في انتظاري » اهـ، من (حواء) العدد (١٢٣٧) ٧ يونيو ١٩٨٠م.

(١٣٩) (الأخوات المسلمات) ص (٢٥٥).

وصفقت النساء لهذا الهتك المشين ... ونزعن الحجاب.

ومن ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية، استجابة لـ (رجل الوطنية) سعد، وأصبح الحجاب نشازاً في حياة المسلمة المصرية ..

لقد فعل « سعد » بيده ما دعا إليه اليهودي القديم بلسانه، فكلفه دمه[١٤٠]، أمّا سعد ... ؟!)[١٤١].

ويستنكر الشيخ « مصطفى صبري » ـــ رحمه الله ـــ هذه الجريمة التاريخية البشعة قائلاً : (وكأني بعلماء الدين سكتوا عند وقوع تلك الحادثة احتراماً لسعد، أو انتقده عليه قليل منهم من غير تصريح باسمه كما هو المعتاد عند علماء مصر في النقد، ولكن النهي عن المنكر ليس بجهاد مع الهواء، وإن الحق وخاطر الإسلام أكبر من سعد وألف سعد، وإني تذكرت هنا سعداً الصحابيَّ رضي الله عنه، وقول النبي ﷺ فيه[١٤٢] : أتعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني »)[١٤٣]اهـ .

---

(١٤٠) لعله يشير إلى ما رواه ابن هشام عن محمد بن إسحاق (وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبي عون، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ؛ فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضبت المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع) اهـ من « السيرة النبوية » لابن هشام مع « الروض الأنف » للسهيلي (١٣٧/٣) . وإسناده مرسل معلّق، انظر : (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة) للشيخ ناصر الدين الألباني ص (٢٦ ـــ ٢٧).

(١٤١) « المرأة المسلمة » للشيخ وهبي سليمان غاوجى الألبانى ص (١٨٨).

(١٤٢) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سعد بن عُبادة رضى الله عنه : « لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح » فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال : « تعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير منى، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » الحديث « جامع الأصول ـــ في أحاديث الرسول ﷺ » بتحقيق الأرناؤوط (٤٣٢/٨).

(١٤٣) « قولي في المرأة » للشيخ مصطفى صبري رحمه الله (ص ٧٤ ـــ ٧٥).

« سعد زغلول »

المنفذ الفعلي لأفكار « قاسم أمين » :

(في ثورة سنة ١٩١٩ استطاع المصريون بقيادة « سعد زغلول » أن يحققوا الاستقلال عن كل من تركيا وإنجلترا، وتحقق — في الوقت نفسه — بتعضيد من « سعد زغلول » ومعاونته استقلال المرأة وتحررها العملي، وتحققت بذلك نبوءة « قاسم أمين » الذي كان يرى أن آراءه في المرأة لن تأخذ شكلها العملي إلا على يد « سعد زغلول »، ومن ثم فقد أهداه كتاب « المرأة الجديدة » الذي يمثل الثورة الجذرية الفعلية للمرأة المصرية.

والذي لا يعرفه الكثيرون أن « سعد زغلول » كان لا يقل تحمساً لتحرير المرأة عن شيخه، الشيخ « محمد عبده »، وصديقه « قاسم أمين »، إن لم يكن أكثر حماساً وفاعلية منهما، فهو الرجل الذي قدر له أن يقرر تاريخ مصر طوال العقد الثالث من هذا القرن.

وكان « سعد زغلول » من أبناء الأزهر الذين تخرجوا من الأزهر الشريف ودرسوا الحقوق، واحترفوا المحاماة، واتصل برجال تركيا الفتاة، الذين قضوا على الخلافة الإسلامية في تركيا، وكانت الأميرة « نازلي فاضل » تؤيد أفكارهم، فالتقت فكرياً بسعد زغلول وعهدت إليه بالإشراف على ممتلكاتها، وعن طريق منتداها بدأ نجمه يبزغ، في ظل نجم الأميرة، ونجم الشيخ « محمد عبده »، ثم سطع نجمه عندما مثل أول أدواره السياسة بوصفه صهر « مصطفى فهمي » باشا رئيس الوزراء المصري، وأحد المقربين إلى اللورد « كرومر » سنة ١٩٠٧، ثم عندما أسس حزب الأمة، الذي بارك اللورد كرومر تكوينه راجياً أن يُحِدَّ النزعة الإسلامية — بقيادة « مصطفى كامل » — ثم أسند اللورد لسعد زغلول نظارة المعارف، مكافأة له على خدماته، قبل

أن تتغير الاتجاهات السياسية في مصر في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وثورة سنة ١٩١٩)[١٤٤] .

(وفي هذه الفترة التي قدر لسعد زغلول أن يقرر فيها تاريخ مصر ، قطعت مسألة تحرير المرأة شوطاً ، لم يكن ليتحقق لها بدونه ، ومِنْ ثَمَّ فقد بَزَّ دورُه الشيخ « محمد عبده » ، « وقاسم أمين » معاً ، وذلك لأن « سعد زغلول » ــ كما يقول الشيخ « محمد رشيد رضا » ــ في مجلة المنار « ٧١١/٢٨ ، ٧١٢ » : (دخل في أطوار التفرنج في معيشته ، وأفكاره الاجتماعية ، وغلبت نزعة « المصرية » عنده على فكر « الجامعة الإسلامية » ، ولم يعد يذهب إلى المساجد « وهو خريج الأزهر الشريف » إلا في مناسبات الاحتفالات الرسمية في عهد وزارته ، وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وأنكر عليه أهل الدين أموراً منها عمله في تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ، حتى لقد بدا/للعيان أنه لو كان الأمر بيد « سعد زغلول » ، لحول مصر إلى تركيا كمالية أخرى ، ولكن حال دون ذلك نزوع المصريين الفطري إلى التدين ، والتمسك بعرى الدين ، وخوف سعد ــ إذا تمادى في تحدى مشاعر الناس الدينية ــ من أن يفقد شعبيته ، واحترام البسطاء له)[١٤٥] اهـ .

---

(١٤٤) « تاريخ الشعوب الإسلامية » ــ كارل بروكلمان ــ ص(٧٢٤) ــ ترجمة نبيه أمين فارس ــ ومنير البعلبكي ــ بيروت سنة (١٩٦٨م) .

(١٤٥) انظر « المؤامرة على المرأة المسلمة » ــ د. السيد أحمد فرج / ص(٢٠ ــ ٢١) .

« سعد زغلول » :

أول وزير مصري في ظل الاحتلال :

لقد بدأ (الزعيم) حياته السياسية صديقاً للإنكليز ، وختمها كذلك صديقاً للإنكليز[١٤٦] ، وبدأها بمصاهرة أشهر صديق للإنكليز عرفته مصر في تاريخ الاحتلال الإنكليزي من أوله إلى آخره، وهو « مصطفى فهمي » باشا أول رئيس وزراء في مصر بعد الاحتلال ، (وقد اختار اللورد كرومر سعداً وزيراً للمعارف ، فحاول بمجرد تعيينه إحباط مشروع الجامعة المصرية ، وتصدى للجمعية العمومية حينما طالبت الحكومة في مارس ١٩٠٧ بجعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ بالإنكليزية ، وكان الاحتلال هو الذي أحل اللغة الإنكليزية محل العربية في التدريس)[١٤٧] .

(وبعد تعيينه وزيراً أراد مجموعة من النساء المصريات في القاهرة أن يجتمعن به لأمر من الأمور ، فدخل عليهن، وبهت ، إذ فوجىء بأنهن يسدلن الحجاب على وجوههن ، فرفض الدخول والاجتماع بهن إلا أن يكشفن وجوههن، فأبين ذلك، ولم يحصل الاجتماع)[١٤٨] .

(١٤٦) بل إن مما يحتاج إلى الفحص والتدقيق ما جاء في كتاب (الأخوات المسلمات) نقلاً عن مجلة (المصور) في عددها الخاص الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٧ بعد وفاة سعد زغلول ، فقد نشرت المصور صورة الجنازة تحت عنوان : (الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم) وتحت الصورة مباشرة كتبت العبارة التالية : (وفد البنائين الأحرار ـــ الماسون ـــ في تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطباً من أقطاب الماسونية) ومن قبل ذلك نشرت جريدة (المقطم) في عددها الصادر يوم الجمعة « ٢٦ أغسطس » في الصفحة الأولى العبارة التالية : (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم .. فقدت الماسونية المصرية ، بفقد سعد العظيم الخالد عضداً كبيراً ، وفضلاً كثيراً ، وذخراً وفيراً ، كانت تعتز بفضله .. وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد)اهـ .

(١٤٧) (مصطفى كامل) للرافعي ص (٢٣٩ ، ٤٣١) وانظر مواقفه (الوطنية) ! المماثلة في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) للدكتور « محمد محمد حسين » (٢/٣٧٣ ـــ ٣٩٣) .

(١٤٨) من مقالة بقلم « فاطمة عصمت زكريا » ملحقة بكتاب (المرأة ومكانتها في الإسلام) لأحمد الحصين ص (٢٠٨) .

ومن هنا فلا تعجب إذا رأيت (مصطفى كامل) يعلق على تصرفات الوزير « سعد زغلول » قائلاً : (إن الناس قد فهموا الآن أوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار اللورد كرومر[١٤٩] لوزارة المعارف العمومية صهر رئيس الوزراء « مصطفى فهمي باشا » الأمين على وحيه الخادم لسياسته ... ألا إن الذين كانوا يحترمون الوزير كقاضٍ ليأسفون على حاضره كل الأسف، وليخافون على مستقبله كل الخوف، ويفضلون ماضيه كل التفضيل، ذلك لأن الوزير قائم الآن على منحدر هائل مخيف)[١٥٠]اهـ، ولنختم هذا الفصل بما كتبه « سعد زغلول » عن اللورد « كرومر »، قال : (كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها في حياتي السياسية)، (وكان يصفه بأن صفاته ــ أي كرومر ــ قد اتفق الكل على كمالها).

ويحكي « سعد » في مذكراته وقع خبر استعفاء « كرومر » من منصبه في (١٩٠٧/٤/١١) عليه، فيقول : (أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه، أو كمن وُخِزَ بآلة حادة، فلم يشعر بألمها لشدة هولها .. لقد امتلأت رأسي أوهاماً، وقلبي خفقاناً، وصدري ضيقاً).

وكان سعد في مقدمة الداعين إلى إقامة حفل لتوديع اللورد كرومر الذي سب في

---

(١٤٩) ذكر كرومر في تقرير سنة ١٩٠٦م (أن في مصر جماعة صغيرة العدد، آخذة في الازدياد، هي الحزب الذي يمكن أن أسميه على سبيل الاختصار بأتباع المفتي الأخير « محمد عبده »)، وذكر في خصائصهم أنهم (غير متأثرين بدعوة الجامعة الإسلامية، ويتضمن برنامجهم ــ إن كنت قد فهمته حق الفهم ــ التعاون مع الأوروبيين، لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم)، ثم أشار كرومر إلى أنه (تشجيعاً لهذا الحزب ــ وعلى سبيل التجربة ــ قد اختار أحد رجاله، وهو « سعد زغلول » وزيراً للمعارف) اهـ، وانظر : « الإسلام والحضارة الغربية » للدكتور « محمد محمد حسين » ص (٧٥).

(١٥٠) (مصطفى كامل) للرافعي ص (٤٢٢).

خطاب وداعه المصريين جميعاً ولم يمدح إلا رجلاً واحداً هو « سعد زغلول » وأعلن أنه يترك مصر مستريحاً لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال، وصدق، فقد ألف في ذلك العام « حزب الأمة »[(١٥١)]، وأصبح « لطفي السيد » حامل لواء « الجريدة »[(١٥٢)]، وعين « سعد زغلول » ناظراً للمعارف، وقال كرومر في تعليل هذا التعيين : (إنه يرجع أساساً إلى الرغبة في ضم رجل قادر ومصري مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح في مصر)، (كما أن سعداً من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم « جيرونديي »[(١٥٣)] الحركة الوطنية المصرية، والذي كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمر الذي جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية)[(١٥٤)]اهـ .

---

(١٥١) تكون « حزب الأمة » ـــ كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـــ « من أركان أصدقاء الشيخ محمد عبده، من كبار رجال الحكومة، ووجهاء القطر »اهـ من (تاريخ الإمام) (٥٩١/١) ـــ مطبعة المنار سنة ١٩٣٥م.

قال الدكتور السيد أحمد فرج : (إن حزب الأمة أنهى علاقاته بالجذور القديمة الإسلامية، وصفى آثارها تماماً ليهيىء الجو للفكر العلماني الذي أطبق على البلاد بلا شريك ـــ لأول مرة ـــ وفرض أسلوب الغرب في الحكم والتربية، والتشريع والاقتصاد، يوضح ذلك بيان الحزب نفسه الذي صدر ليحذر بجلاء « الذين يتهمون هذه الحركة الجديدة، حركة حزب الأمة، بأن لها مظهراً من مظاهر التعصب الدينى أى الـ Pan Islamism » لأنهم يريدون بهذه التهمة أن يعدوا بيننا وبين أحرار الأوروبيين، خاصة وأنهم يعلمون أن المصريين أبعد الناس عن هذه التهمة، وأبرؤهم منها » اهـ « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص (١٧) . وانظر : (قصة حياتي) أحمد لطفي السيد ص (٤٤) .

(١٥٢) (اتضح أن أهم أسباب إصدار « الجريدة » إظهار نوايا حزب الأمة في تطليق فكرة الإسلامية نهائياً، والعمل على تغيير الأفكار والعادات الاجتماعية في مصر) اهـ من « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص (١٧).

(١٥٣) انظر : « الموسوعة العربية الميسرة » ص (٦٧٧).

(١٥٤) انظر (رجال اختلف فيهم الرأى) لأنور الجندي ص (١٦ ـــ ١٨).

تلميذ المدرسة الاستعمارية
وبداية « تحرير المرأة »(*)

لم يكن يتخيل أحد أن « يجاهر » أحد من القائمين على دعوة« تحرير المرأة » بأن هذا « التحرير » في مفهومه يرادف « الأسر » بل ويرادف « الانحلال » بكل ما تحتمله الكلمة من معان.

ومع وضوح السلسلة التاريخية التي مرت بها حركة « تحرير المرأة »، والتي سردنا بعضاً من حلقاتها فيما تقدم، ومع إمكان الاختلاف في تحديد بدايتها على وجه الدقة، إلا أنه لم يوجد « قلم » يحترم نفسه جرؤ على الزعم بأن عام ١٨٠٠م هو عام تحرير المرأة المصرية ! وأن « الحملة الفرنسية » كانت نقطة « الانطلاق » إلى « تحرير المرأة » من كل قيد، وأول ذلك قيد الدين والخلق والحياء .. فماذا عن عام ١٨٠٠م ؟

(عام ١٨٠٠ عام هزيمة ثورة القاهرة الثانية، عام سبي جنود الاحتلال الفرنسي لنساء مصر وبناتها وغلمانها .. هو عام تحرير المرأة المصرية) لقد انفرد بهذا الكشف « لويس عوض » !

يقـول :

(أما عام ١٨٠٠م فهو عام تحرير المرأة ففي الجبرتي وصف لبدايات حركة السفور، ووصف لبدايات حركة تحرير المرأة، ووصف لما أصاب بعض نساء القاهرة من انطلاق نتيجة لمخالطة المصريين للفرنسيين، ومحاكاتهم في الزى وفي

(*) بتصرف من « ودخلت الخيل الأزهر » ص (٣٩٥ ـ ٤١٤) ط. أولى، (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م) ـ الدار العلمية ـ بيروت.

السلوك)[155].

ويستشهد « لويس عوض » على حركة (التحرير) هذه بقول الجبرتي : (ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر، ومع البعض منهم نساؤهم، كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم، وهن حاسرات الوجوه، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى، والمزركشات المصبوغة، ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن، وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار، ومبالغة في إخفائه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، وَصِرْنَ مأسوراتٍ عندهم، فزيوهن بزي نسائهم، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر، ولما حل بأهل البلد من الذل والهوان وسلب الأموال، واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيين ومن والاهم، وشدة رغبتهم في النساء، وخضوعهم لهن، وموافقة مرادهن، وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها[156]، فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار، واستملن نظراءهن، واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات .

---

(١٥٥) « تاريخ الفكر » للويس عوض « ج١ »

(١٥٦) أي حذاؤها.

وخطب الكثير منهم بنات الأعيان ، وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم ، فيظهر حالة العقد الإسلام ، وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها) .

(ومنها أنه أوفى النيل أذرعه ، ودخل الماء إلى الخليج ، وجرت فيه السفن ، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيين ومصاحبتهن لهم في المراكب ، والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وبصحبتهم آلات الطرب ، وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المجاديف بسخف موضوعاتهم وكتائف مطبوعاتهم ، وخصوصاً إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم ، وتحكمت في عقولهم ، فيصرخون ، ويطبلون ، ويرقصون ، ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير) .

(وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ، ذهبن إليهم أفواجاً فرادى وأزواجاً ، فنططن الحيطان ، وتسلقن إليهم من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك) اهـ .

هكذا يفهم (لويس عوض) من العبارات السابقة للجبرتي أنه كانت هناك (ثورة نساء) أو (ثورة حريم) في مصر « أو على الأقل في القاهرة عام ١٨٠٠ » .

ومع أن الجبرتي لم يترك فرصة لسوء الفهم هذا ، فإن تلميذ المدرسة الاستعمارية يصر على أنها كانت ظاهرة عامة نابعة عن « ثورة تحررية » ! ، وليست حالة انهيار تحدث في جميع المجتمعات التي تتعرض للاحتلال والنهب والسلب والتجويع ، وأسْر بنات الأسَر ، كالجواري ، ووضعهن في معسكرات الجند « مأسورات » .

مؤرخ المدرسة الاستعمارية يجعل من انحطاط المرأة إلى حد التكسب

(بالفاحشة) ثورة نساء، وبداية تحرر المرأة !

وهو بذلك يعكس احتقاراً عميقاً للمرأة، كما يعكس مفهوماً وقحاً لمعنى تحرر المرأة، ولكنه لا يكتفي بذلك بل يصر على أن يجعل هذا التحرر بعلم رجال مصر ورضاهم .

والجبرتي دقيق وواضح حين يبين أن الفريق الأول أو (الرائدات) هن من النساء الأسافل والفواحش، أما الفريق الثاني من الحرائر فهو يعتذر عنهن بالأسر، ولكن « لويس عوض » يأبى إلا أن يلوى عنق النص، ويدعى أن الجبرتي (يتحدث عن الحرائر من ربات البيوت وبناتها .. عن سيدات المجتمع، وهؤلاء ما كان يمكن أن يخالطن الفرنسيات والفرنسيين إلا برضاء الأولياء عليهن)[١٥٧] اهـ .

وهكذا يزعم تليمذ المدرسة الاستعمارية أن المجتمع المصري (المتحرر) تحولت نساؤه إلى بغايا، وتحول رجاله إلى قوم يرضون بذلك !

ثم تأمل افتراءه ــ عامله الله بعدله ــ حينما يدعى أن طبقات النساء اللواتي حاكين المتفرنسات والعادات الفرنسية فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار قد اتسعت (بتأثير سبايا الفرنسيين المتحررات من بنات بولاق) اهـ .

نعم في منطق « لويس عوض » وأمثاله لا تتعارض كلمة (سبايا) مع كلمة (متحررات) لأن الحرية التي هي مثار الجدل هنا هي (الحرية الشهوانية) بمعناها السوقي المبتذل، ومن ثم يمكن أن تكون المرأة جارية سبية، وفي نفس الوقت « متحررة »، بل وطليعة ثورة تحررية، لأنها تتبرج في ثيابها وتخرج سافرة الوجه متأبطة ذراع (محررها) و (مالكها) في نفس الوقت، ومن ثم يمكن أيضاً ــ في منطق الرجل ــ الفصل بين (حرية المرأة المملوكة) وبين (حرية الوطن الأسير) .

---

(١٥٧) « تاريخ الفكر » لويس عوض (ج١) .

إن ظاهرة (الانحلال) ظاهرة عامة في المستعمرات، ولا علاقة لها بمركز المرأة، إذ إنها ظاهرة تنشأ عند قشرة المجتمع، عند نقطة احتكاكه بالمحتل الأجنبي، وهي حينئذ لن تتحول إلى ثورة نسائية ولا إلى حركة تحرير للمرأة، لأن المرأة لا تتحرر على يد جيش احتلال يهتك الأعراض ويدنس الحرمات .

الاستعمار الأوربي
حملة صليبية جديدة

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾

سورة البقرة آية (٢١٧)

كان الجندي الإيطالي يرتدي لباس الحرب، قادماً لاستعمار بلاد الإسلام، وهو ينشد بأعلى صوته :

(يا أمـاه ...

أتمي صلاتك .... ولا تبكي

بل اضحكي، وتأملي ... ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني

وأنا ذاهب إلى طرابلس

فرحاً مسروراً ...

لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ...

ولأحارب الديانة الإسلامية ...

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ...)[١٥٨].

(والمتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام، يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام

(١٥٨) (قادة الغرب يقولون) نقلا عن « القومية والغزو الفكري » ص (٢٠٨) وهذه الأنشودة المشهورة تسمى (أغنية الفاشيست) كانت جيوش الطليان الجرارة تترنم بها وهي تسير مدججة بالسلاح في طرقات طرابلس وبرقة بصوت واحد (انظر : الاتجاهات الوطنية ٢ / ١٥٧).

إلى أبعد نقطة في النفسية الأوربية.

هذا الحقد، وذلك الخوف، لا شأن لنا بهما إذا كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسياً، واقتصادياً، وحتى هذه الساعة، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم.

سوف تشهد لنا أقوال قادتهم أن للغرب، والحضارة الغربية بكل فروعها القومية، وألوانها السياسية موقفاً تجاه الإسلام لا يتغير، إنها تحاول تدمير الإسلام، وإنهاء وجود شعوبه دون رحمة.

حاولوا تدمير الإسلام في الحروب الصليبية(١٥٩)، ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الإسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا .. ثم ليعودوا إلينا بجيوش جديدة، وفكر جديد، وهدفهم تدمير الإسلام من جديد)(١٦٠).

ومهما حاولت هذه الحملات الاستتار تحت راية « نشر الحضارة والتقدم » في البلاد المستعمرة، فإن الحقيقة التي لا تخفى على كل ذى لب أن الغرب بنى، ولايزال ينى علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية بيننا وبينه لا تزال مستمرة، وهاكم البراهين على ذلك:

• فسياسة أمريكا معنا تخطط على هذا الأساس:

قال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس (جونسون) لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ : (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست

---

(١٥٩) (ويوم دخلوا بيت المقدس ذبحوا فيه سبعين ألفاً من المسلمين حتى غاصت الخيل إلى صدورها في دماء المسلمين)اهـ من (حاضر العالم الإسلامي) لستودارد ص (٢٠٨).

(١٦٠) (قادة الغرب يقولون) للأستاذ جلال العالم ص (٦ — ٧) طبعة المختار الإسلامي.

خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصُّهْيَوْنِيَّة، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها)[١٦١] اهـ .

وبالأمس (وقف مندوب أمريكا في هيئة الأمم قائلاً : إن الصراع الحقيقي في الشرق ليس بين العرب واليهود، إنما الصراع الحقيقي هو ما بين حضارة الإسلام، وحضارة الغرب، فإذا استطعنا أن نزيح حضارة الإسلام عن ميدان الصراع هان علينا تصفية القضية، وسهل علينا الجمع ما بين العرب واليهود)[١٦٢] .

والحرب الصليبية الثامنة قادها « أللنبى » :

قال « باترسون سمث » في كتابه « حياة المسيح الشعبية » : (باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة « أللنبى » على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة)[١٦٣] .

---

(١٦١) المصدر السابق ص (٢٥ ــ ٢٦) نقلاً عن (معركة المصير) ص (٨٧ ــ ٩٤).

(١٦٢) « محاضرات الجامعة الإسلامية » موسم عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) هامش (١٢٤).

(١٦٣) عن مجلة الطليعة القاهرية ــ مقال وليم سليمان عدد ديسمبر ١٩٦٦ ــ ص (٨٤).

ولذلك نشرت الصحف البريطانية صور « أللنبى » ، تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس : (اليوم انتهت الحروب الصليبية) ، ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف « أللنبى » وحده بل هو موقف السياسة الإنكليزية كلها ، قالت الصحف :

(هنأ « لويد جورج » وزير الخارجية البريطانية الجنرال « أللنبى » في البرلمان البريطاني ، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية ، التي سماها « لويد جورج » : الحرب الصليبية الثامنة) .

وقال « ألان مورهيد » مؤلف كتابي : « النيل الأبيض » و « النيل الأزرق » : (إن احتلال الإنكليز لمصر سنة ١٨٨١ كان لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة ، وتيار محمدي متعصب)(١٦٤) .

والفرنسيون أيضاً صليبيون :

فالجنرال (غورو) عندما تغلب على جيش (ميسلون) خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر (صلاح الدين الأيوبي) عند الجامع الأموي ، وركله بقدمه قائلاً : « ها قد عندنا يا صلاح الدين »(١٦٥) ، وقد صرح القائد الفرنسي (بيير كيلر) بهذه الدوافع الصليبية حيث قال في كتابه (القضية العربية في نظر الغرب)(١٦٦) : (إن مصالح فرنسا في الشرق الأوسط هي قبل كل شيء مصالح روحية ، وتعود هذه العلاقات إلى عهد الصليبيين ، حيث وقعت معاهدات لحفظ الأماكن المقدسة ، وجددت هذه المعاهدات على مر القرون ، وتحملت فيها فرنسا مهمة حماية نصارى الشرق) اهـ . ويؤكد صيلبية الفرنسيين ما قاله (بيدو) وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض

---

(١٦٤) « محاضرات الجامعة الإسلامية » عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) ص (٣١)

(١٦٥) « قادة الغرب يقولون » نقلاً عن (القومية والغزو الفكري) ص (٨٤) .

(١٦٦) ص (١١٩) عن (الاتجاهات الوطنية) (٢ / ٢٠) .

البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في « مراكش » فأجابهم : « إنها معركة بين الهلال والصليب »[١٦٧] .

وفي ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر قال الحاكم الفرنسي في الجزائر : (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من جودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[١٦٨] .

● وهذا هو الكاتب الفرنسي « فرنسيس جانسون » يعترف بـ (أن الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل طابع الحروب الصليبية : « التبشير والاستعمار »)[١٦٩] .

● وبعد سقوط القدس عام (١٩٦٧) .

قال (راندولف تشرشل) : « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود »[١٧٠] .

وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام (١٩٦٧م) تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع « موشى ديان » :

« هذا يوم بيوم خيبر . . يا لثارات خيبر » .

● وخرج أعوان إسرائيل بمظاهرات قبل حرب (١٩٦٧) تحمل لافتات في باريس،

---

(١٦٧) « قادة الغرب يقولون » ص (٢٨) نقلاً عن (القومية والغزو الفكري) ص (٨٤) .

(١٦٨) السابق ص (٣٣) نقلاً عن (المنار) عدد (١٩٦٢/١١/٩م) .

(١٦٩) « محاضرات الجامعة الإسلامية » (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) ص (١٣١) .

(١٧٠) « قادة الغرب يقولون » عن (حرب الأيام الستة) لراندولف تشرشل ص (١٣٩) من الترجمة العربية .

سار تحت هذه اللافتات اليهودي الوجودي (جان بول سارتر)، وقد كتب عليها، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما : « قاتلوا المسلمين » .

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط، كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتبت عليها : « هزيمة الهلال »، بيعت بالملايين .. لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوربية في المنطقة وهي : محاربة الإسلام وتدمير المسلمين[١٧١] .

وهذا « لورنس براون » يقول : (إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[١٧٢] .

وهذا « جلادستون » رئيس وزراء إنكلترا[١٧٣] وقد وقف في أواخر القرن الماضي في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه القرآن المجيد، وصاح في أعضاء البرلمان قائلاً : (إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر : أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق، وقال : (وهذه الكعبة)[١٧٤]، وقال أيضاً : (مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[١٧٥] .

(١٧١) السابق ص (٣٠ — ٣١) عن (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ص ٢٠ — ٢١) .

(١٧٢) (التبشير والاستعمار) ص (١٨٤) طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٧م .

(١٧٣) كان (مصطفى كامل) قد راسل غلادستون هذا من باريس يسأله رأيه في مسألة مصر والاحتلال، فأجابه (غلادستون) جواباً جاء في جملته : (إننا يجب أن نترك مصر بعد أن نعم فيها بكل شرف — وفي فائدة مصر نفسها — العمل الذي من أجله دخلناها) انتهى من (بناة النهضة العربية) ص (٥٨) .

(١٧٤) (الحركات النسائية في الشرق) ص (٧) .

(١٧٥) (الإسلام على مفترق الطرق) ص (٣٩) .

وهو القائل أيضاً : (لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ، ويغطي به القرآن)[١٧٦] .

وهذا « كرومر » يقول (جئت لأمحو ثلاثاً القرآن ، والكعبة ، والأزهر)[١٧٧] .

وهذا القسيس (زويمر) يبشر المؤتمرين في « مؤتمر القاهرة التبشيري » (١٩٠٦م) الذي ناقش خطة تنصير العالم الإسلامي ، ويوصيهم بجملة وصايا كان آخرها : (أن لا يقنطوا إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين ، وإلى تحرير نسائهم)[١٧٨] .

وهذا (جان بول رو) يقول في كتابه (الإسلام في الغرب)[١٧٩] : (إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي ، لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة) اهـ .

وفي تصريح لـ « بن غوريون » في الكنيست قال : (أصبروا فلن يكون هناك سلام لإسرائيل مادام العرب تحت قيادة الرجعيين ، إن الشرط الأساسي للسلام ، هو أن يقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من « التقاليد » الإسلامية)[١٨٠] .

وبالأمس القريب نشرت مجلة (الأمة) أن رئيس أمريكا (ريجان) وجه إليه أحد الصحافيين سؤالاً نصه : (متى تنتهي مهزلة ما يحدث في بيروت والدماء تنزف ؟)

---

(١٧٦) (المرأة ومكانتها للحصين) ص (١٢) .

(١٧٧) « الخنجر المسموم » لأنور الجندي ص (٢٩) .

(١٧٨) « أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي » للدكتور علي جريشة ، ومحمد شريف الزيبق ص (٣٤) .

(١٧٩) انظر ص (١٧٨ ــ ١٨٩) والكتاب ترجمة : نجدة هاجر وزميله ، طبع في مصر ١٩٦٠م .

(١٨٠) « محاضرات الجامعة الإسلامية » ص (١٣١) عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) .

فأجاب رئيس أمريكا في غرور واضح : (إننا لا نزال صليبيين ! ولابد من إنهاء المناوشات بين المسلمين واليهود، وحماية أتباع المسيح في لبنان من المسلمين الغرباء)[١٨١] .

[بل هذه قلعة (الشقيف) القائمة على تل في جنوب لبنان، ويسميها الأوربيون قلعة (بوفور) نسبة إلى القائد الذي أقامها أيام الحروب الصليبية منذ قرون، وقد كانت محل قصف دائم من إسرائيل طيلة سنوات، وفي اكتساحها للجنوب، لم تتمكن من إخراج المقاومة منها إلا بعد أن دمرتها تماماً، واستدعى يومها الجنرال « إيتان » قائد الجيش الإسرائيلي « مناحم بيجن » إلى أطلال القلعة ليقدم له القلعة هدية، وجاء « بيجن » ليرفع عليها العلم الإسرائيلي قائلاً : (ها قد عدنا) ناسباً بذلك غزوه إلى الغزوات الأوربية التي أقامت ممالكها في تلك المنطقة قروناً قبل أن يستردها العرب، ومستخدماً عبارة الجنرال (غورو) القائد الفرنسي حين احتل دمشق سنة ١٩٢٠، ووقف أمام قبر « صلاح الدين الأيوبي »، وقال : (ها قد عدنا يا صلاح الدين)][١٨٢] .

ومن هنـــا :

لم يكن عفواً أن يبدأ المبشرون الصليبيون بمصر قلعة الإسلام الصامدة، ومركز ثقله، وموطن الأزهر .

ولم يكن عفواً أن يكون قادة الغزو الصليبي الجديد لمصر من القساوسة المعروفين بكيدهم للإسلام والمسلمين أمثال (دنلوب) كاهن السياسة التعليمية الفاسدة التي زرعها في مصر لقطع صلة الأجيال بالإسلام، و (كرومر) الحاكم البريطاني الذي أذل

---

(١٨١) « الأمة » العدد (٣١) السنة الثالثة .

(١٨٢) (يوميات) الأهرام (١٩٨٢/٨/١٢م) ص (١٨) .

المصريين لمدة ربع قرن من الزمان، والذي حرص على صياغة جيل من المثقفين ثقافة أوربية يقبل التعاون مع الاستعمار، ويخلفه في حمل راية التفرنج بعد رحيل جيوشه حتى يضمن قهر الإسلام، ويأمن بعث المسلمين من جديد بعد رحيله، وكلا الرجلين (دنلوب) و (كرومر) قد تخرجا من أكبر المدارس اللاهوتية في أوربا، ولم يكن من المستغرب أيضاً أن ينشط لدعوة الحرية عامة، و (تحرير المرأة) خاصة النصارى، والشاميون المقيمون في مصر(١٨٣)، فهؤلاء كانوا يعملون لنصرة أبناء دينهم أمثال (كرومر وزويمر ودنلوب وغورو وأللنبى)، (وتصورهم الديني غارق في التثليث والعشاء الرباني، وصكوك الغفران .. لكن من المؤسف أن يسير في هذا الخط المدمر أناس من أبناء المسلمين، أضلهم الشيطان على علم، وعميت أبصارهم عن الحقيقة، فكانوا خداماً لأسيادهم وأولياء نعمتهم من الفرنج)(١٨٤).

وكعناصر أى معركة : كانت (القيادة) صليبية، و (القاعدة) أرض وطننا المسلم مصر، و (الأسلحة) متنوعة مادية ونفسية (والجنود) عسكريين ومفكرين ومبشرين و (الضحية) بسطاء المسلمين ومستضعفيهم (والعملاء) الهواة منهم والمحترفون، الحكام والقادة الفكريون يمارسون بأيديهم إبادة مقومات القوة في أمتنا ليسهلوا على العدو الخبيث المتربص التهامها .. وما أفظعها من مهمة يمارسها العملاء حين يدمرون أممهم، ثم يدفعونها في فم الغول الاستعماري البشع ليلتهمها .. لقمة سائغة !

---

(١٨٣) أمثال : مرقص فهمي، وميخائيل عبد السيد، وجرجى زيدان، ولويس عوض، وسلامة موسى، وفرح أنطون، وشبلي الشميل، وقسطنطين رزق، وميشيل عفلق، وجورج حبش، وأنطون سعادة، وشاعر المجون والعربدة نزار قباني وغيرهم انظر : (المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التحرر) للدكتور « عمر الأشقر » ص (١٤)، و (المرأة ومكانتها) للحصين ص (٢٠٨)، و (الاتجاهات الوطنية) (١ / ٢٠٣) وما بعدها.

(١٨٤) (المرأة ومكانتها في الإسلام) للحصين ص (٢١٩) بتصرف.

لقد استطاع أعداء الإسلام في تلك الحقبة أن يغرسوا في نفوس الكثير من المنهزمين أنهم ما أتوا إلا لتعمير بلادنا ونشر الحضارة والثقافة، وجهل هؤلاء المنهزمون أن هؤلاء الأعداء الموتورين قد توارثوا الأحقاد على الإسلام عبر القرون، وأنهم لا يألون جهداً حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا.

كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا أن يبعثوا الحقد نيراناً وينتقموا
هذى حضارتهم والشر يملؤها ماتت على صرحها الأخلاق والشيمُ

والآن .. وبعد أن انكشفت لنا الحقائق جلية عن نوايا أعدائنا بنا وخططهم لتدميرنا، وعن حقيقة هؤلاء الذين قامت على أكتافهم دعوة (تحرير المرأة)، وسنكشف فيما بعد إن شاء الله عن حقيقة هؤلاء اللاتي طفن بأوربة، وحججن إلى حضارتها، وشددن الرحال إلى مؤتمراتها، و « مؤامراتها »، ثم عدن نائبات عن (أسيادهن) في مهمة (تدمير المرأة المسلمة) وبذلن كل فروض الطاعة والولاء الصريح لأعداء الإسلام، وبخلن في الوقت نفسه بإظهار أى صورة من صور الولاء الحقيقي لله ولرسوله وللمؤمنين، وجهر بعضهن بعد ذلك بالطعن في الدين، والتبرى من شريعة سيد المرسلين ﷺ أفلا يحق لنا بعد هذا كله أن نتساءل :

(ما سر العلاقة الودية الوثيقة التي تربط بين دعاة تحرير المرأة وبين القوى الاستعمارية والمعادية للإسلام وعلمائه ودعاته وأهله في كل مكان من العالم حولنا ؟ إنه بالرغم من افتراض حسن النية أو الجهل عند من كان يظهر الإسلام من دعاة (تحرير المرأة) لكن هذا الافتراض لم يمنع بعض المحللين والباحثين حق الاجتهاد والبحث عن علاقة ما محتملة، سرية أو علنية بين مخططات البهائية والصهيونية والماسونية ومسيرتها السرطانية الدؤوبة التي لا نشعر بها إلا بعد ظهور الأورام، وتفشى الموت في الدم واللحم والعظم ــ وبين قيادات ودعاة السفور على مساحة ديار المسلمين الواسعة، و « من أوقع نفسه مواقع التهمة، فلا يلومن من أساء الظن به »).

فلنستصحب هذه المعاني الآن ونحن نجول بين أعلام نسائية بارزة كان لها دور ما في « معركة الحجاب والسفور » ، ولنتأمل جيداً دورهن « كتلميذات للاستعمار » ، ما منهن واحدة إلا ورحلت إلى « هناك » لِتُلَقَّنَ أصولَ الدعوة المدمرة ، ثم عادت إلى « هنا » لتتبوأ مراكز التوجيه .. متجردة من الولاء للإسلام والاعتزاز بأحكامه ، ومخلصة في عبادتها لأوربة ، بل فخورة باستعباد أوربة لها ، رافضة بلسان حالها وسلوكها ولحن قولها أن تجعل الإسلام منظاراً على عينها ترى الأشياء من خلاله ، وتُحَكِّمه فيما هي عليه من عقيدة ومنهاج .

خريجات البيوت العميلة
في موكب الرذيلة

ارتبطت الأحزاب النسائية في الشرق على اختلاف أسمائها بعجلة الاستعمار منذ أول يوم من نشأتها، وقامت بتزعم هذه الأحزاب نسوة لا نستطيع تفسير نشاطهن ضد الآداب والأحكام الإسلامية إلا بإلقاء بعض الضوء حسبما تسمح هذه العجالة على الخلفيات والبيئات التي نشأن فيها، وبالتالي خرجت منهن زعيمات مقلدات للغرب، بل ومنفذات لخططه في تدمير الأسرة المسلمة، وانخدع بهن كثير من المسلمات، وانقدن وراء دعوتهن .

أعمى يقود بصيراً لا أبالكم   قد ضل من كانت العميات تهديه

١ ــ « صفية زغلول »(١٨٥) .

زوجة « الزعيم » « سعد زغلول »، وابنة « مصطفى فهمي » رئيس الوزراء التركي الأصل الذي كانت سياسته تمثل الخضوع التام للاحتلال الإنكليزي، وهو « أشهر صديق للإنكليز » عرفته مصر في تاريخ الاحتلال الإنكليزي من أوله إلى آخره »(١٨٦)، « ولم يكن من أنصار الاحتلال فحسب، بل كان من المخلصين له، العاملين على تحقيق مآربه، مما دفع الخديوي « عباس » إلى إقصائه عن رئاسة الوزارة

(١٨٥) هي بنت (مصطفى فهمي) وقد تسمت باسم زوجها « سعد زغلول » تشبهاً بالإفرنج في نسبة المرأة إلى زوجها، ولقبت بـ (أم المصريين) .

(١٨٦) (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) (٢ / ٣٨٦) .

سنة (١٨٩٣م)، فحدثت أزمة مع « كرومر »، انتهت بتأليف (الوزارة الطويلة) برئاسة « مصطفى فهمي » ثانية، والتي حكمت مصر بالحديد والنار لمدة ثلاثة عشر عاماً خضوعاً للاحتلال الإنكليزي »[١٨٧]، (وقد حرصت أن تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالاً جديداً تنفرد فيه بالزعامة، فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة)[١٨٨] .

وقد ذكرنا آنفاً دورها في سن فتنة السفور إلى جانب أنها تزعمت مع « هدى شعراوي » أول مظاهرة نسائية سنة (١٩١٩م) .

٢ ــ « هدى شعراوي » (ت ١٩٤٧م) :

(هي : نور الهدى بنت محمد سلطان باشا ــ التي تسمت فيما بعد على الطريقة الأوربية بهدى شعراوي إلحاقاً لها باسم زوجها « على باشا شعراوي » بواسطة حرم حسين باشا رشدي الفرنسية، وقد اعترفت هدى شعراوي نفسها في مواضع كثيرة من مذكراتها بفضل هذه السيدة عليها[١٨٩]، وأبوها « محمد سلطان باشا »[١٩٠] الذي كان يرافق جيش الاحتلال الإنكليزي في زحفه على العاصمة، والذي كان يدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، ويهيب بها علانية أن تقدم له كافة المعاونات والمساعدات، وقد سجل التاريخ فوق هذه الصفحة السوداء صفحة أخرى أشد سواداً حينما تقدم هذا الخائن مع فريق من الكبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى

---

(١٨٧) (مصطفى كامل) للرافعي ص(٤١٦) .

(١٨٨) (رجال اختلف فيهم الرأى) ص(٣٤) .

(١٨٩) « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص(٢٣) .

(١٩٠) انظر تفأصيل خيانته للثورة العرابية في كتاب (محمد سلطان أمام التاريخ) للدكتور عبد العزيز رفاعي و (الأستاذ الإمام محمد عبده) لرشيد رضا (٢٥٨/١ ــ ٢٥٩)، و (رجال اختلف فيهم الرأى) لأنور الجندي (٣١ ــ ٣٣) .

قادة جيش الاحتلال شكراً لهم على « إنقاذ البلاد » .. وهكذا لم يكن عجباً أن يفرض الاحتلال على الخديوي أن يمنح أمثال هذا الخائن عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية اعترافاً من بريطانيا له بالجميل .. ليس هذا فحسب بل لقد أنعمت عليه انجلترا بنيشان « سان ميشيل » و « سان جورج » الذي يلقب حامله بلقب « سير »[١٩١]، وهي زوجة « علي شعراوي » باشا ابن عمتها وتلميذ محمد عبده [*] ورفيق سعد زغلول وعبد العزيز فهمي أصدقاء الإنكليز، والصديق الوفي للطفي السيد، وأحد أعضاء « حزب الأمة » الذين أطلق عليهم « الإنكليز » اسم « الرجال المعتدلون » لأنهم حاربوا في سبيل بريطانيا « مصطفى كامل »، وناوأوه، ووصفوه بالرجل العنيف، وقد كان هذا الحزب المشبوه ينكر الجامعة الإسلامية ويحاربها، داعياً إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة والمنفعة المادية، لا على الإسلام، وهو الحزب الذي عرف فيما بعد باسم (حزب الوفد)[١٩٢]، والذي كان (علي شعراوي) نفسه وكيلاً له[١٩٣] .

وهي أيضاً رفيقة « صفية زغلول » ابنة « مصطفى فهمي »، تلقفتها جماعات تحرير المرأة في روما وأمستردام ومرسيليا واستانبول وباريس وبرلين وبروكسل وبودابست وكوبنهاجن وجنيف وحيدر أباد ونيودلهي لتقود حركة « تحطيم المرأة المسلمة » في مصر .

وهي أيضاً تلميذة وفية لزوجة « حسين رشدي » باشا الفرنسية، التي كانت « هدى » تُكْبِرُها، وتفيض في ذكر مبررات إعجابها بها، واتخاذها مثلها الأعلى،

---

(١٩١) (الحركات النسائية في الشرق) للأستاذ « محمد فهمي عبد الوهاب » ص(٢٣ ــ ٢٤) .

(*) « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص(٦٤) .

(١٩٢) (الاتجاهات الوطنية) (١٣٥/٢)، و « حواء » العدد (١٢٣١) (١٩٨٠/٤/٢٦م) .

(١٩٣) (حواء) (١٢٢٧) تاريخ (١٩٨٠/٣/٢٩م) ص(١٩) .

فقالت : (لم تكن تعني بظروفي وحالتي واسمي فقط، وإنما كانت أيضاً تجتهد في تثقيفي في اللغة الفرنسية، وكانت ترشدني إلى أثمن الكتب وأنفعها، وكانت تناقشني فيما قرأت، وتفسر لي ما يصعب عليَّ فهمه، وكانت تغذي عقلي وروحي بكل أنواع الجمال والكمال، وتحتم عليَّ حضور صالونها كل يوم سبت، وتقول لي : أنت زهرة صالوني)[١٩٤] .

وكانت هذه المرأة الفرنسية الأصل التي أعدت « هدى شعراوى » إعداداً خاصاً لمهمتها، قد أَلَّفت كتابين الأول بعنوان « حريم ومسلمات مصر »، وكتاب « المُطَلَّقات » تعبر فيهما ــ على حد قولها ــ عن مدى الألم والتعاسة التي تعانيها من « أجل تعاسة المصرية، وظلم الرجل لها »[١٩٥] .

وكانت على صلة وثيقة بحركة تحرير المرأة المصرية، كما كانت موضع إعجاب النابهين في مصر من رواد هذه الحركة، وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين، الذي كانت تعجب به كثيراً، وتأسف لعدم تقدير المصريين له التقدير اللائق برسالته، « وكانت كثيراً ما تقص على صفيتها هدى شعراوى ما كان يدور بينها وبين هؤلاء الثلاثة الكبار من حديث »[١٩٦]، تشعل به كيانها، وتدفعها إلى التطلع إلى تحسين أحوال المرأة المصرية، والسير بحركتها إلى الأمام.

وكانت كثيراً ما تحدث هدى شعراوى « حول البحث عن الطريقة العملية المجدية للوصول إلى تحسين حال المرأة المصرية، والترفيه عنها، وكانت توجهها إلى أن تبدأ مشروعها بتوجيه المرأة المصرية إلى ممارسة الرياضة البدنية أولاً، قبل تنبيهها إلى خوض الحياة الاجتماعية، وترغيبها في دراسة الفنون والآداب، وعقد اجتماعات تجمع بين

---

(١٩٤) (مذكرات هدى شعراوى) ص(٩٦) ــ كتاب الهلال سبتمبر / ١٩٨١

(١٩٥) السابق ص(٩٩) .

(١٩٦) السابق ص(١٠٢) .

الرياضة الفكرية، والرياضةالبدنية، وكذا إعداد ملعب « للتنس » في حديقة مصطفى رياض باشا)[١٩٧].

قالت (وداد السكاكيني) في ترجمة « هدى شعراوى » : (.. وقد توقد فيها الذكاء والإباء، فتأبّت على هذه التقاليد التي كانت تضطر نظائرها من بنات الصعيد إلى التزام الحجاب[١٩٨]، والبعد عن السياسة، ولو كانت تدار من بيوتهن)[١٩٩].

وقالت : (لما عادت هدى شعراوى للمرة الأولى من الغرب، كانت تفكر في هذه التقاليد الموروثة، التي لا تسمح لها بالظهور سافرة في بلادها، فثارت عليها، وما كادت تطل على الإسكندرية[٢٠٠] حتى ألقت الحجاب جانباً، ودخلت مصر مع صديقتها (سيزانبراوى) بدون نقاب[٢٠١] فلقيتا من جراء هذا السبق بالسفور لغطاً وتعنتاً من المتزمتين، ولم يكن هذا الأمر من رائدة النهضة النسوية بدعاً أو خروجاً على الحشمة والوقار، بل كان منها سلوكاً مثالياً في السفور السليم « ؟! »، واستنكاراً للانحراف والتبرج « !! » اللذين ظهرت فيهما بعض السافرات المتطرفات)[٢٠٢] اهـ.

---

(١٩٧) السابق ص(٩٩).

(١٩٨) ومن هذه الوجهة كانت تصف زوجها بأنه كان يسلبها كل حق لي الحياة، وذكرت من أمثلة ذلك ما نصه : (ولا أستطيع تدخين سيجارة لتهدئة أعصابي حتى لا يتسلل دخانها إلى حيث يجلس الرجال فيعرفوا أنه دخان سيجارة السيدة حرمه، إلى هذا الحد كانت التقاليد تحكم بالسجن على المرأة وكنت لا أحتمل مثل هذا العذاب ولا أطيقه) اهـ من (المرأة المصرية) ص(١٣٩).

(١٩٩) (نساء شهيرات من الشرق والغرب) ص(٥).

(٢٠٠) كانت في هذه الرحلة تستقل الباخرة التي يعود عليها سعد زغلول من فرنسا بعد استشفائه (المرأة المصرية) ص(١٣٦).

(٢٠١) وقد ذكرت (صافي ناظم كاظم) أن (هدى شعراوي وسيزا نبراوي ألقتا حجابهما، وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد بروما صيف ١٩٢٣م) اهـ من (مسألة السفور والحجاب) ص(٩)، وانظر : (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٣٤ ــ ١٣٥).

(٢٠٢) (نساء شهيرات من الشرق والغرب) لوداد السكاكيني ص(٥، ٦).

تقول « درية شفيق » :

وقد شجعت (هدى) عدداً من الفتيات على السفر إلى أوربة (كي تعود الطالبات حاملات إلى الوطن عناصر الثقافية الغربية، ومثلها العليا في الحياة الاجتماعية)[٢٠٣].

(كانت « هدى » لا تزال تفكر في النظرة التي تقابل بها المصرية كلما سافرت إلى أوربا، إن القوم هناك يسخرون من ذلك الحجاب الذي يغطي وجوه المصريات حتى إنهم كانوا ــ إذ يرون هدى شعراوي وزميلاتها بلا يشامك ولا براقع ــ يتشككون في مصريتهن، وفي ذلك المؤتمر الأخير بالذات كانت مندوبات الدول المختلفة ينكرن على « هدى » مصريتها، ولا يكدن يعترفن إلا بمصرية واحدة كانت تصر على حضور تلك المؤتمرات محجبة لا تكشف شيئاً من وجهها وهي السيدة « نبوية موسى »)[٢٠٤] اهـ.

(تقول « هدى شعراوى » في حديث لها : و « .. ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتي « سيزا نبراوى »، وقرأنا الفاتحة، ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه وتلفتنا لنرى تأثير الوجه الذي يبدو سافراً لأول مرة بين الجموع، فلم نجد له تأثيراً أبداً، لأن كل الناس كانوا متوجهين نحو « سعد »، متشوقين إلى طلعته »[٢٠٥] اهـ.

وقد دفعت بعد ذلك مباشرة ثمن جرأتها ورأت تأثير الوجه السافر حينما واجهتها هي وزميلاتها كثير من التعليقات الساخرة كلما سرن في الطريق، وعرضن أنفسهن حتى للعبارات النابية، والصفات المؤذية[٢٠٦].

وهذه « الزعيمة » هي التي قادت مع زوجة « الزعيم » سعد المظاهرة النسائية المشهورة سنة ١٩١٩، تقول في مذكراتها:

---

(٢٠٣) « تطور النهضة النسائية في مصر » ص(١٥) .

(٢٠٤) (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٣٦) .

(٢٠٥) المصدر السابق ص (١٣٧) .

(٢٠٦) انظر المصدر السابق ص(١٣٨) .

(وبينما كنت أتأهب لمغادرة منزلي في ذلك اليوم للاشتراك في المظاهرة، بادرني زوجي بالسؤال : إلى أين تذهبين والرصاص يدوى ويتساقط في أنحاء المدينة ؟

فأجبت : للقيام بالمظاهرة التي قررتها اللجنة !!

فأراد أن يمنعني فقلت له : هل الوطنية مقصورة عليكم معشر الرجال فقط، وليس للنساء نصيب فيها ؟

فأجابني : هل يرضيك إذا تحرش بكن الإنجليز أن يفزع بعض النساء ويولولن « ياأمي ... ياهوتي !! ».

فقلت له : إن النساء لسن أقل منكم شجاعة ولا غيرة قومية أيها الرجال، وتركته وانصرفت، لألحق بالسيدات اللاتي كن في انتظاري ...)[٢٠٧].

في ذمـة الـفضلى هدى	جيـــل إلى هادٍ فقير
أقبلـــن يسألـــن الحضا	رة ما يفيد ومـا يضير
ما السبـــل بينـــه ولا	كل الهداة بها بصير[٢٠٨]

وتقول وداد السكاكيني :

(وكانت هدى اليد اليمنى لصفية زغلول، والمفكرة المتحررة لنسوة الطليعة الواعية بمصر والبلاد العربية، وقد استجابت لدعوة المؤتمرات النسوية في الشرق والغرب، فلما عقد أول مؤتمر دولي للمرأة في روما عام ١٩٢٣م حضرته « هدى شعراوى » مع « نبوية موسى » و « سيزا نبراوى » صديقتها وأمينة سرها.. وقد توالت بعدئذ رحلات « هدى شعراوى » للشرق والغرب ممثلة نساء بلادها رافعة علمها بين أعلام

---

(٢٠٧) (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٣٩)، وانظر : (رجال اختلف فيهم الرأي) لأنور الجندي ص(٣٤ ــ ٣٥).

(٢٠٨) (الشوقيات) (١٦٨/٢).

الدول الوافدات على المؤتمر[٢٠٩] اهـ.

لقاء (هدى) و (موسوليني) :

قالت (هدى) في (مذكراتها) :

(كان من بين ما حققه مؤتمر روما الدولي أننا التقينا بالسنيور موسوليني ثلاث مرات وقد استقبلنا، وصافح أعضاء المؤتمر واحدة واحدة، وعندما جاء دوري، وقدمت إليه كرئيسة وفد مصر عبر عن جميل عواطفه ومشاعره نحو مصر، وقال إنه يراقب باهتمام حركات التحرير في مصر،... ثم كررت رجائي الخاص بمنح المرأة الإيطالية حقوقها السياسية)[٢١٠] اهـ.

ولما عادت هدى من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي المذكور كونت الاتحاد النسائي المصري سنة ١٩٢٣، ووضعت الحجر الأساسي له في أبريل ١٩٤٢م، وبطبيعة الحال عمل ذلك الاتحاد بقيادتها لتحقيق الأهداف التي حرص الاستعمار على الوصول إليها، وردد نفس المبادىء التي نادى بها من قبل (مرقص فهمي) ونقلها عنه (قاسم أمين)، وفي مقدمتها تعديل قوانين الطلاق، ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة، التي وصلت أخيراً[٢١١] إلى حد المطالبة

---

(٢٠٩) (نساء شهيرات) ص(٥).

(٢١٠) (حواء) العدد (١٢٢٣) تاريخ (١٠ مايو ١٩٨٠).

(٢١١) [ومن الجدير بالذكر أن سلامة موسى النصراني كان قد خطب في جمعية (الشبان المسيحية) وتحدث في أمر لا يخصه، وهو التعرض للمرأة المسلمة وحجابها وسفورها، وما عيَّنه لها القرآن من نصيب في الميراث، وبعد هذه المحاضرة حاول ــ زيادة منه في الكفر ــ أن يحرض هدى شعراوي على مطالبة الحكومة المصرية بسَنِّ قانون يساوي بين الرجل والمرأة في الميراث، وذلك ضمن رسالة شخصية بعث بها إليها، لكنها أنكرت عليه ذلك وردت عليه في مقال بجريدة الأهرام] انظر : (المرأة بين الفقه والقانون) للسباعي رحمه الله ص(٢١٩ ــ ٢٢٠)، (حواء) العدد (١٢٥٢) تاريخ (٢٠ سبتمبر ١٩٨٠م) ص(٣٤ ــ ٢٦).

بالمساواة في الميراث)[٢١٢] .

وقفة مع الإتحاد النسائي :

وقد اهتمت الدوائر الأجنبية بأمر ذلك الاتحاد النسائي عند قيامه حتى أن الدكتورة (ريد) رئيسة الإتحاد النسائي الدولي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية، ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي، وبتصريحاتها التي ترمي إلى المساعدة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية المزعومة.

وبعد عشرين عاماً من تكوين هذا الاتحاد استطاع بالنفوذ الأجنبي وأذناب الاستعمار أن يمهد لعقد ما سمي بالمؤتمر النسائي العربي سنة ١٩٤٤م، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة[٢١٣]، واتخذت فيه القرارات « المعتادة »، وفي مقدمتها بالطبع :

- المطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية مع الرجل، وعلى الأخص الانتخاب.
- تقييد حق الطلاق.
- الحد من سلطة الولي أيًا كان، وجعلها مماثلة لسلطة الوصي.
- تقييد تعدد الزوجات إلا بإذن من القضاء في حالة العقم أو المرض غير القابل للشفاء.
- الجمع بين الجنسين في مرحلتي الطفولة والتعليم الابتدائي.

ثم في نهاية القرارات : (اقتراح : تقديم طلب بواسطة رئيسة المؤتمر إلى المجمع

(٢١٢) (الحركات النسائية في الشرق والغرب) ص(٢٤) .

(٢١٣) ولقد احتج علماء سوريا رسميًا على حكومتهم على تمثيل بعض النساء السوريات في ذلك المؤتمر، كما أصدر الملك عبد الله ملك شرق الأردن حينذاك منشوراً إلى رئيس وزرائه، يلفت فيه نظره إلى حركة التمرد على الآداب والتقاليد الإسلامية، ووجوب التزام المرأة بالحجاب الذي كرمها الله به . (المصدر السابق ص(٢٥)) .

اللغوي في القاهرة والمجامع العلمية العربية بأن تحذف نون النسوة من اللغة العربية)(٢١٤).

(هدى شعراوي) .. والأديان :

[وطالبت هدى شعراوي في المؤتمر الثاني عشر للاتحاد النسائي الدولي في مدينة استانبول (١٨ أبريل ١٩٣٥م) بإزالة الفوارق الجنسية والدينية بين الشعوب](٢١٥).

وتجلي موقفها في هذه القضية من قبل حينما صورت في (مذكراتها) العلاقة بين ممثلي « الأديان » خلال ثورة ١٩ فقالت : (.. وكان أن تآخي الجميع، وصاروا يجتمعون في الكنائس والمساجد والمعابد وهم شيع مختلفة، وكان الشيخ يتأبط ذراع القسيس أو الحاخام أمام عدسات المصورين ليظهروا للملأ اتحاد الجميع على الثورة ضد الإنجليز)(٢١٦).

---

(٢١٤) المصدر السابق ص(٢٥)، وانظر : (تطور النهضة النسائية في مصر) (١٤٥ — ١٤٧).

(٢١٥) (حواء) : العدد (١٢٢٧) تاريخ (٢٩ مارس ١٩٨٠) ص(١٥).

(٢١٦) السابق ص (١٨)، ومن الجدير بالذكر أن ثورة ١٩ قد استغلت تحت ستار مقاومة الاحتلال في الترويج لمفاسد خطيرة ما كانت لتجد إلى قلوب الناس سبيلاً لولا جو الثورة الذي يُلهي الناس عن تدبر ما يراد بهم، ومن أخطر هذه المفاسد الترويج لتحرير المرأة، وتمييع قضية موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين تحت ستار الأخوة الوطنية بهدف محو معالم الإسلام من ضمير الأمة شيئاً فشيئاً، كما نرى ذلك جلياً في النص المنقول أعلى، ومن المواقف المماثلة لذلك ما حكاه الشيخ العلامة محمد بخيت رحمه الله قال : (لما قامت الحركة الوطنية عقب الحرب العظمى السابقة، واتحد هؤلاء المارقون مع الأقباط ليطالبوا بالاستقلال، كان مقر اجتماعهم وقطبهم الجامع الأزهر، ومنه كانت تنظم المظاهرات، فكان يعمر بالأقباط، والقسس منهم يصعدون إلى المنبر خطباء مناوبة مع المصريين، قال : وذات يوم كان المسمى « مصطفى القاياتي » وهو من المدرسين في الأزهر، والقائل بأن سعداً أفضل من النبي ﷺ، وأنه جاء بما لم يأت به النبي ﷺ، وأنه رسول الوطنية، كان هذا الرجل حاضراً معهم، فأخذ الصليب، ووضعه في محراب الأزهر، وقام — لعنه الله — خطيباً، فدعا إلى اتحاد الإسلام والنصرانية القبطية، ودعا الحاضرين إلى صلاة ركعتين جميعاً مع وضع الصليب في المحراب، وكبر، وصلى ركعتين والصليب أمامه يصلي له والله معاً في زعمه لعنه الله تعالى) اهـ انتهى بنصه من « مطابقة الاختراعات العصرية » لأبي الفيض أحمد بن الصديق ص(٨٤).

وفي الخطبة التي ألقتها (هدى) بمناسبة الاحتفال بالعيد العشرين للاتحاد النسائي قالت : (.. ومنذ ذلك اليوم ــ أي يوم قبلت عضوية مصر في الاتحاد النسائي الدولي ــ قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا مهما كلفنا ذلك، وأن نساهم بأمانة وإخلاص في تنفيذ برامج الاتحاد النسائي الدولي الذي يشمل أغراضنا المشتركة.

وهنا يطيب لي أن أذكر حادثاً كان له تأثيره عند افتتاح ذلك المؤتمر، وهو أننا لما دخلنا قاعة الاجتماع قبل إنعقاده، ووجدنا أعلام الدول المشتركة ترفرف على جدرانها، ولم نكن قد أخذنا الأهبة لذلك لعدم معرفتنا بهذا التقليد، كلفنا طلاب البعثة المصرية بتحضير علم مصري يتعانق فيه الهلال والصليب فصنعوه، وإذا به أكبر الأعلام الموجودة حجماً .. ولما رأت رئيسة المؤتمر الصليب يعانق الهلال تأثرت تأثراً عظيماً، وأمرت بوضعه على يسار المنصة معادلاً لعلم الدولة المنعقد المؤتمر بأرضها، فشغل بذلك محلاً ممتازاً، وقدمتنا الرئيسة عند الافتتاح بعبارات ملؤها التأثر والتقدير، وكانت أكبر عامل في إزالة الفكرة الخاطئة التي شابت حركتنا الوطنية بوصفها بالتعصب الدبني)(٢١٧).

لقاء (هدى) و (أتاتورك) :

عقد المؤتمر النسائي الدولي الثاني عشر في استانبول في ١٨ أبريل ١٩٣٥م، وتكون من هدى شعراوي رئيسة وعضوية اثنتى عشرة سيدة ــ وقد انتخب المؤتمر

---

(٢١٧) « تطور النهضة النسائية في مصر » ص(١٢٤) .

ومما ينبغي أن يعلم أن (الهلال) علامة مهنية ترمز في عرف الناس إلى مهنة الطب، أما (الصليب) فعلامة اعتقادية تشير إلى ما يعتقده النصاري الكفرة في شأن عيسى عليه السلام، فالمسلم الذي يتخذ هذه العلامة على خطر عظيم لأن في إقرارها تكذيباً صريحاً للقرآن الذي جاء فيه قوله تعالى : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ النساء (١٥٧) ولهذا لم يكن ﷺ يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه، والله تعالى أعلم .

« هدى » نائبة لرئيسة الاتحاد النسائي الدولي ، تقول (هدى) في مذكراتها :

(وبعد انتهاء مؤتمر استانبول وصلتنا دعوة لحضور الاحتفال الذي أقامه « مصطفى كمال أتاتورك » محرر تركيا الحديثة .. وفي الصالون المجاور لمكتبه وقفت المندوبات المدعوات على شكل نصف دائرة ، وبعد لحظات قليلة فتح الباب ، ودخل « أتاتورك » تحيطه هالة من الجلال والعظمة ، وسادنا شعور بالهيبة والإجلال ، ... وعندما جاء دوري تحدثت إليه مباشرة من غير ترجمان ، وكان المنظر فريداً أن تقف سيدة شرقية مسلمة وكيلة عن الهيئة النسائية الدولية ، وتلقى كلمة باللغة التركية تعبر فيها عن إعجاب وشكر سيدات مصر بحركة التحرير التي قادها في تركيا[*] ، وقلت : إن هذا المثل الأعلى من تركيا الشقيقة الكبرى للبلاد الإسلامية ، شجع كل بلاد الشرق على محاولة التحرر ، والمطالبة بحقوق المرأة ، وقلت : كان الأتراك قد اعتبروك عن جدارة أباهم وأسموك « أتاتورك » فأنا أقول إن هذا لا يكفي بل أنت بالنسبة لنا « أتاشرق » فتأثر كثيراً بهذا الكلام الذي تفردت به ، ولم يصدر معناه عن أي رئيسة وفد وشكرني كثيراً في تأثر بالغ ، ثم رجوته في إهدائنا صورة لفخامته لنشرها في مجلة « الإجيبسيان » .

وذكرت هدى في حديث لها مع جريدة المقطم بعد عودتها إلى مصر ما معناه : (إن ما أحدثه الغازي العظيم بلا ريب من نعمة الأقدار على أخَواتنا في استانبول)[٢١٨] .

(*) انظر ص (١٩٣ : ٢٠٢) من هذا القسم .

(٢١٨) (حواء) العدد (١٢٥٦) (١٨ أكتوبر ١٩٨٠م) ص (١٦) وأفعال (أتاتورك) وجرائمه في حق الإسلام أكثر من أن تحصى ، فليت شعري ما الذي يدعو (هدى) إلى هذا الانبهار به سوى وحدة الهدف والخطة بين أعداء الإسلام في مصر وفي تركيا ؟ ولعله من أجل هذا علق الأستاذ « محمد أمين هلال » في مقال له في مجلة « الإسلام » الغراء بتاريخ الجمعة ١٦ أغسطس ١٩٣٥م بقوله: (... ولعل السبب في دفاعه عن الكماليين أنه رأى وَلِيَّاتِ نعمته من بعض النسوة الأرستقراطيات المدعيات كذباً تمثيل نساء مصر ، ولم يجتمعن في الغالب إلا للغناء والرقص وإمتاع النظارة بضروب من المغريات ، ولم يحاولن أن يلمسن جوانب الإصلاح الحق الذي يستدعى هجر الراحة والتضحية ، فليس =

٣ ـ « سيزا نبراوي » :

تقول في مذكراتها : (وعندما عدت من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمرى، كنت متحررة متحمسة، ولهذا رفضت لبس البرقع، وأصررت على لبس القبعة، وبحكم الصداقة التي كانت بين والدتي وبين هدى شعراوي، أخذت تهدىء من ثورتي، وتقنعني بأن الظروف غير مواتية للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة، وأن المطالبة بها في هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شيء في ذلك الوقت)[٢١٩]، (ولما تقدم « الفنان » مصطفى نجيب للزواج منها قالت : إنها لا تستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حق أحد طرفيها فقط أن يتخلى عن التزامه فيها بالطلاق في أي وقت يشاء، فتزوجها على أن تكون العصمة في يدها، ولم يدم الزواج أكثر من أربع سنوات)[٢٢٠].

(وفي أثناء مرور « غاندي » بمصر عائداً إلى الهند بعد حضوره مؤتمر المائدة المستديرة بلندن في ديسمبر ١٩٣١م، فكرت الهيئات في إرسال وفود عنها لتحيته، والتعبير عن مشاعر المصريين نحوه، وقد سافر (محمود فهمي النقراشي) مندوباً عن « الوفد »، .. والآنسة « سيزا نبراوي » مندوبة عن « الاتحاد النسائي »، وقد طلبت منه سيزا أن يوجه كلمة للسيدات المصريات، فكتب بالإنكليزية ما ترجمته بالعربية : « أرجو أن تلعب الأخت المصرية نفس الدور الذي تلعبه أخواتها الهنديات في حركة تحرير أراضيهم المحترمة، لأني أعتقد أن عدم القسوة هو امتياز المرأة »)[٢٢١]اهـ.

= لهن سبيل إلى المعرفة بها، وإن عرفنها فلا يصبرن عليها، قد ذهب وفدهن إلى إسلامبول مدعياً بهتاناً وزوراً أن نساء مصر راضيات بما اختطه الكماليون للمرأة التركية وبكل ما فعله الكماليون !! مع أن كل المسلمين ومعظم الشرقيين لا يرضون مذاهب الكماليين ومذهبهم حيال الدين والمرأة، ويستعيذون بالله من الشيطان، ويلعنون الطغيان) انتهى ص (٤٤).

(٢١٩) (مجلة حواء) العدد ٢١ / ١٢ / ١٩٥٧م.

(٢٢٠) (الأخوات المسلمات) ص (٢٥٨ ــ ٢٥٩).

(٢٢١) (مجلة حواء) العدد ٤ أكتوبر ١٩٨٠م رقم (١٢٥٤) ص (١٦ ــ ١٧).

٤ ـــ درية شفيق .. المرأة الغامضة[٢٢٢]

(وبعد ظهر يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٧٥م عدت إلى بيتي بعد أن تناولت الغداء في أحد الفنادق، وفي ردهة العمارة رأيت جمعاً من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، وسألت : ماذا حدث ؟ قالوا : إن سيدة ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس، ورفعت الملاءة البيضاء، ووجدت جثة جارتي: درية شفيق) « مصطفى أمين » الأخبار ٨٦/٤/١٢.

تلميذة وفية من تلميذات (لطفي السيد)، رحلت وحدها ـــ بمجرد تخرجها ـــ إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراة، ثم تعود لتشكل حزب (بنت النيل)، ثم ترحل إلى إنكلترا حيث تقابل بحفاوة بالغة قيل إنه لم ينل مثلها كثير من رؤساء الدول وزعمائها، ورحبت بها الصحف البريطانية بدون استثناء، ونشرت عنها الأحاديث العديدة التي تصورها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.. أغلال الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، ومن هذه الأحاديث ما كتبه مراسل جريدة الـ (سكتشمان) يقول: (إن الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل هي كما أوضحتها الدكتورة « درية شفيق »: منح المرأة حق الاقتراع،

ـــ ومن الجدير بالذكر أن (غاندي) هذا كان هندوسياً وثنياً كارهاً للإسلام ومتعصباً ضد المسلمين، وكان يخفي وثنيته البغيضة وراء المغزل والشاة، وهو الذي سرقق الحركة الإسلامية من الزعماء المسلمين بالخيانة والتآمر مع الاستعمار الإنكليزي، فسيقوا إلى السجون، وسحب غاندي الحركة الوطنية من أيديهم، وإستعان ببريطانيا من أجل تحويل المسلمين في الهند إلى أقلية، وقد كان للمسلمين قوة بلغت حداً جعل الحكومة التي صارت تقبض على ألف مسلم في الصباح، تطلقهم في المساء بسبب أن السجون لم تعد تسع المعتقلين، وخطب الـ (لورد) ريدنج الحاكم العام في كاكتا، فقال : (إنني شديد الحيرة من جراء هذه الحركة، ولست أدري ماذا أصنع فيها ؟)، فلا تغتر أيها المسلم بهذا الوثني الذي يحرص أعداء الإسلام على أن يرسموا له صورة مزخرفة تخفي جرائمه في حق الإسلام والمسلمين، وتنبه لخطر « القومية النسائية » التي تجعل المسلمة الموحِّدة أختاً للهندية المشركة.

أنظر ص (١٢٣ ـــ ١٢٤) من هذا الكتاب، و (رجال إختلف فيهم الرأى) ص (١٠٤ ـــ ١١٤).

(٢٢٢) (الحركات النسائية في الشرق) ص (٢٩) وما بعدها.

وحق دخول البرلمان، والمطمع الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر) اهـ.

ولما عادت إلى مصر عظم نشاطها، وتوفرت لها أسباب الحماية والحرية، وتهيأت لها عوامل النشر والإذاعة، حتى لقد حيل بين أهل الرأى ودعاة الدين وحماته وبين الرد على دعوتها التي وصفتها هي نفسها بأنها تريد للمرأة (حقاً في الحرية الحرة المطلقة من كل قيد)(٢٢٣).

وبلغ التوتر مبلغه، ونهض علماء الدين ودعاة الفضيلة والأخلاق على قلب رجل واحد يجابهون الاستعمار في شخص هذه المرأة أمام أعظم حصن من حصون الإسلام وهو الأسرة المسلمة، ووقف الاستعمار بأمواله ونفوذه ...

وانكشف بعض المستور حين قدمت إحدى عضوات مجلس إدارة الحزب استقالة مسببة، ما لبثت أن قبلتها الرئيسة دون عرضها على مجلس الإدارة، وكم كانت الدهشة كبيرة، حين علم أنه قد حيل بين كثير من الصحف وبين نشر سبب الاستقالة حتى فوجىء الشعب بأن السبب هو أن السفارة الإنكليزية والسفارة الأمريكية تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنوياً(٢٢٤)، عدا الورق المصقول وغيره، فضلاً عن تقديم المشورة والتوجيه.

وقد أشادت « درية شفيق » بجهود « طه حسين » بك ومدرسته من أصدقائه وتلامذته في القضاء على ما أسمته « التقاليد السخيفة » حتى أخذ الناس بفضلها

---

(٢٢٣) « تطور النهضة النسائية » ص (٦٠).

(٢٢٤) وكانت (درية) قد أنشأت معهداً نسائياً لتدعيم نشاطها في حركة « تحرير المرأة »، وقد عددت في كتابها (تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد الفاروق) أفضال بعض الشخصيات (الكريمة) التي مولت عملية إنشاء هذه الدار، قالت: (وهنا لا يمكنني أن أجحد فضل « المرحوم » (!!) المستر هربرمان الأمريكي الذي تبرع بمبلغ مائتي جنيه أرسلها من أمريكا مساعدة في تأسيس هذه الدار)، وقالت: (كما أخذ المسيو بيانكي المقاول الكبير على عاتقه بناء هذه الدار بقدر ما يمكن من العناية والاقتصاد) اهـ ص (١٣١).

يتسابقون في تحرير بناتهم، ثم تقول:

(وكان من نتيجة هذه الجهود مجتمعة أن تيسر تحقيق حلم الخديوى إسماعيل القديم، وهو اعتبار مصر جزءاً من أوربا)[٢٢٥].

وهي تعتبر أن الخديوى إسماعيل كان (ضرورة) لمصر ليطفر بها من الخمول واليأس إلى النضوج والاستواء، وتقيم أدلتها الدامغة (!) على ذلك فتقول:

(ترقت الحياة في عهد إسماعيل فشهدت قصوره حياة اجتماعية لم تعرف في مصر الحديثة، شهدت قصوره الحفلات الراقصة، وشهد عصره أذواق الملابس الجديدة، حتى ألوان الطعام تنوعت ودخلِ فيها جديد)، ثم تتحدث عن « اكتشاف » تاريخي « خطير » قائلة: (وقد حدثتنا الوثائق المكتشفة أخيراً أنه اشترك لزوجاته وسيدات أسرته في سبع مجلات « للموضة » فكانت نماذج الأزياء في مصر والشرق العربي تخرج من قصوره)، ثم تقول: (وهذه العناية بشئون النساء ــ وإن كانت خاصة ــ إلا أن وراءها قلباً كبيراً يعرف للمرأة حقها، ونوايا طيبة بدا اثرها في خلال عصره الزاهر)[٢٢٦].

وهذه المرأة هي التي قادت مظاهرة الجامعة الأمريكية في أبريل سنة (١٩٥١م) بتحريض من وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية « سمر سكيل » حين اجتمعت بها في مصر[٢٢٧]، وقادت الإضراب عن الطعام والاعتصام بنقابة الصحافيين في (١٢ مارس ١٩٥٤م) ــ مطالبة بحقوق المرأة المزعومة.

وفي أبريل سنة (١٩٥١م) عقد مؤتمر نسائي دولي في أثينا، حضرته هذه المرأة ممثلة المرأة المصرية زوراً وبهتاناً، وقد كان المؤتمر مؤامرة استعمارية بعيدة المدى

---

(٢٢٥) (تطور النهضة النسائية في مصر) ص (١٥).

(٢٢٦) السابق ص (٤٥ ــ ٤٦).

(٢٢٧) انظر تفاصيل تلك (المهزلة) في كتابها (المرأة المصرية) ص (٢٠١ ــ ٢٠٨).

كما يبدو من أحد قراراته التي أيدتها « درية شفيق » فيما يتعلق بإقرار « سياسة التسليح الدفاعي » مما كان من شأنه تأييد الاحتلال البريطاني لمصر، ولذلك صفقت المندوبة البريطانية تصفيقاً حاراً لذلك القرار .

وكانت تلك المرأة تصرخ مطالبة بحق المرأة في الانتخاب والترشيح، وبضرورة إيجاد نص في القانون يجعل النساء سواسية مع الرجال إزاء هذا الحق المزعوم، فقامت ضدها قومة علماء الدين « وعلى رأسهم فضيلة مفتي الديار المصرية آنذاك الشيخ محمد حسنين مخلوف حفظه الله »، ودعاة الفضيلة والأخلاق بحملتهم الناجحة التي أحبطت كيد الاستعمار وأذنابه، وأسندت ظهر الأمة أمام الخطر، وإذا « بالزعيمة » تتصل بإنكلترا مستغيثة، فلجأت على الفور إلى مندوب الإذاعة البريطانية في مصر « باتريك سميث » ليرفع إلى بلاده شكوى عميلتها من الحكومة المصرية !

ولذلك لم يعجب هؤلاء الذين استمعوا إلى المذيع البريطاني المذكور حينما تكلم إلى بلاده حينذاك قائلاً ما ملخصه : (جاءتني الدكتورة « درية شفيق » زعيمة حزب بنت النيل، وقد شكت إليَّ من أن الجهات المسئولة في مصر تعارض بشدة مطالبتها بحقوق المرأة السياسية، وكفاحها من أجل تمثيل المرأة داخل البرلمان المصري، وطلبت مني أن أناشد الصحف البريطانية كي تؤازرها بكل ما تستطيعه، وأن تضغط على الدوائر المصرية حتى تكف عن معارضتها القائمة)، ثم أوصى « حضرته » في رسالته (بضرورة مؤازرة هذه الزعيمة في دعوتها إلى تحرير المرأة المصرية، عملاً بميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي تحتكم إليه الزعيمة، والذي ينص على تطبيق مبدأ المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية بين الرجال و النساء في الدول الأعضاء، والتي من بينها مصر) اهـ، وفي عهد وزارة « علي ماهر » إذا به يسمح لها بالسفر إلى لندن لحضور المؤتمر النسائي الدولي هناك، ثم تنتقل بعد ذلك على الفور بصحبة مندوبة إنكلترا لحضور المؤتمر النسائي في نابلي، وقد استقبلتها الصحف الإنجليزية جميعها على عادتها

استقبالاً حاراً، علقت عليه بعض الصحف المصرية في دهشة بأنه استقبال لم يحدث له مثيل.

ثم اتجهت الزعيمة إلى « روما » بصحبة مندوبة إنكلترا ومندوبة إسرائيل « تبيهلا مانمون »، وأثناء انعقاد المؤتمر اتصلت بوفد إسرائيل ورئيسته المذكورة، طوال الأيام التي مكثتها هناك، ونشرت الصحف الأوربية، وبعض المجلات النسوية المصرية الصور الكثيرة التي بدت فيها الدكتورة « درية شفيق » في أحاديث هامة وأوضاع شتى مع هذه الإسرائيلية الخطيرة .. وأعلنت المندوبة اسرائيلية المذكورة ارتياحها بالمندوبة المصرية بلندن ومصاحبتها لها إلى نابلي حيث قالت فيما نشرته الصحف الإيطالية والفرنسية: (إنني أهنىء نفسي بهذا الاتصال الذي ربط بيني وبين السيدة « درية شفيق »، وإنني أعلن لعضوات المؤتمر السادس عشر في نابلي أني عقدت آمالي على الزعيمة المصرية لحل جميع المشكلات بين البلدين: إسرائيل ومصر).

وقد نشرت مجلة نسوية مصرية الصور المختلفة لدرية شفيق مع رئيسة وفد إسرائيل نقلاً عن الصحف الإيطالية، كما نشرت صورة زنكوغرافية لمقال نشرته بعض الصحف الإسرائيلية الصادرة في « تل أبيب » باللغة العبرية، وكانت صورة « درية شفيق » وهي تحادث مندوبة إسرائيل تزين (!) المقال المذكور، وقد جاء في هذا المقال بعد ترجمته:

« إن تل أبيب تتوقع أن الحوادث المقبلة ستزيد مكانة « درية شفيق » شأناً ورفعة »(٢٢٨) اهـ .

(٢٢٨) نقلاً عن (الحركات النسائية في الشرق، وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية) تأليف محمد فهمي عبد الوهاب ص (٢٨ ــ ٥٠) باختصار.

« درية شفيق »، ومثلها الأعلى :

وتجهر « درية شفيق » بالدعوة إلى التبعية المطلقة للغرب ولبريطانيا التي كانت تحتل مصر آنذاك على وجه الخصوص، فتقول :

(وبالرغم من أن ثقافة معظم المصريين المتعلمين متأثرة أشد التأثر بالثقافة الفرنسية، وبالرغم من أن كثيراً من مظاهر حياتنا الاجتماعية منقول عن مظاهر الحياة الفرنسية الاجتماعية، فإنا لا نجد في ظروفنا الحاضرة مثلاً أرفع من مثل الإنجليزية المثالية التي نرجو أن نخطو في نشاطنا النسائي على نهجها وهداها .

فالمرأة الإنجليزية سيدة عركها الزمن، واستحقت مكانها في حياة بريطانيا « العظمى » بجدارة تحسدها عليها بنات جنسها جميعاً، إنها سيدة بيت من الطراز الأول ..، وهي أم مثالية بين الأمهات .. لأن وظيفة الأم عندها رعاية الابن الممثل فيه الجيل الجديد : جيل إنجلترا الذي ينبغي أن يحافظ على تقاليد تلك الأمة، وفي مقدمتها تربية الطفل تربية تليق بـ « عظمة » بريطانيا، .. فيشب مواطناً يعرف مقامه في الدنيا، وحسبه هذا المقام الذي يشغله الإنجليز منذ مئات السنين)[٢٢٩] .

وتقول : (وقد تأثرت المرأة الإنجليزية في ذلك كله بملكة إنجلترا ..، ونحن بذلك نضرب المثل بخير مثل، وهو جلالة ملكة بريطانيا ..

فلنأخذ القدوة من أهل القدوة، وليكن في السيدة الإنجليزية، وعلى رأسها ملكة إنجلترا مثالاً لنا في كفاحنا من أجل السيدة المصرية، ونصيبها في الحياة)[٢٣٠] اهـ .

« درية شفيق » .. و « الحملة الفرنسية » :

وفيما رأى المسلمون الواعون أن الحملة الفرنسية بقيادة « نابليون بونابرت » سنة

---

(٢٢٩) « تطور النهضة النسائية » ص (٩٧).

(٢٣٠) السابق ص (٩٩)..

١٧٩٨م كانت حملة صليبية جديدة، فاجتمعوا يواجهونها، ويجاهدونها الجهاد المقدس في سبيل الله، رأت « درية شفيق » أن اعتبار تاريخ مصر الحديثة يبدأ بنزول الفرنسيين إلى وادي النيل ــ مبدأ مقبول إلى حد بعيد، وتقول : (ذلك لأن مصر شهدت جديداً أثناء تلك الحملة، وأنها منذ عرفت الفرنسيين، عرفت التقدم في مراحله جميعاً، وأنها مضت قُدُماً نحو أهداف سياسية واجتماعية ..)[٢٣١] .

لماذا فشلت « درية شفيق » ؟

(كانت « درية شفيق » قلقة مضطربة كالعصر الذي ظهرت فيه، فلم تكن في تعقل « هدى شعراوي »، التي كانت تتحرك كجزء في الجهاز العام، لحركة « التنوير » التي وضع أسسها الشيخ « محمد عبده » و « قاسم أمين » و « سعد زغلول » على اختلاف مواهبهم وقوة مراكزهم الدينية أو الفكرية أو السياسية .

ولم تستطع « درية شفيق » أن تسوس الرجل فتملكه، ثم تطلب ما تريد كما فعلت سابقاتها، ولكنها أرادت أن تثور على الرجل فتأخذ حقها غلاباً بأسنانها وأنيابها فلم تستطع، لأن أنياب الرجل وأظافره لا تزال أقوى، وستظل كذلك .

أما السبب الأكثر خطورة في فشل « درية شفيق » فيتمثل في أنها رأت أن من النساء من هن أحق من الرجال بحق التمثيل السياسي، وأنه من العار بزعمها « أن يُصَوِّتَ الطاهي، وتحرم من ذلك السيدة التي تستخدمه في منزلها »[٢٣٢]، فتجاوزت بذلك الحدود والأطوار الأمر الذي لم يقبله الرجل، ولم يرض عنه)[٢٣٣] .

---

(٢٣١) السابق ص (٢٩)، ومما يعكس بعضاً من تلك الأهداف الاجتماعية ما حكاه الجبرتي في « تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار »، وقد تقدمت الإشارة إليه، فراجع ص (٧٣ ــ ٧٦).

(٢٣٢) « الحركة النسائية » د. إجلال خليفة ص (١٧٤).

(٢٣٣) « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص (١٠٨ ــ ١٠٩).

٥ ــ « ماري إلياس زيادة » :

(الأديبة السورية الأصل التي اشتهرت فيما بعد « بالآنسة مي » وكان لها محفل يشبه محافل الباريسيات يجتمع فيه الرجال والنساء، وكانت « مي » سافرة متحررة يجتمع في دارها في ذلك المحفل الذي أسسته سنة ١٩١٣م[٢٣٤] أهل الأدب والسياسة والفن ورجال الأعمال، والصحافيون، وكان المحفل يضم رجالاً ونساءاً من طرز مختلفة من الأوروبيين والمصريين والعرب المقيمين بمصر خاصة النصارى منهم، وكان يؤمه من الشيوخ الأزهريين الشيخ مصطفى عبد الرازق، وكان يضم طائفة من العلمانيين، واللادينيين، والليبراليين، والماسونيين، أمثال : يعقوب صروف، وشبلي شميل، وأنطوان فرح، وإدريس راغب وغيرهم، وكانت « مي » غالية في تحررها، وقد انعكس تأثير محفلها على طبقة محصورة من الرجال والنساء الأوروبيين والمصريين، دون أن ينعكس انعكاساً مباشراً على أغلبية نساء المجتمع المصري، وإن ظل يؤرَّخ له على أنه أحد العوامل المساعدة في سير الحركة النسائية نحو التحرر)[٢٣٥] .

٦ ــ « أمينة السعيد » :

تلميذة وفية لـ « طه حسين »، ترأس تحرير مجلة (حواء)، (ومن خلالها تحرض نساءنا على النشوز، وفتياتنا على التهتك والانحلال)[٢٣٦]، وقد تواتر لدى الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة، وهي ــ وإن كانت تلقفت الراية من « الزعيمات » السابقات ــ إلا أنها تفوقت على كل اللائي سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية، إذ إنها لا تألو جهداً في الصد عن سبيل الله،

---

(٢٣٤) وأسس هذا المحفل ــ فيما بعد ــ بصورة رسمية سنة ١٩١٤ وذلك بجهود البرنس « أولفادي لبيدف ».

(٢٣٥) انظر : « رجال عرفتهم » لعباس محمود العقاد (الهلال ١٩٦٣) فصل : « رجال حول مي »، و « المؤامرة على المرأة المسلمة » للدكتور السيد أحمد فرج ص (٢١).

(٢٣٦) (الأخوات المسلمات) ص (٢٦٤).

والاستهزاء من شرعه عز وجل، حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت : (كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟)، وقالت : (إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث)[٢٣٧] .

وهي المرأة التي أزعجتها ظاهرة (عودة الحجاب) إلى المجتمع المصري، فجردت قلمها المسموم لتواجه هذه الظاهرة (المقلقة)، ووصفت الحجاب بأنه (كفن ككفن الموتى)، فقد قالت في إحدى جولاتها ضد الحجاب :

(إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله، فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها « زي إسلامي » لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولاً لا لتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزيٍّ هو والكفن سواء »[٢٣٨]اهـ .

وقالت أيضاً مستنكرة :

(هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تغطيهن تماماً، وتجعلهن كالعفاريت .. وهل لابد من تكفين البنات بالملابس وهن على قيد الحياة، حتى لا يرى منها شيء وهي تسير في الشارع ؟)[٢٣٩]اهـ .

وقالت أيضاً :

(عجبت لفتيات مثقفات ! كيف يلبسن أكفان الموتى، وهن على قيد الحياة ؟!)[٢٤٠]اهـ .

---

(٢٣٧) السابق (ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩) نقلًا عن (المصور).
(٢٣٨) مجلة (حواء) تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٧٢م.
(٢٣٩) (المصور) ٢٢ يناير ١٩٨٢م ص (٧٥).
(٢٤٠) نقلًا عن (الولاء والبراء في الإسلام) لمحمد بن سعيد بن سالم ص (٤٠٤).

بل إنها تعتبر ظاهرة (عودة الحجاب) مشكلة، وترهق نفسها في البحث عن تبرير لهذه الظاهرة، فيهديها شيطانها إلى تبرير يشابه إلى حدٍّ كبير موقف المنافقين الذين كانوا يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات، الذين لا يستطيعون أن يتصوروا إخلاص المؤمنين في طاعتهم لربهم، وصدقهم في الصبر على دينه، وامتثال أمره، لأنهم لم يألفوا الصدق، ولم يذوقوا الإخلاص، ومن هنا راحوا يطعنون في الغنى المتصدق بأنه مراءٍ، وفي الفقير بأنه أحوج إلى صدقته، قال تعالى : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ التوبة (٧٩) .

تقول « أمينة السعيد » :

(الانفتاح أباح لبعض الفتيات الفرصة في ارتداء الأزياء الغالية، ومتابعة الموضات المختلفة مما تسبب عنه مشكلة اجتماعية ترتب عليها في نظري مشكلة الحجاب، وارتداء الملابس الإسلامية .. وهو في معظم أوقاته ليس تديناً، بل هرباً من مواجهة المقارنة الرهيبة في الجامعة بين الأزياء الباهظة الثمن المتنوعة، وبين البنت غير القادرة، وهي عندما تلبس ما يطلقون عليه الزي الإسلامي، تنقذ روحها من محنة مالية هي غير قادرة عليها)[٢٤١]اهـ .

وتفاخر (أمينة السعيد) بصفحات نضالها ضد الشريعة الإسلامية تحت ستار (تحرير المرأة) فتقول : (اقتراحي بإجراء تلقيح صناعي لزوجة عقيم من زوجها أقام الدنيا وأقعدها، ومطالبتي بإلغاء المحاكم الشرعية كاد يدخلني السجن، أما مهاجمتي لقانون الأحوال الشخصية فقد أثارت الدنيا من حولي، وجاءت مظاهرة إلى « دار الهلال » تهتف بسقوطي)[٢٤٢]اهـ .

---

(٢٤١) (المصور) العدد رقم (٣١٣٩) ١٤ ربيع الأول ١٤٠٥هـ، ٧ ديسمبر ١٩٨٤م، ص (٧٤).
(٢٤٢) السابق.

ولنعرض فيما يلي — إن شاء الله — أنموذجاً من جولاتها ضد الحجاب والآداب الإسلامية في ردها على بعض الشيوخ مستنكرة عليه آراءه التي (أثارت القلق والأسف) على حد تعبيرها، ولن نتتبع شبهاتها بالرد والتعقيب، لأن فسادها يغني عن إفسادها، وصدق القائل :

لو كل كلبٍ عوى ألقمته حَجَراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينارِ

وهي تذكر أن أكثر ما أثار القلق في أقوال الشيخ الفاضل نقطتان :

أولاهما : الدعوة إلى إلزام الطالبات بما يسمونه « الزي الإسلامي »، وهو ما تفضل سيادته بتسميته الحجاب بحجة أنه دليل إسلامي رائع على الإيمان العميق والبعد عن الفتنة والإغراء .. إلخ، ثم ترتدي هذه المرأة (الثعلب) ثياب (الناسكين)، وتعظ الشيخ قائلة : (ما كان ينبغي على شيخ المفروض فيه — بحكم ثقافته ومكانته — أن يكون ضليعاً في الإسلام، أن يصدر عنه مثل هذا الكلام، ونحن نعرف جميعاً استناداً إلى ما ورد بالقرآن الكريم — وهو دستورنا الديني الأول — أن الإسلام لم يحدد على الإطلاق زيًّا معيناً للمرأة المسلمة، ولم يقدم رسماً كامل الأوصاف لا من حيث الشكل أو النوع أو اللون)، ثم تزعم أن (المعنى الواضح من هذا الكلام المقدس أن الدين الحنيف لا يستهدف من ملابس المرأة سوى الوقار والاحتشام والبعد عن التبرج والابتذال، فكان أي ثوب تتوافر فيه هذه الاشتراطات هو زي إسلامي بمعنى الكلمة سواء كان مقتبساً من الغرب أو الشرق أو الشمال أو الجنوب، أمَّا ما نراه اليوم شائعاً بين الفتيات والسيدات مما يسمونه « الزي الإسلامي » فالإسلام منه براء، لأنه تقليد حرفي لزي الراهبات المسيحيات، والذي نعلمه جميعاً أن لا كهانة، ولا رهبانية في الإسلام) ثم تستطرد تحت عنوان : (أزياء دخيلة)[٢٤٣] فتقول : (والأدهى من

---

(٢٤٣) تعني بتلك الأزياء الدخيلة الجلباب والنقاب، وهي تعلم تماماً أن ما عدا هذه الأزياء هو الدخيل الطارىء، وأن هذا الحجاب كان سائداً في كل المجتمع المصري قبل ظهور دعاة تحرير المرأة، ولكنها =

ذلك : « المقنعات » وهن قلة من المتطرفات في إعلانٍ عن تدينهن، فقد ذهبن في ثيابهن إلى تحريم ما أُحله الله، فغطين وجوههن بأنسجة كثيفة ليس بها سوى خرمين صغيرين للاستعانة بهما في النظر، ولم يكتفين بذلك، بل ذهبن في مبالغتهن إلى تغطية الخرمين الصغيرين بنظارات سوداء خوفاً من أن تتغلغل الأنظار من خلال الخرمين إلى حدقتي العينين، وهو كل ما يحتمل أن يظهر من هذا القناع العجيب الدخيل .

هذا بالطبع غير جائز في الإسلام، بدليل الفتوى التي أصدرها سيد الأئمة كلهم الإمام الأكبر الشيخ « محمد عبده »، وقد أورد فيها أن « المقنعات » لا ينبغي أن ترفع لهن قضية، أو تسمع لهن شهادة في المحاكم ... ولو كنا نساير روح الإسلام الأصيل ما سمحنا لهن بدخول الامتحانات العامة لسهولة تزييف الشخصية تحت هذا القناع العجيب) .

وتشتد « غيرة » « أمينة السعيد » على الإسلام، و « يتدفق » حرصها على « مخالفة الكفار » فتقول : (وما يقال عن الحجاب يسري أيضاً على ملابس الرجال، فمع عظيم إجلالي للعمامة والجبة والقفطان أعرف أنها ليست زياً إسلامياً أصيلاً، وإنما هي اقتباس من ملابس الأحبار اليهود في قديم الزمان) .

وتختم مقالتها الطويلة مستنكرة على الشيخ تصريحاته قائلة : (إنها عملية هدم للإسلام من أساسه، فاللهم ارحمنا، وارحم ديننا من شر أنفسنا إنه السميع المجيب)[٢٤٤] اهـ، وصدقت، فإن ما تفعله حقاً هو عملية هدم للإسلام من أساسه، وهي أولى بهذه الكلمة من غيرها، وصدق الله العظيم : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ الآية[٢٤٥] .

= تستغل جهل الجيل الحاضر بالماضي الذي عاصرته هي وأمثالها من الطاعنات في السن، وتتحدث عن الحجاب كأنه من إختراع « المتطرفات الجدد » على حد تعبيرها .

(٢٤٤) من مقالة بعنوان (هذه دعاوي غير إسلامية) مجلة حواء .

(٢٤٥) جزء من آية رقم (٣٠) سورة محمد ﷺ .

لعبة العرائس المتحركة :

وفي موكب الرذيلة صحافيات أخريات، ومذيعات ومعلمات، طبيبات وسياسيات، قد تلونت تصوراتهن بألوان شتى، وتفرقت مللهن أيما تفرق، وبرغم انتساب بعضهن إلى الإسلام، فقد جَمَعَهُنَّ هدف واحد هو طعن الإسلام في الصميم، وهؤلاء جميعاً وضعن أنفسهن بهذا المسلك الوخيم في صف المواجهة مع الإسلام يرمينه عن قوس واحدة، شئن أم أبين، رضين أم كرهن، وتحصَّنَّ في هذه الحرب في خندق واحد ضم إليهن اليهود والنصارى والملاحدة والمنافقين والفاسقين، وكأني بهن يشرن إلى أوليائهن ورفاقهن قائلين : ﴿ **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً** ﴾ الآية النساء (٥١)، فما أجدر هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى، ونصله جهنم، وساءت مصيراً ﴾[٢٤٦] .

وغير هؤلاء صفوف وصفوف، ممن رباهن الاستعمار الصليبي والصهيوني في محاضنه، وأخريات ممن هن في دور الإعداد والتربية، ليخلفنهن في مهمة « تدمير المرأة » كل بأسلوبه، وبقدر طاقته ؛ ﴿ **ولكل وجهة هو موليها** ﴾ البقرة (١٤٨)، لكن يجمعهن محور واحد يؤكد أن هذه الشخوص التي تبدو للناظر كأنها تتحرك بإرادتها، لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة، قدَّرها، ورسم خطوطها الذين فضلوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار، كفانا الله والمسلمين شرورهم .

من يحرر من ؟

إن المرأة المسلمة الواعية البصيرة بحقوقها وواجباتها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي المرأة الجديرة بصفة الحرية، أما المرأة الغير المسلمة أو المنحرفة في

---

(٢٤٦) سورة النساء آية (١١٥).

فهمها للإسلام فهي الأسيرة التي تحتاج إلى تحرير سواء كان هذا التحرير من رق الشرك والوثنية وعبادة غير الله، أو رق الرذيلة والتهتك، أو رق العادات والأعراف والتقاليد المنافية لدين الإسلام .

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران (٨٥)

« لا » للقومية النسائية :

(كان دأب دعاة تحرير المرأة منذ البداية لجعل القضية : قضية « تحرير المرأة » فقط مع إسقاط التعيين « المسلمة »، ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم، كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها « القومية النسائية » تربط المرأة المسلمة بالمرأة النصرانية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان، بالمشركة، بالملحدة[٢٤٧] ... إلخ .

---

(٢٤٧) بل الأدهي من ذلك أن تتجاوز هذه (القومية النسائية) حدود الزهان لتجعل المسلمة الموحِّدة أختاً لنساء قدماء المصريين الوثنيات، انظر ما كتبته (إحداهن) مفتخرة بالفراعنة : (كان الفراعنة هم أول من رفع المرأة إلى مقاعد الحكم، وارتضى رجالهم في فخر واعتزاز أن تحكمهم ملكات كانت عهودهن رمز العدالة والتقدم والاستقرار .. ولقد وصلت المرأة الفرعونية إلى هذه المكانة العالية في قومها بغير معارك وبدون اعتراض .. وما كان ذلك إلا لأن المجتمع الفرعوني كان هو المجتمع المتحضر الذي رسم للبشرية بأجمعها طريق الحضارة والعلم والحكمة) ا هـ من (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص (٧) ثم تفتخر ببعض مظاهر حرية المرأة عند الفراعنة مثل : (حق إقتسام الميراث في مساواة مع رجل أسرتها، وكانت تملك حق تطليق زوجها بعد أن تدفع له تعويضاً، وكانت تسمى أولادها باسمها) ا هـ ص (١٥)، وتنقل بإعجاب عن (هيرودوث) قوله : (إن المرأة في مصر القديمة أكثر نشاطاً من رجلها، فالنساء يذهبن إلى السوق يبعن ويشترين في حين أن الرجال يلازمون بيوتهم حيث يقومون بنسج الأقمشة) ا هـ ص (١٦)، ثم تفتخر زعيمة حزب (بنت النيل) بنفرتيتي زوجة أخناتون [التي حملت لواء حركة الانقلاب الديني .. وهي الحركة التي قامت في عهد حكم زوجها، وإشتركت نفرتيتي معه في صنع أسس الدين الجديد الذي توحدت فيه لأول مرة في تاريخ الأديان (!!) جميع آلالهة في إله واحد هو (أتون) أي الشمس] اهـ ص (١٦)، وليت شعري ما الذي يدعو إلى هذا الفخار وقد انتقلت نفرتيتي وقومها من شرك إلى شرك ؟ وأي شيء يدعو للإعجاب والاعتزاز بفراعنة وحّدوا آلهتهم المتعددة في (كومبانية) آلهة مشتركه هي (الشمس) تعالى الله عما يشركون !، وهل خفي على هذه (المتحررة) أن عقيدة توحيد الله سبحانه وتعالى أول من نزل بها إلى الأرض من البشر آدم وحواء .. وأنهما كان على دين الإسلام الذي أرسل الله به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه ؟ وأن التوحيد ليس إختراعاً =

كأن قضيتهن واحدة، ومطالبهن واحدة، وأهدافهن واحدة، ومعتقداتهن واحدة، وكان السعي فعلاً حثيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية، وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها، وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية ! حتى سقطت بعض المسلمات فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معتزة بزيها الخاص « الساري » وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها)[٢٤٨] .

وقد قامت الدوائر الاستعمارية خاصة في أمريكا وانكلترا بتغذية هذه « القومية النسائية » في البلاد الإسلامية خاصة مصر، فحينما استطاع « الاتحاد النسائي المصري » أن يعقد ما سمي بـ « المؤتمر النسائي العربي » سنة ١٩٤٤م وسط استنكار الشعوب العربية والمسئولين فيها، ووسط احتجاج العلماء وثورة الإسلاميين، إذا بزوجة الرئيس الأمريكي « روزفلت »[٢٤٩] تبرق إلى المؤتمر المذكور في ١٧ ديسمبر ١٩٤٤م البرقية الآتية : (يسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحادات النسائية في مختلف بلاد الشرق العربي، والواقع أن نفوذ السيدات ليتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم، وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب « شقيقاتهن » في باقي بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم والسلم العالمي في المستقبل)[٢٥٠] .

ومن قبلها حضرت إلى مصر « الدكتورة ريد » رئيسة الاتحاد النسائي الدولي

= فرعونياً ؟ وهل تتجاهل الكاتبة حقيقة تلك الوثنية الفرعونية البغيضة التي لا يصح إسلام أحد حتى يتبرأ منها ومن أصحابها ؟ قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ الآية (٤) (الممتحنة : ٤).

(٢٤٨) (في مسألة الحجاب والسفور) لصافي ناز محمد كاظم) ص (٢٦) بتصرف.

(٢٤٩) (ولسنا في حاجة إلى أن نذكر الدور الخطير الذي لعبته « مسز روزفلت » في تكوين الوطن القومي لليهود في فلسطين) من (الحركات النسائية) لمحمد فهمي عبد الوهاب ص (٢٨).

(٢٥٠) (الحركات النسائية في الشرق) ص (٢٧).

بنفسها لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية، ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي، وبتصريحاتها التي ترمي إلى « المسارعة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية » المزعومة !

(ومن هنا أيضاً لم يدهش الشعب المصري لزيارة وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية « مسز سمر سكيل » لتتفقد الأحزاب النسائية في مصر، وتجتمع بـ « درية شفيق » رئيسة حزب « بنت النيل » المشبوه، وتحرضها على أن تترك المقالات والمناقشات والمجلات وتتجه إلى المظاهرات واقتحام أبواب البرلمان[٢٥١] .

وتمثل رئيسة « حزب بنت النيل » لتلك التوجيهات، ففي أبريل سنة ١٩٥٢ خرجت مظاهرة من قاعة « إيوارت » بالجامعة الأمريكية ــ ذات التاريخ الطويل في التبشير ــ قوامها بضع عشرات من الفتيات الكاسيات ...، تتقدمهن زعيمة الحزب المذكور، وبعض الشبان من أصدقاء حزبها وأنصاره إلى دار البرلمان، هاتفات بالحقوق السياسية المزعومة !

وفوراً، أبرقت جمعية « سان جيمس » الإنكليزية إلى الزعيمة المذكورة بتهنئتها على نجاحها في اتجاهها الجديد نحو المظاهرات، وتعلن تأييدها لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقوق السياسية، تحت قبة البرلمان، وفوق كرسي الوزارة)[٢٥٢] اهـ .

فهل أدركت يا أخت الإسلام :

حقيقة « الحركات النسائية » .. وهدف « القومية النسائية العالمية » ؟

(إن الكلام عن « العالمية » في هذا المجال ضار جداً، وهادم لأسباب النهضة عند الأمم الضعيفة بنوع خاص، لأنها إذا أرادت أن تنهض فلن تقوم لها نهضة إلا على

---

(٢٥١) وكان الهدف من ذلك كله إشغال الرأى العام بقضية المرأة عن التفرغ لقضية (الوطن الأسير) الذي كانت تحتله آنذاك الدولة التي تمثلها (مسز سمر سكيل) الغيورة على (حقوق المرأة المصرية) !

(٢٥٢) (الحركات النسائية في الشرق) ص (٣٧ ــ ٣٩) بتصرف.

مغارسها وأصولها الأولى، والنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف في العنصر الأقوى)[٢٥٣] .

حصـاد المؤامـرة :

في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه نعرة توحيد « القومية النسائية » كان دأب « دعاة تحرير المرأة » رجالاً ونساءً الأهم هو فصل قضية تحرير « المرأة » المسلمة عن قضية تحرير « الوطن » المسلم، وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم : تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت في مسارات متباينة متعارضة بل ومتصارعة، إذ لم يقف الأمر عند هذه التجزئة بل تعداه إلى أن جُعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الرجل المسلم وأمام الوطن المسلم، تقف خصماً ضد شريعتها، تمتلىء رعباً وهلعاً كلما قيل لها : هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك، وتنفرج أساريرها فرِحة كلما وُجِّهَتْ ضربة إلى الشرع الحنيف عن طريق سن المزيد من القوانين العلمانية المستمدة من قوانين الغرب .

ذهب العصر الذي شيبنـا ... وأتى عصر الشباب الملحدين
عيرونـا أن عبدنـا ربنـا ... وحفظنا عهده في الحافظين
وعدوهـا لنـا « رجعيـة » ... جعلوهـا سبـة للمؤمنين
للمصلين إذا ما سجدوا ... من حديث السوء ما للصائمين
نسخ الأخلاق في شرعتهم ... أنها من ترهات الجامدين
إن نقل « دين » يقولوا « فتنة » ... هاجها في مصر بعض المفسدين
فسد الأمر فهل من مصلح ... أصلحوه يا شباب المسلمين[*]

(٢٥٣) من مقالة للدكتور (محمد محمد حسين) رحمه الله بمجلة الأمة العدد (٣١) السنة الثالثة ص (٢٦) .
(*) « الاتجاهات الوطنية » (٢/٣١٤) .

الصحافة، والمرأة المسلمة (*)

وصف « محمد التابعي » ـــ الذي كانوا يعدونه أستاذ جيل الصحافيين الذين خرجتهم مجلة (روز اليوسف) ـــ واقع الصحافة يوماً، فقال ما نصه :

[هذه الصحيفة صنيعة أمريكا، وهذه الصحيفة مأجورة للإنجليز، وهذه المجلة تصدر بأموال شيوعية، وهذا الصحفي يتلقى أوامره ومرتبه الشهري من موسكو أو وارسو أو براج .

وهكذا أصبحنا جميعاً نحن الصحفيين بين فاسدين ومفسدين، ومنافقين وخونة، مأجورين للكتلة الغربية والكتلة الشرقية، وأصبح الشعب في حيرة من لسانه المسموم : الصحف التي أيدت الطغيان، ودافعت عن الفساد، الصحفيون الذين مرغوا جباههم تحت أقدام الطغيان، بعد أن أسفر الطغيان] .

انتهى من (الصحافة والأقلام المسمومة) للأستاذ « أنور الجندي » ص(٦٨ ـــ ٦٩) نقلاً من : (أخبار اليوم) تاريخ (١٩٥٢/١٠/٢٥) .

دور الصحافة في حركة (تدمير) المرأة

أولت الصحافة (اليومية والأسبوعية) اهتماماً كبيراً للمرأة، وظهرت صحف متخصصة لقضايا المرأة، تحمل ذلك الفكر الذي يعتمد على مفاهيم مضللة عن حرية المرأة، وعمل المرأة من خلال مفهوم يقوم على الهجوم الدائم والمتصل على كل الدعوات التي تحمل لواء مسئولية المرأة في المنزل، ورسالتها الحقيقية في الأسرة والزواج وتربية الأبناء، وتركز على مجموعة من المفاهيم الخاطئة كالقول بأن عمل المرأة من شأنه أن يزيد

(*) مختصر ـــ بتصرف ـــ من : « الصحافة والأقلام المسمومة » للأستاذ أنور الجندي.

دخل الأسرة مادياً، وأن المرأة تعاون الزوج في نفقات البيت، ثم تركز على مسائل الأزياء الجديدة، وكل ما يتصل بالزينة والملابس والإغواء، وهي تتمثل بأن هناك عداءً للمرأة يحمل لواءه الرجل، وأن نظم الزواج والطلاق لا تحقق للمرأة رغبتها في التحرر وامتلاك الإرادة، والقضاء على ما يسمى بالقوامة، وتستمد هذه الكتابات مفاهيمها من دعوة منحرفة تقودها منظمات عالمية هي في الأغلب على صلة بالصهيونية العالمية، وتعتمد على عبارات مسمومة مما يتردد في كتابات بعض دعاة الهدم أمثال (سيمون دي بوفوار) و (فرانسوا ساجان) وكثيرات ممن يجرين في نفس الفلك .

ولعل مجلتي (حواء) و (الشرقية) كانتا أشد المجلات عنفاً وجرأة في هذا المجال، حيث تُشَنُّ حملات مستمرة شديدة متصلة على كل قيم الإسلام، وقد حملتا حملات واسعة على حركة العودة إلى الله التي ظهرت في مجال الطالبات الجامعيات والدعوة إلى الحجاب الإسلامي، ووصفتا هذه الحركة بكل تحقير، كما أعلنتا خصومتهما لكل دعوة إلى الملابس المحتشمة أو أخلاقيات الملابس، وسخرتا من القائمين بها، كما حملتا على القائمين على حدود الله في أمور الطلاق وتعدد الزوجات .

وماتزال المجلات النسائية في مصر والبلاد العربية تحتضن في أعماقها خلفية من الكراهية للمفهوم الإسلامي، وتعليماً واضحاً لبث هذه السموم يوماً بعد يوم .

لقد حرصت الصحافة العربية على أن تغير العرف الإسلامي العام في مجال الاجتماع والمرأة والأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة، مستهدفة تحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أقامه الإسلام على أساس المحافظة على العرض والشرف والخلق، وتنطلق النظرة الغربية الوافدة التي تحمل لواءها الصحافة العربية من خلفية آثمة تستهدف إخراج المرأة من دائرة حياتها الحقة، من موقعها الأصيل، لتكون أداة تسلية ولهو وإفساد كما تصور ذلك (بروتوكلات صِهْيَوْن تحت اسم تحرير المرأة، وحقوق المرأة، وقد أكد كثير من الباحثين أن المرأة ماتزال سلعة يتلاعب بها يهود العالم، وأن الصحافة هي وسيلتهم

الكبرى في ترويج هذه السلعة .

إن من أشد مقاتل الصحافة ومصادر اتهامها أنها لا تقدم الحقيقة للمرأة، وإنما تفضل أن تقدم لها الرأي المضل الخادع الغاش، وأنها تخفي الحقائق الأصيلة، وتحجبها لأنها تتعارض مع هدفها الأساسي من التدمير .

مثال ذلك أنها تكثر من تقديم كتابات الغرب الداعية إلى الفساد، وتتجاهل عمداً عشرات الأبحاث الجادة التي تكشف الحقيقة، والتي كتبها غربيون منصفون، يحذرون من مخاطر المنزلق الذي هوت إليه المرأة .

ــ ففي قضية (عمل المرأة وحريتها) حذر الكثيرون من أمثال (ألكس كاريل) والكثيرات ومنهن (مارتن باولي) من أخطار انهيار الأسرة بسبب تمرد المرأة على التزاماتها اليت توثقها بالأسرة، وبسبب اندراج عدد كبير من الزوجات في العمل خارج المنزل، مما يخضعهن لسلطة أخرى هي سلطة المؤسسات وقوانينها، مما أدى إلى ارتفاع معدل الطلاق إلى ما يقارب الخمسين بالمائة من عدد الزيجات، وتغيرت صورة المنزل التقليدية وأصبحت مجرد خيال ... حتى العلاقة بين الآباء والأبناء أصبحت تعصف بها الشكوك ... إلخ .

ــ وفي مسألة « تحديد النسل » : كشفت دراسات غربية كثيرة عن فساد الدعوة إلى تحديد النسل، وكيف أن الغرب يدعو إلى ما يضادها من تشجيع النسل، وكيف أن قادة الدين النصراني رفضوا الموافقة على تحديد النسل .

وكشفت الأبحاث عن أخطار طبية واجتماعية نتيجة حبوب منع الحمل، ولكن صحافتنا تحجب هذه الجوانب .

ــ وفي مجال قضايا الأسرة والشباب كشفت دراسات كثيرة في مقدمتها كتابات (برتراند راسل) عن فساد الأسرة في المجتمع الغربي الذي تصوره لنا الصحافة العربية

على أنه المثل الأعلى .

إن الصحافة العربية متهمة بأنها تخفي عن قومنا أن المرأة في الغرب تجأر الآن بالشكوى ، وتطلب العودة إلى البيت .

ويمكن تلخيص عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة في ميادين مختلفة :

أولاً :في مجال الدعوة إلى حرّيتها الزائفة ، وغرس الشعور « بالقومية النسائية » عن طريق التهليل والتصفيق لكل امرأة وليت عملاً من الأعمال : منادية في البورصة ، سائقة تاكسي ، كناسة في شوارع روسيا .. إلخ .

ثانياً : إشاعة جو من التبرج الصارخ ، والتمرد على الفطرة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والسينما والمسرح والقصة ، وغيرها ، والإفاضة في شأن الموديلات والسهرات ومسابقات الجمال وأخبار الفاسقات من الممثلات والراقصات، والإلحاح في ذلك حتى يوجدوا لدى الجميع انطباعاً بأن هذه هي صورة المجتمع الطبيعية التي لا مناص من الإقرار بها ثم الاندماج فيها .

وبينما يدعو الإسلام المرأة إلى إغماد سلاح الفتنة أمام الرجال، وتجنب مخالطتهم والاحتجاب عنهم، تدعو الصحافة إلى الملابس الضيقة والعرى وإيقاد الشهوات

ثالثاً : تعمل الصحافة جاهدة لتحقيق هدف خطير ألا وهو: دمج الرجولة في الأنوثة، وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس، وإلباس الرجل ثياب المرأة، والمرأة ثياب الرجل، وذلك معارضة لحكمة الإسلام في حتمية الفصل الدقيق والعميق بين الرجل والمرأة .

رابعاً : دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل، تحمل في طياتها خطراً شديداً، فإن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة، والترويج للحرام، وهدم الأسر .

خامساً : تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات الحوادث المخلة والإغراء بها، وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية تستهدف بذلك أن تبدو العلاقة المحرمة في نظر الناس سهلة يسيرة، بل ومقبولة، ويحاول بعض الصحافيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعرض كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء والرجعيون؛ تقول (أمينة السعيد) : (الحرية الجنسية في البلاد الأخرى طاغية في خطابات القراء عندهم، فإذا وجدوا بنتاً معقدة شجعوها أن تنطلق جنسياً، وتمارس حياتها بلا حدود، عندنا البنت عندما تخطيء تكاد تقتل نفسها، هناك يقولون : « إنها إحدى تجارب الحياة، ستتعلمين منها، واحترسي في المرة القادمة »، إذا كانت حاملاً دون زواج، يقولون : « وماله ؟! أعط الطفل أمومتك، وربيه، وواجهي به المجتمع » يعني شيء مختلف لا يمكن أن يسرى عندنا ..)[٢٥٤] اهـ.

وجاء في مجلة « صباح الخير » : (إن نظام الزواج في وطننا العربي هو نظام مضحك يدعو إلى السخرية : مهر، وعقد .. مظاهر جوفاء تُقتل فيها الإرادة، وتقتل المشاعر الإنسانية[٢٥٥] اهـ.

وتقول (عايدة ثابت) في (أخبار اليوم) تاريخ (١٧ سبتمبر ١٩٧٠) وهي تتحدث عن المجتمع الأوربي تحت عنوان : « حرية الفتاة بلا حدود » :

(إن ما نسميه نحن انحلالاً يفعلونه كأى ظاهرة طبيعية أخرى، فلم يعد في هذا المجتمع شيء غير مباح وغير مقبول، ولم يعد الشباب يواجه في سلوكه وعلاقاته كلمة « ممنوع ») اهـ.

ولقد عمدت الصحافة إلى الغش والتمويه وذلك في طرق عرض الجرائم الخلقية، وهي تعرف أن أخبار الجرائم الأخلاقية تثير النفوس، فتعرضها على نحو تهون فيه من

---

(٢٥٤) (المصور) العدد (٣١٣٩) تاريخ ٧ ديسمبر ١٩٨٤م — ص (٧٤).

(٢٥٥) نقلًا من (مجلة الجامعة الإسلامية) (١٣٩٥ — ١٣٩٦هـ) ص (١٢٨).

شأنها، وتوحي من وراء التعدد والموالاة والتكرار أن الظاهرة عامة، وأنها طبيعية، وأنها لا تؤثر على المجتمع.

وهي لا تحاول مطلقاً أن تقدم مع الحدث الوجهة الصحيحة أو الدرس المستفاد، أو الدعوة إلى الإصلاح، فذلك أمر تتجاهله تماماً، ولا ريب أن موالاة عرض الجرائم والأحداث أسبوعاً بعد أسبوع، ويوماً بعد يوم، وإعداد صفحات دائمة، وأبواب ثابتة لها هو من أخطر ما تقوم به الصحافة في سبيل توهين روابط المجتمع، وليس عملها في هذا المجال أقل من اهتمامها بنشر التفصيلات الوافية عن أفلام الجريمة والفحش.

وهناك في الصحافة النسوية اهتمام بالغ بالموضة (أي بالأساليب المتجددة للزى) وهناك اضرار بالغ واهتمام كبير بهذه التغييرات، وبالرغم من الأخطار التي يتحدث الباحثون عن آثارها في المرأة فإن موجة الاندفاع لا تتوقف، يقول واحد من هذه الأبحاث :

إن المجتمع يدفع المرأة إلى الجنون، ففي كل دقيقة تظهر موضة جديدة، وفي كل لحظة هناك منتجات ظهرت خصيصاً للمرأة، وتجد المرأة نفسها منجذبة نحو هذا التيار الجارف من المعروضات لدرجة تكاد تدفعها إلى الجنون، إنها تريد أن تجرب كل شيء، وتشترى كل شيء، وعندما لا تستطيع تصاب بعقدة.

ويقول علماء النفس : « إن المرأة التي ليس لها رصيد من القناعة، يصبح لها رصيد من العقد، فهناك آلاف من الأشياء التي تجذب المرأة إليها، والتي تجعلها تفقد الاهتمام بزوجها، والحل هو أن المرأة عليها أن تلزم التوازن، وأن تحدد باقتناع ما تريد، وتزن الأمور حتى لا تصبح في النهاية فريسة للضياع في بحر من العقد ».

هذا ما قاله علماء النفس، لكن الصحافة العربية تقول غير هذا، تقول على لسان

« أنيس منصور »[٢٥٦].

(سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محتشمة جداً، وسخيفة جداً، لأن الفساتين سوف تكون طويلة وواسعة، وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين، وأن ما بينها وبين هذه الفساتين خصام)، ثم يصف في عبارة بذيئة هذه الثياب إلى أن يقول: (ثم إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة، فلا الساقان ظاهرتان، ولا ... ولا ... ولا الذراعان، ولا العنق، كأنها أنواع مختلفة من الخيام، وإن المرأة قد ضربت حولها وأمامها ووراءها الخيام فلا يراها أحد) ثم يقول: (إن ملوك الأناقة عوضوا المرأة عن هذه الخيمة بأشكال جميلة من قمصان النوم، ومعنى ذلك أن الموضة ستجعل المرأة جميلة في البيت، وغير ذلك في الشارع، على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس، فإنها تفضل أن تكون جميلة لشخص واحد، والمرأة التي لا تسعد برجل واحد، فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين، ولذلك فإن المرأة تسارع إلى الشارع، وتتمتع بنظرات الناس إليها، لأنها لاتجد هذه المتعة في البيت)[٢٥٧] اهـ.

سادساً: ومن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العرف الإسلامي للمرأة هي رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات، وجعلهن مثلاً أعلى للفتاة في أمور الملبس والمآكل والعادات والتقاليد.

---

(٢٥٦) (محمد أنيس منصور) من أعداء المرأة المسلمة الكارهين لما أنزل الله، الذين لم يدخروا وسعاً في بلبلة الأفكار، وتشويه العقائد، وصرف الشباب عن مفهوم الدين الحق، وقد قام بدور ضالع في إحياء الأساطير الفرعونية، والفكر الفلسفي عند الفراعنة، وسوَّد الصفحات بأفكار مسمومة عن سارتر والوجودية، وفرانسوا ساجان الكاتبة الفرنسية الإباحية، وهو لا يألو جهداً في الترويج للراقصات والفاجرات بطرق شتى تهدف في جملتها إلى إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فراجع « الصحافة والأقلام المسمومة » للأستاذ أنور الجندي ص (١٠٧ ــ ١١١)، (١٨٤) لتطالع دوره في الصدِّ عن سبيل الله وتحطيم الشباب المسلم.

(٢٥٧) انظر (الصحافة والأقلام المسمومة) ص (٤٢ ــ ٤٣) ، (٥٦).

سابعاً : ومن ذلك الدعوة إلى إلغاء قوامة الزوج على زوجته، تقول (أمينة السعيد) : (القوامة اليوم لا مبرر لها، لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي، في مجال الثقافة والمال، وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات، فلا مبرر للقوامة)(٢٥٨) اهـ.

ولا ريب أن هذه الآراء المسمومة التي ترددها (أمينة السعيد) هي نفسها التي طرحتها (سيمون دى بوفوار)، ومجمع المؤامرات المنعقد ضد المرأة المسلمة.

ثامناً : فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا، وما يتخلل الردود من سخرية واضحة بالدين، واستهانة بالخلق، ودعوة إلى التخفف من العقوبات الشرعية، واللامبالاة الاجتماعية بالآثام، والميل إلى اعتبار الآثام الخلقية داخلة في إطار الحرية الشخصية.

تاسعاً : حملت الصحافة حملات شعواء على العلماء الذين قدَّموا حكم الإسلام في المرأة، في مواجهة سمومهم وضلالاتهم وذلك كما فعل « أحمد بهاء الدين » و « موسى صبري » وغيرهما.

عاشراً : حاولت الصحافة تصوير الدعاة إلى تحرير المرأة بأنهم أنصارها الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل، والواقع غير ذلك فإن هؤلاء هم أعداؤها الحقيقيون الذين يدعونها إلى النار، ويقودونها إلى الهاوية، وصدق الله العظيم : ﴿ **والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ النساء (٢٧ ــ ٢٨).

---

(٢٥٨) السابق ص (٤٨) ــ وانظر القسم الثاني من هذا الكتاب ص (٩٣ ــ ٩٩).

وقفة مع بعض دعاة « تحرير المرأة »

١ ــ إحسان عبد القدوس :

(وهو أحد المسئولين عن إفساد هذا الجيل بما كتبه من روايات تجر الشباب جرًا إلى القاع ، وتقتل فيهم نوازع السمو والسعي نحو مستوى خلقي أفضل ، إنه يرضى مظاهر واتجاهات الانحراف ، فيشجعها ويمجدها ويفلسفها ، ويرصد اتجاهات الاستقامة والفضيلة فيخذلها ، ويصدر عنها ، ويحاربها)[٢٥٩] .

يقول « إحسان » : (إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود) .

[وقد كتب في إحدى توجيهاته التي كان يبثها في المجلة التي تحمل اسم والدته اليهودية (روزاليوسف) : (إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب إلى أبيها ، وتقول له : « هذا صديقي » !) ، وقال في « أخبار اليوم » : إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ، ورأى هناك من أوضاع الطلاب والطالبات كذا وكذا ــ مما يرفضُّ جبين القلم من الخجالة تسطيره ــ ثم قال : (فقلت في نفسي : متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط ! لكي تراه عيون أهل الصعيد ، وتتعود عليه !)اهـ[*] .

(وما زال « إحسان » يقف مع كوكبة من أمثال « لويس عوض » و « نجيب محفوظ » و « مصطفى أمين » و « يوسف إدريس » في إصرار عجيب على الترويج للفحشاء وتبريرها في نفس الوقت الذي أخذت فيه ظاهرة المرأة المسلمة المحتشمة تبدو واضحة في كل مكان على أنها واقع أصيل يصفع الداعين إلى الشهوات والآثام)[٢٦٠]

---

(٢٥٩) مجلة (المجتمع) الكويتية العدد (١٨/ ١/ ١٩٧٧ م) .

(*) انظر : «واقعنا المعاصر» ص (٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

(٢٦٠) انظر : «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (٢٠٥) .

٢ ـــ نجيب محفوظ :

[الشاك في كل قيمه ، المتذبذب في كل فكره ، الضائع في كل واد ، المتحدى لعقيدة الأمة ، والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعب منها حتى يطفح ، فيفيض ما عليه على غيره ، وينتكس بعد ذلك إلى غيره][٢٦١] .

[وقد اتضح في آثاره ظاهرتان خطيرتان أولاهما : إشاعة الفاحشة ، وتبريرها ، وثانيتهما : الإلحاد ، ولهذا يوليه الماركسيون اهتمامًا خاصًا ، وقد استخدموه في دعوتهم إلى الإباحية وإلى المفاهيم الهدامة للأسرة والفتاة ، وعمل المرأة ، وعلاقتها بالرجل][٢٦٢] .

٣ ـــ مصطفى أمين :

خريج مدرسة « التابعي » ، والصحافي البارع في وضع السموم في علب ملونة حلوة المظهر تخدع القراء ، قال الأستاذ « أنور الجندي » (كان « مصطفى أمين » يصنع الأصنام ويعبدها ، ويحاول أن يجر الشعب معه ليسجد لتلك الأصنام) ، ومن مواقفه إزاء حركة الإصلاح الإسلامي قوله :

(حارب الأحرار في هذه البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها ، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى الوراء وقد يحدث هذا في أي مكان ،

---

(٢٦١) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة» ص (١٨٩ ـــ ١٩٦)
وإذا عرفنا أنه صنيعة (طه حسين) و (سلامة موسى) لم نستغرب اجتهاده في تحطيم الشباب ، فإن أستاذيه كانا يعرفان أنهما يقدمان سمًا من نوع خطير إلى الأجيال الجديدة ، فيخدمان به دعوتهما ، ويكونان جيلًا يحمل أفكارهما ، انظر المرجع السابق ، ص (١٨٦) ، (١٨٩) .

(٢٦٢) السابق، هذا وقد كافأته الأيدي الملحدة الأثيمة بمنحه جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٨ لتأليفه رواية « اولاد حارتنا » وجاء فى حيثيات الترشيح الرسمية ان الرواية تعنى بالبحث الازلى للإنسان عن القيم الروحية ، فآدم وحواء وموسى وعيسى ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء والرسل يظهرون فى غنف طفيف) اهـ ، وقد نشر ملخص هذه الرواية بجريدة النور عدد (٢٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ) ، فإذا بها تتضمن الإلحاد فى ذات الله ، والتفريط فى جنب الله ، والاستهزاء بكعبة الله ، والتطاول على مقامات أنبياء الله ، وتجريح رسل الله ، بما فيهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والاستخفاف بملائكة الله ، بحيث يتحقق فى صاحب هذ الرواية قول القائل :

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى   بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ولا نبالغ إذا قلنا فى ضوء هذه الرواية التى رقعت بوثنيات اليونان ، وإباحيات الرومان ، وخبث الماسون ، وإلحاد الماركسيين ، لا نبالغ إذا قلنا إن انتساب « نجيب محفوظ » إلى البشرية عار على الجنس البشرى ، وأولى به أن يرجم كرجم العرب قبر أبى رغال ، وإن الكفر البواح ، والشرك الأكبر الذين تلبس بهما ليجعلانه عدوًا لدودًا لكل ذى دين ولو كان يهوديًا أو نصرانيًا ، بله المسلم الموحّد .

ولكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر)[٢٦٣].

ومع أنه قلما يفصح عن أهدافه، إلا أنه كتب يوماً تحت عنوان : « الأهداف التي ستعمل لها مصر بعد الاستقلال »[٢٦٤] وجعل من أهدافه التي سيعني بها، ويقود لها الرأى العام : (أن يحارب التعصب الديني، وأن يجدد الأزهر، وأن ينادي بتحرير المرأة قلبياً، لأن الحب الطاهر لا يزال جريمة يعاقب عليها المجتمع، والمجتمع المصري إلى اليوم مجتمع لا روح فيه لأنه خالٍ من المرأة، والشباب المصري لا شخصية له لأنه ليس في جياته امرأة ... ومن أهدافه أن يشجع المرأة على المطالبة بحقوقها السياسية، وتولي الوظائف، وأن ترث كما يرث الرجل تماماً، وأن يدعو إلى اتحاد شرقي لا اتحاد إسلامي[٢٦٥]، على نظام الولايات المتحدة الأمريكية)[٢٦٦]، ومع أن أسمي ما تطمح إليه الأمة في هذا العصر هو تطبيق الشريعة الإسلامية نجد « مصطفى أمين » يسفه هذا المطلب، ويقول : (إن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة، ولا يمكن أن تعود القهقري إلى الخلف)[٢٦٧].

٤ ــ نزار قباني[٢٦٨] :

وهو من عصابة المجان الكارهين لما أنزل الله، المحرضين على الفساد والفاحشة؛ يقول في بعض احاديثه : (لو كنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر)، ويقول مستهزئاً : (العرى أكثر حشمة من التستر)، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعده المتحررون من أعمدة الدعوة

(٢٦٣) (أخبار اليوم) (٥ نوفمبر ١٩٧٧م).

(٢٦٤) وتاريخ المقال (١٥ مارس ١٩٤٣م) بمجلة الإثنين).

(٢٦٥) بهذا النص !

(٢٦٦) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (٩٩ ــ ١٠٦) .

(٢٦٧) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (٩٩ ــ ١٠٦).

(٢٦٨) « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (١٦٧ ــ ١٦٨) بتصرف .

إلى تحرير المرأة، قال الأستاذ « أنور الجندي » : [أما شعر « نزار قباني » الذي أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفيني في التعريف به ما كتبهُ « محمد سالم غيث » في كتاب له حول شعر « نزار » يقول : لقد خلع « نزار » ثياب الرجل كثيراً، ولبس ثياب المرأة، التي حكم عليها هذا الشرق الغبي بالإعدام » حتى إنه ليقدم أحد كتبه الفاجرة إلى طالبات الجامعة الأمريكية، ويقول : « إنه كتابكن، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها، ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويستعير كحلها، وأساورها ليكتب عنها، من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية » ؟

ولا نستطيع أن نعلق على هذا إلا بما كتبه « صالح جودت » قائلاً :

« لا رحم الله نزار : لقد مات كسوريٍّ، ومات كعربي، ومات كشاعر، ومات كإنسان »[٢٦٩] اهـ .

شـعـر :

لا بوركت تلك الأكف فإنها ضربت على الألباب سداً عاتيا
حجبت صديع[٢٧٠] الرشد عنها فارتمت تجتاب ليل الغي أسفع داجيا
بعثوا الصحائف يلتوين كأنما بعثوا بهن عقارباً وأفاعياً
صحف يزل الصدق عن صفحاتها ويظل جد القول عنها نابيا
ليت الزلازل والصواعق في يدي فأصبها للغافلين قوافيا
فنيت براكين القريض ولا أرى ما شفني من جهل قومي فانيا
فلئن صمتُّ لأصمتن تجلدا ولئن نطقت لأنطقن تشاكيا[٢٧١]

---

(٢٦٩) « الصحافة والأقلام المسمومة » ص (١٦٧ ــ ١٦٨) بتصرف .

(٢٧٠) الصديع : الصبح.

(٢٧١) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (١ / ٢٢٠).

موقف الإسلام من دعاة تحرير المرأة

إذا كان حال هؤلاء الدعاة والداعيات كما تقدم، وولاؤهم لأعداء الإسلام كما وصفنا، فهل يحتاج الأمر منا إلى كثير تدبر فيما ينبغي أن يكون عليه موقف كل مسلمة ومسلم من دعوتهم الأثيمة ؟

أليس هؤلاء ممن قال تعالى فيهم : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة** ﴾ النور (١٩)، وإذا كان القوم أشربت قلوبهم حب الكافرين، وأولعوا بما هم عليه من الضلال المبين، فأين أنت أيتها المسلمة من قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ آل عمران (٢٨).

وقوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ المجادلة (٢٢).

وقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** ﴾ آل عمران (١٤٩).

وقوله تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ الأنعام (١٢١).

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ المائدة (٥١)، قال حذيفة رضي الله عنه : « ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر لهذه الآية : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ المائدة

(٥٤)، قال علي رضي الله عنه : « أذلة على المؤمنين » أهل رقة على أهل دينهم « أعزة على الكافرين » أهل غلظة على من خالفهم في دينهم، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء** ﴾ المائدة (٥٧)، وقال تعالى : ﴿ **ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون** ﴾ المائدة (٨٠)، وقال تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾ هود (١١٣)، قال ابن عباس (ولا تركنوا) : ولا تميلوا، قال بعض المفسرين في الآية : (فالنهي متناول للانحطاط في هوتهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضي بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، والركون : هو الميل اليسير) اهـ .

وقال تعالى : ﴿ **يأأيها الذين لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ الآية الممتحنة (١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « من أحب في الله ، وأبغض في الله، وعادى في الله، ووالى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك »، وقال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ الأنفال (٧٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : « يا أبا ذر أيُّ عرى الإيمان أوثق ؟ قال : « الله ورسوله أعلم »، قال : « الموالاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله »[٢٧٢]، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »[٢٧٣]، وقال ﷺ : « المرء مع من أحب »[٢٧٤]، وقال ﷺ : « ولا يحب رجل قوماً إلا جاء

(٢٧٢) حسن بشواهده، إنظر تحقيق (شرح السنة) للبغوي (١٣ / ٥٣ ــ ٥٤).
(٢٧٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود، وحسنه الأرناؤوط (شرح السنة ١٣ / ٥٤).
(٢٧٤) متفق عليه.

معهم »[٢٧٥] .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا تلاوة سورة الفاتحة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، في كل مرة ندعو الله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ثم يبين سبحانه صفة هذا الصراط بقوله : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ وهم اليهود ﴿ **ولا الضالين** ﴾ **الفاتحة** (٧) وهم النصارى ــ فما ذاك إلا لأنه لا يمكن للمسلم أن يستقيم إلا إذا خالف أصحاب الجحيم، وتميز عن هديهم وطريقهم ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ **الأنعام** (١٥٣) .

كيف إذن نصدق هؤلاء الأفاكين، وننقاد لأولئك المغررين من أعداء ديننا وأمتنا، الذين يخبرنا سبحانه عما في قلوبهم بقوله : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ **آل عمران** (١١٨) .

فيا أيتها الأخت المسلمة :

إن أيديهم الماكرة الخبيثة الخادعة قد امتدت إليك في هذه الفتنة لتنزلك من علياء كرامتك، وتهبط بك من سماء مجدك، وتخرجك من دار سعدك، فاقطعيها بسرعة وبقوة فإنها يد مجرمة ظالمة، واهتفي بما هتفت به من قبل « عائشة التيمورية »[٢٧٦] :

بيد العفاف أصون عز حجابي ... وبعصمتي أعلو على أترابي
وبفكرة وقَّادة وقريحة ... نقادة قد كملت آدابي
ما ضرني أدبي وحسن تعلمي ... إلا بكوني زهرة الألباب
ما عاقني خجلي عن العليا ولا ... سدْلُ الخمار بلمتي ونقابي[٢٧٧]

(٢٧٥) قطعة من حديث أخرجه البغوي في « شرح السنة » (١٣ / ٦٤).
(٢٧٦) هي الأديبة الألمعية شقيقة أحمد تيمور باشا (ت ١٩٠٢م).
(٢٧٧) (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) لزينب بنت يوسف فواز العاملي ص (٣٠٩).

قولي كما قالت أختك من قبل :

أيها القوم أصلحوا أنفسكم ... خاب من رام السفور اليوم خابا
بُرْقُعِي وَسْطَ مُحيطي شرفي ... لم أحِدْ عنه ولو ذقت العذابا

واحذري من الذين :

قالوا ارفعي عنكِ الحجابا ... أوَ ما كفاك به احتجابا
واستقبلي عهد السفو ... ر اليوم وَاطَّرِحي النقابا
عهد الحجاب لقد تبا ... عد يومه عنا وغابا

ألقميهم الحجارة وأخرسيهم قائلة :

فأجبتهم والضحك ملء ... فمي ولم أعدم جوابا
مهلاً فما هذا الذي ... قد غركم إلا سرابا
أولا ترون الغرب كيـ ... ـف غدا الرجال به ذئابا
أولا ترون عري الأ ... خلاق تنشعب انشعابا
كم نظرة للوجه تو ... رث في الحشا جمراً مذابا
إن ترغبوا لنسائكم ... صَوْناً وعيشاً مستطابا
فدعوا السفور لأهله ... وارخوا عليهن النقابا[278] .

(٢٧٨) (فقه النظر في الإسلام) لمحمد أديب كلكل ص (١٤٣) .
(٢٧٩) ، (٢٨٠) ... ...

السفور مَطِيَّةُ الفجور

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا ، وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويْحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تَلِجْه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم »(٢٨١) .

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له . (في يوم واحدٍ تركت بنو إسرائيل دينهم ؟) قال : (لا ، ولكنهم كانوا إذا أُمِروا بشيء تركوه ، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه)(٢٨٢) .

ومعلوم أن المعاصي تزرع أمثالها ، ويولد بعضها بعضاً ، حتى يعز على العبد مفارقتها ، والخروج منها ، فكلما فرط من العبد معصية ، قالت أخرى إلى جانبها : (اعملني أيضاً) ، فإذا عملها ، قالت الثالثة كذلك ، وهلم جرًّا حتى تصير المعاصي هيئات راسخة ، وصفات لازمة ، وملكات ثابتة ، بحيث لو عطل المسيء سيئاته لضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وأحس من نفسه أنه كالحوت إذا فارق الماء ، حتى يعاودها فتسكن نفسه ، وتقر عينه ، ولا يزال المسكين يألف المعاصي حتى ينسلخ من قلبه استقباحها ، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ، بل يحبها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزًّا ، فيكونون أعواناً عليه .

---

(٢٨١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان ، وأخرجه الترمذي والنسائي ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني : « وهو كما قالا » (صحيح الجامع رقم ٣٧٨٢) .

(٢٨٢) رواه عن حذيفة رضي الله عنه أبو نعيم في الحلية .

وقال شيخ من أهل الشام : (من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً ، لم ينج آخراً ، وإن كان جاهداً)[٢٨٣] .

وفي بعض الآثار :

(إذا استشرفت للفتن استشرفت لك) ، ومن هنا قال أبو السعود في « مراقي السعود » :

سد الذرائـــع إلى المحرَم حَتْـــمٌ كفتحهـــا إلى المنحتـــمِ

إن الذي يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق ، لا يدري إلى أين تسوقه قدماه ، وإلى أين ينتهي به المسير ، لذا كان علينا أن نضع للأشياء حدوداً لا نسمح لأنفسنا بتخطيها .

سُنه إبليسيـة :

(لقد نهج دعاة التحرير نفس منهج إمامهم الأول إبليس لعنه الله ، إذ ما كان من إبليس إلا أن زيف للأبوين الحقيقة ، وألبس الحق لباس الباطل ، والباطل لِبَاس الحق ، لم يأت الشيطان ليقول للإنسان : كل من الشجرة المحرمة كي يغضب الله عليك ، ويطردك من جنته ، وينزلك إلى دار الشقاء ، بل قال له : إن في الأكل من الشجرة سعادتك وهناءك وخيرك ، وقال له : إن أنت أكلت من الشجرة حصلت على الملك العظيم والحياة الخالدة ، وتحولت إلى ملك غير قابل للفناء . .

وزيادة في الإضلال وإمعاناً في التغرير بآدم أقسم له ولزوجه أنه صادق فيما يقول ، وأنه ناصح لهما ، يقدم لهما الخير ، ويدلهما على الطريق الحق ﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ طه (١٢٠) ، ﴿ **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما**

(٢٨٣) (ذم الهوى) لابن الجوزي .

إني لكما لمن الناصحين ﴾ وما النتيجة ؟ ﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ الأعراف (٢٠ : ٢٢) . ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ الأعراف(٢٨٤) .

وهكذا تذرع الشيطان إلى الفجور الذي نراه اليوم، ونعاني ويلاته بالسفور كخطوة أولى، يستنزل بها المرأة المسلمة من عليائها وعفتها، وما كان للمسلمة أن تطيعه أبداً إذا دعاها صراحة وهي في قمة الاحتجاب والتعفف إلى ما نراه الآن مثلاً على شواطىء البحار، وفي دور الخيالة، لكن الخبيث تدرَّج معها ابتداءً بأن السفور (كشف الوجه) جائز شرعاً، وانتهاءً بأن خير الهدي هدي أوربا وأمريكا .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في معرض كلامه عن أثر كشف المرأة وجهها في وقوع الافتتان بها : (.. ولهذا أُمِر النساء بستر وجوههن عن الرجال، فإن ظهور الوجه يُسْفِر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان)(٢٨٥) اهـ .

جاء في ترجمة عبيد بن عمير المكي من « ثقات العجلي » قال : (كانت امرأة جميلة بمكة كان لها زوج فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها : أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم، فقالت : من ؟ قال : عبيد بن عمير، قالت فأذن لي فلأفتننه ! قال : قد أذنت لك، فأتته فاستفتته، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، قالت : فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها : « يا أمة الله اتقي الله »)(٢٨٦) .

ومن قبل قال (بعض) أهل الأهواء في تصوير فتنة السفور أو الحجاب « النصفي » :

---

(٢٨٤) (المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم) للدكتور عمر سليمان الأشقر ص (١٧ ــ ١٨) بتصرف.
(٢٨٥) (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) ص (٦٧).
(٢٨٦) (حجاب المرأة المسلمة) للألباني هامش ص (٥٣).

قل للميلحة في الخمار المذهب أذهبتِ دينَ أخَ التُّقى المُتَعَبِّدِ
نور الخمار ونور وجهك ساطع عجباً لوجهكِ كيف لم يَتَوَقَّدِ

تمسك المصريين بالحجاب :

لقد بلغ تمسك المسلمين في مصر بالحجاب مبلغاً عظيماً إلى حدٍّ دفع الشاعر (حافظ إبراهيم) يعبر عن عجز المتفرنجين عن إزاحة النقاب عن وجه المرأة المسلمة، ويأسهِ هو نفسه من استجابة الشعب لتلك النعرة بقوله (وبئس ما قال) :

فلو خطرت في مصر حواء أمنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفها موسى وعيسى وأحمد وجيش من الأملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محلل لقلنا لهم : حَقٌّ، ولكن نجانبه[(٢٨٧)]

مع أن (حافظاً) هو نفسه القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراقِ
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يَجُلْنَ في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع يحذرن رقبته ولا من واقي
يفعلن أفعال الرجال لواهياً عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة كشئون ربِّ السيف والمزراق[(٢٨٨)]

سياسة « تكسير الموجة »

ولما كان تمسك المسلمين بالحجاب أصلاً من أصول نظامهم الاجتماعي، نهج أعداء المرأة المسلمة سياسة تكسير الموجة شيئاً فشيئاً وهي سياسة استعمارية

(٢٨٧) جريدة الأهرام (٥ / ٩ / ١٩٨٢م)
(٢٨٨) المزراق : الرمح.

معروفة[٢٨٩] فكانت الخطوة الأولى إبراز فكرة جديدة كنقطة انطلاق يتبعها ما وراءها، وتضفي عليها الصبغة الدينية الشرعية حتى لا تصدم شعور العامة، ويكون التذرع بالدين وفتح باب الاجتهاد سبيلاً إلى قبولها، ولابد في ذلك من استدراج بعض الشيوخ والعلماء لكي يدلوا بدلوهم في القضية، باعتبار أنها خلاف فقهي فيه راجح ومرجوح، ومن هنا تبدأ القابلية للتردد وزلزلة الأفكار، أجل! لابد أن يبدأ الزحف بصحبة الشيوخ الذين تقدسهم العامة، والذين يستغلون في البداية كأسلحة مؤقتة، ولا بأس أيضاً بالتنقيب في الأسفار والبحث هنا وهناك عن عبارات وفتاوى مبتورة تبرر الانحراف عن الشريعة، ثم بعد ذلك، وبعد تمكن الفكرة الجديدة من القلوب وشن الحملات على مايخالفها من الأوضاع الاجتماعية السائدة يبدأ الانخلاع من الدين شيئاً فشيئاً لتختفي النبرة الإسلامية حيناً ثم تأتي مرحلة الهدم والضرب العشوائي الذي يحطم كل شيء.

لقد بدأت حركة « تحرير المرأة » على أيدى المتفرنجين، فقلدهم بعض الخطباء الجهلة، والكتاب الفسقة، ونشبت المعركة أول ما نشبت حول (كشف وجه المرأة) أي السفور، وأقام العلماء الناصحون الدنيا وأقعدوها ليحبطوا تلك الدعوة إلى السفور لا لأنه الحكم الراجح في المسألة فحسب، ولكن لأنهم فطنوا لحقيقة الخطة المدمرة التي تستهدف القضاء على المرأة المسلمة وتحطيم كيانها، لقد نادوا بتخليص المرأة من الحجاب ولزوم البيت، والخضوع للآباء، والخنوع للأزواج، والبعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية، وواتت هذه الحركة فرصة وجود الأمة المسلمة مستعبدة للأجنبي الكافر، مستعمرة له، ترزح تحت نيرانه، وتئن تحت كلكله، تتوجب لما يصب عليها من جام غضبه، وما يسومها من سوء عذابه، فنسبوا ــ مكراً وخديعة ــ كل ما حلَّ بالأمة

(٢٨٩) أنظر: (الاتجاهات الوطنية) (٢ / ٢٤٥ ــ ٢٤٦)، و (من أصداء الدين في الشعر المصري الحديث) للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي (١ / ٣٢٢).

المسلمة من تأخر وضعف وهون ودون إلى حجاب المرأة وعفتها وحيائها، وبعدها عن التعليم العقيم، والسياسة الفاجرة، والحياة الاجتماعية الفاسدة.

وانخدع كثير من النساء وأوليائهن بتلك الدعاوى المعسولة المسمومة، وأخذت الفتاة المسلمة تتمرد على الحجاب، وتحاول التخلص منه، فبدأت لأول مرة بإلقاء البرقع الذي كان على وجهها، ونزع النقاب من الوجه كذلك، فظهرت الوجوه ما يحجبها برقع، ولا يغطيها نقاب ـــ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت خطوة جريئة من المرأة يومذاك، صفق لها دعاة السفور، وعباد الشهوات، ورواد الفجور.

سُنَّةٌ سيِّئَةٌ :

ثم كان أن خطا الناس إلى أبعد مما نادى به « قاسم أمين »، فقد زعم أنه إنما يدعو إلى الوقوف بالحجاب عندما أمر الله به، ولم يدع قط إلى كشف العورات كالأذرع والسوق وغيرها، ولم يدع صراحة إلى الاختلاط بالرجال ومراقصتهم، كلا ولا دعا إلى شيء مما نراه الآن من انحطاط وتهتك، ولكن قاسم أمين ـــ وإن لم يدع إلى شيء من ذلك صراحة ـــ هو الذي فتح الباب لهذه الدعوات، وهو الذي سن تلك السنة القبيحة سنةَ السفور، لتكون ذريعة إلى ما تلاها من فساد، وهو الذي خطا بالمرأة المسلمة في طريق يعلم كل عاقل أن الناس لابد أن يسيروا فيه من بعده خطوات وخطوات ..، ويعلم كل مدرك واعٍ أن الخلف بين المسلمين وبين الغربيين في هذه القضية خاصة مما لا يرجى معه اتفاق إلا بفناء أحد المذهبين في الآخر تماماً، وبلا قيود، وبلا حدٍّ وسط.

« ومعظم النار من مستصغر الشرر » :

أخذت الأمور تتطور سريعاً حتى استنفدت دعوة « قاسم أمين » — في وقت وجيز — كل أغراضها، وسارت الحال على سنة التدرج المعروفة، واندفع الناس إلى ما وراء السفور في سرعة غير منتظرة، فقد بدأت الفتنة العظمى بأن خلعت المرأة النقاب، وخلعت معه ما هو أغلى منه وأثمن ألا وهو ثوب الحياء الذي طالما صان وجهها أن يكون معروضاً مبذولاً لكل من شاء أن يراه من أجنبي أو فاسق أو كافر، ثم استبدلت المرأة المعطف الأسود بالحَبَرة[٢٩٠]، وماهي إلا فترة من الزمن حتى امتدت يد التحرر إلى الخمار الذي كان لا يزال يستر شعر الرأس، وبدا — لأول مرة — شعر المسلمة مكشوفاً لا شيء عليه يستره عن أعين الناس من أجانب وأقارب، وبذلك شُلَّ جسم الحياء في المرأة، ولم يعد قادراً على منعها من أن تحدث، وتجالس، أو تصافح، وتضاحك من شاءت من الرجال عامة، وأصدقاء وأقارب الزوج خاصة، وإن بعدوا أو سفلوا.

وتأتي بعد ذلك الخطوة الأكثر جرأة إذ تعمد المرأة إلى ملاءتها أو عباءتها أو معطفها، فتلفها كالثوب الخلق، وترمي بها بعيداً عن ساحة الحياة، وتخرج المرأة المسلمة لأول مرة في تاريخ إسلامها في درع سابغ مزين بالألوان المزخرفة، تحته غلالة لطيفة، وما فوقه شيء ...

ثم إذا بالمقص يتحيف هذه الثياب في الذيول والأكمام وفي الجيوب[٢٩١]، ولم يزل يجور عليها، فضيَّقها على صاحبتها حتى أُصبحت كبعض جلدها، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطىء البحر في المصايف بما لايكاد يستر شيئاً، ولم تعد

---

(٢٩٠) الحبرة : بفتحتين — إزار كانت المرأة تلتحف به إذا برزت للطريق، وقد كان يتخذ من قماش أسود، ويتكون من قطعتين، تدور إحداهما حول الخصر، وتنسدل إلى أن تغطي الساقين، وتنزل الأخرى من فوق الرأس فتغطي الصدروالكتفين، وتنتهي إلى ما دون الخصر، وقد إختفى هذا الزى آلان .

(٢٩١) الجيب : فتحة إدخال الرأس.

عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس وغيرها من اليهود ومشيعي الفجور.

وقطعت المرأة مراحل التعليم المختلفة، واقتحمت الجامعة، مخالطة للرجال في الطرقات والمواصلات والمدرجات، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في وظائف الحكومة، ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ما سماه أنصارها « حقوق المرأة » أو « مساواتها بالرجل »، وكأنما كان عبثاً أن خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى، وأقام كلاً منهما فيما أراد بحكمته جل وعلا، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح، وفي الترام، وفي كل مكان، فاختفت المقاعد التي جرت العادة بتخصيصها للسيدات، بعد أن أصبحن لا يستحيين من مشاركة الرجال.

تتابعت هذه التطورات في سرعة مذهلة، ولم تدع فرصة للمعارضة، وأعان على اندفاعها جو الثورة التي تلت الحرب، وما كان يوحي به من جرأة، ومن تمرد على كل قديم، وقد ظهرت طلائع ذلك في مظاهرة النساء المشهورة في مارس سنة ١٩١٩، التي طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية، في طريقها إلى دار المعتمد البريطاني، لتقدم إليه احتجاجاً مكتوباً على تعسف سلطات الاحتلال، وقد كان عدد المتظاهرات يربو على الثلاثمائة، وعلى رأسهن (صفية زغلول)، و (هدى شعراوي)[٢٩٢]، وهذه المظاهرة هي التي قال فيها (حافظ إبراهيم)، يصف تعرض الجيش البريطاني لها متهكماً[٢٩٣]:

(٢٩٢) ومن النساء اللاتي اشتركن في تلك المظاهرة كزعيمات (حرم حنا مسيحة، حرم د. نجيب إسكندر، حرم إسكندر مسيحة، الآنسة جولييت صليب، رفائيل بغدادي، حرم ويصا واصف، الآنسة ماري ميرهم، حرم صليب منقريوس، حرم ميخائيل لبيب)، وحرم قاسم أمين.

(٢٩٣) ديوان حافظ إبراهيم (٢ / ٨٧).

خرج الغـــواني يحتججـــن ورحت أرقب جمعهنَّـــــــه
فإذا بهن تَخِـــــذْنَ من سود الثيـــاب شعارهنـــــه
وظللـــــن مثـــل كواكبٍ يسطعـــن في وسط الدُّجُنَّـــه
وأخـــذن يجتـــزن الطريـــــق ودار سعـــد قصدهنـــه
يمشين في كنـــف الوقـــار وقـــد أبـــنَّ شعورَهنـــه
وإذا بجيش مقبـــــــل والخيـــل مطلقـــة الأعنـــه
وإذا الجنــــود سيوفهـــا قد صوبت لنحورهنــــــه
وإذا المدافـــــع والبنـــا دق والصوارم والأسنـــــه
والخيـــــل والفـــــرسان قد ضربت نطاقـــاً حولهنـــه
والـــــورد والـــــريحان في ذاك النهار سلاحهنــــه
فتطاحـــــن الجيشان سا عات تشيب لها الأجنــــه
فتضعضع الـــنسوان والـــ نسوان ليس لهن مُنَّـــه[*]
ثم انهزمـــن مشتتـــات الشمـــل نحو قصورهنـــه
فليهنـــأ الجيش الفخـــو ر بنصره وبكسرهنــــــه
فكـــــأنما الألمان قد لبسوا البراقـــع بينهنـــه
وأتـــوا (بهنـــدنبرج)[٢٩٤] مخ تفيـــاً بمصر يقودهنـــه
فلـــذاك خافـــوا بأسهـــ ـن وأشفقـــوا من كيدهنـــه

وتجرأت المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة في القضايا الوطنية[٢٩٥]، وفي مختلف

(*) مُنَّة : أي قوة .

(٢٩٤) هو رئيس الجمهورية الألمانية وقائد جيشها ، انظر : « الموسوعة العربية الميسرة » ص(١٩٠٥) .

(٢٩٥) من ذلك ما حدث يوم الجمعة ١٢ ديسمبر من نفس العام حيث (سبقت حفنة من سيدات مصر جمع الهيئات الوطنية إلى الاحتجاج ــ ضد لجنة ملنر ــ على شكل مؤتمر وطني في دار الكنيسة المرقسية بالقاهرة) اهـ عن (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٢٦) .

الميادين الاجتماعية، فتألفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات، شاركت مشاركة فعالة في حركة المقاطعة الاقتصادية سنة (١٩٢٢)، وتزعمت « صفية زغلول » حرم زعيم الثورة الأول وكريمة مصطفى فهمي باشا هذه الحركة الأولى، التي طفرت بالمرأة إلى وضع لم يحلم « قاسم أمين » أن تبلغه في مثل هذه المدة الوجيزة وبهذه السهولة، وغفلت عين المعارضين من المحافظين عن هذه الخطوات الجريئة التي أضفى عليها جو الثورة لوناً من النبل حفظها من أن تهاجم أو تمس.

ثم تنبه المعارضون، فإذا المرأة ماضية قدماً في استئناف الطريق التي وضعت قدمها على أوله باشتراكها في ثورة (١٩١٩)، فأخذت تؤسس الجماعات، وتقيم الحفلات، وتعقد الندوات والمحاضرات، وتزعمت هذه الحركة النسوية « هدى شعراوي »، وتجرأت هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف، وجزع المحافظون لما صحب هذه الحركة من ميل إلى التبرج، ومن نزوع إلى التحرر والانطلاق، وأنكروا مارأوا من تغير حال المرأة، ومن جرأتها على التقاليد، وتمردها على سلطة الأب والزوج، وراحوا يتابعون في ذهول تطور الزي، وتقلص الثوب فوق جسدها في سرعة تجاوزت كل مايتخيلون من حدود.

يقول عبد المطلب ناعياً على النساء تقصير الثياب والتبرج(٢٩٦):

ما في بنات النيل من أرب لذي غرض نبيل
أصبحن عاباً في الزما ن وسوأة في شر جيل
ما هذه الحبرات تهـ ـفو في الخمائل والحقول

---

(٢٩٦) [ديوان عبد المطلب (ص١٨٤ ـــ ١٨٨) وليت شعري ماذا كان عساه قائلاً لو رأى أزياء المرأة اليوم، فقد يبدو أن أشد أنصار الحشمة تطرفا، لا يكاد يطمع في أن يُعيد المرأة إلى مثل هذا الزي الذي يشكو منه الشاعر] من تعليق الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله (الاتجاهات الوطنية ٢/٢٤٠).

نكر العفاف ذيولها ... ومن الخنى قصر الذيول
إن ينتسبن إلى الحجا ... ب فإنه نسب الدخيل
يختلن أبناء الهوى ... بالدل والنظر الختول
من كل خائنة الحليـ ... ـل تهيم في طلب الخليل
ما لابنة الخدر المصو ... ن وربة المجد الأثيل
أودى شفيف نقابها ... بكرامة الأمِ البتول[297]
وعلا رنين حجولها ... أسفاً على الذيل الطويل
فإذا مشت هتك النقا ... ب محاسن الوجه الجميل
ولقد ينم عبيرها ... فتحسه من نحو ميل
ترتادُ خائنةُ العيو ... ن بلحظ فاتِنةٍ قَتُول
يا هَلْ دَرَى (ذاك) الغيو ... رُ بما جَرَى !؟ ويح الجهول[298]
أهي التي فرض الحجا ... بَ لصونها شرعُ الرسول ؟
جُعِلَ الحجابُ مُعَاذَها ... من ذلك الداءِ الوبيل
يا مُنْزِلَ القرآنِ، نو ... راً للبصائر والعقولِ !
عَمِيَتْ بصائرُ أهل وا ... دي النيلِ عن وَضَحِ السبيل
ذَهِلوا عن الأعراض، لو ... يدرون عاقبة الذهول !

كان تيار السفور والتبرج جارفاً ، لم تستطع صيحات المحافظينْ أن تقف في وجهه ، بل لم تستطع أن تقلل من حدته ، أو تخفف من سرعته ، ولكن ذلك لم يكن ليثنيهم عن التنبيه والتحذير على كل حال ...

(٢٩٧) الشاعر هنا لا يشكو من نزع النقاب ، ولكنه يشكو من رقته التي تشف عما تحته ؟!

(٢٩٨) لعله يُعرِّض بـ « قاسم أمين » .

صيحة نذير :

وهذا هو (شكيب أرسلان)[٢٩٩] ينشر مقالاً عن « السفور والحجاب »[٣٠٠]، يحاول أن يقدم للناس درساً يستنبط فيه العظة من تطورات السفور في تركيا، فيعرض للمراحل التي مر بها، ليبين أن الدعوة إلى نزع الحجاب هي مرحلة تهيىء لما يليها من الدعوات التي ترمي إلى هدم أحكام الإسلام، فيقول فيما يقول :

(عند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ قال « أحمد رضا » بك من زعماء أحرار الترك :« مادام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر غَلَطة[٣٠١] وهي سافرة الوجه، فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية »، فكانت هذه المرحلة الأولى، وفي هذه الأيام بلغني أن أحد مبعوثي مجلس أنقرة، الكاتب « رفقى بك »، الذي كان كاتباً عند « جمال باشا » في سورية، كتب : « إنه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين[٣٠٢]، بل

(٢٩٩) ولد « شكيب أرسلان » في بلدة الشويفات من مقاطعة « الشوف » التي تبعد من بيروت قرابة عشرة أميال، ومعنى « شكيب » بالفارسية : الصابر، ومعنى « أرسلان » بالفارسية والتركية : الأسد، وهو من طائفة (الدروز) اللبنانية وهم (إسماعيلية فاطمية)، وقد ذكر الشيخ الشرباصي أن الأمير شكيباً كان سنياً، وإن انتسب سياسياً أو إدارياً إلى الدروز، وأنه كان يتعبد على طريقة السنيين، فهو يصلي ويصوم ويحج كما يفعل جمهور المسلمين، قال : (وقد أكدت لي زوجته هذه الحقيقة، وقالت إن الدروز يحرمون الزواج من سنية، ولكن زوجي تزوجني وأنا سنية مسلمة، وقد تسبب هذا الوضع في متاعب لشكيب، فمن الدروز من لا يرونه درزياً كاملاً، ومن السنيين من لا يرونه سنيًّا كاملاً، فضاع جانب من حقه بين هؤلاء وهؤلاء) اهـ من (شكيب أرسلان) للشيخ أحمد الشرباصي، ص(٥١ — ٥٢) ويعكر على هذا ما هو معلوم من زواج (كمال جنبلاط) زعيم الدروز من (مى) ابنة شكيب، فالله أعلم بحقيقة أمره .

(٣٠٠) (المنار) عدد ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ — ٢١ يولية ١٩٢٥م ص(٢٠٦ — ٢١٠) .

(٣٠١) كوبري جالتا أو بلتا جسر شهير في مركز مدينة استانبول، يربط بين قارتي آسيا وأوربة، ويصل بين شطري المدينة التي تمتد في القارتين .

(٣٠٢) وبالفعل نص القانون المدني التركي فيما بعد على إباحة زواج النصراني من المسلمة، انظر مجلة الرسالة العدد =

مادامت لا تعقد مقاولة مع رجل تعيش وإياه كما تريد، مسلماً كان، أو غير مسلم، فإنه لا يعد تركيا قد بلغت رقياً »، فهذه هي المرحلة الثانية)، ثم يقول « شكيب أرسلان » :

(فأنت ترى أن المسألة ليست منحصرة في السفور، ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها، متصل بعضها ببعض، لابد من أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها، فإذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة، فعليه أن يقبلها بحذافيرها ... أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت، وتحادث من أرادت، وتضاحك من أرادت، وتغامز من أرادت، ثم إذا صبا قلبها إلى رجل من غير جنسنا، فذهبت وساكنته، وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته، أقمنا القيامة، ودعونا بالمسدس، وقلنا: ياللحمية، ياللأنفة، ياللغيرة على العرض ! فهذا لايكون ! وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون) .

ثم يقول : (والنتيجة التي نريدها قد حصلت، وهي أن سلوكنا مسلك الأوربيين حذو القذة[٣٠٣] بالقذة في هذه المسألة، هذا له توابع ولوازم لابد أن نقبلها، ولا يبقى معها محل لكلمة : « أعوذ بالله » كلا ! لا يوجد هناك « أعوذ بالله » بل تلك مدنية، وهذه مدنية، تلك نظرية، وهذه نظرية، فعلينا أن نختار إحدى المدنيتين أو إحدى النظريتين، مهما استتبعت من الأمور التي كان يقال في مثلها عندنا : أعوذ بالله)اهـ.

وقد كان هذا الذي قاله « شكيب أرسلان » وتوقعه في سنة ١٩٢٥ صحيحاً

= ٨٠ تاريخ ٩ شوال ١٣٥٣هـ، ١٤ يناير ١٩٣٥م ص(٤٥) .

(٣٠٣) القذة : ريش السهم، والحذو : القطع والتقدير على مثال، أي كما تقدر كل واحدة منها على صاحبتها وتقطع .

تماماً، فلم تمض عليه ثلاث عشرة سنة حتى ارتفع صوت يقول تحت عنوان :

« بعد السفور »[٣٠٤]:

(إننا لم نخط بعد الخطوة الحاسمة في سبيل تطبيق روح الحضارة العصرية على عاداتنا وأخلاقنا وأساليب حياتنا ، إن نساءنا العصريات المتعلمات اللواتي يطالعن الصحف ، ويقرأن القصص ، ويغشين المسارح ودور السينما ما يزال يحال بينهن وبين الظهور في المجتمعات البيتية أمام رجل غريب ، فنحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا ، ولكننا لم نسلم بعد بقدرة هؤلاء النساء على الانتظام في حفل كبير يضم عدداً من أفراد الجنسين ، ويتألف منه مجتمع مصري مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التي نشهدها في مصر ، ونحسد الأجانب عليها) .

ويزعم الكاتب الكاثوليكي أن ذلك راجع إلى أن (ثقة الرجل المصري بالرجل المصري لاتزال معدومة) ، ثم يقول : (وقد ترتب على ذلك أنك أصبحت ترى امرأة صديقك السافرة في الشارع وفي المحل التجاري وفي دار المسرح أو السينما ، ثم لا تستطيع أن تراها في بيتها لتتفهم حقيقة شخصيتها ، وتعرف كيف تعيش ؟ وكيف تشعر ؟ وكيف نفكر ؟ أصبحت تبصرها في الحياة العامة ، وتعجب بها ، ولكنك متى أردت تهذيب عواطفك ، وصقل إحساساتك ومشاعرك بالجلوس إليها ، والتحدث معها وإشراكها في المسائل التي تشغل عقلك وعقل مواطنيك ، حيل بينك وبينها ، واتهمت بفساد النية وسوء القصد) .

ثم يزعم الكاتب في مقاله أن (المجتمع المختلط هو الذي يقرب مسافة الخلف بين الجنسين ، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكري العاطفي) .

---

(٣٠٤) مقال في (الهلال) بعدد أول يناير ١٩٣٨ ــ ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ ص(٢٦٨ ــ ٢٧٢) للصحافي الكاثوليكي إبراهيم المصري ــ انظر جريدة « أخبار اليوم » تاريخ ١٩٨٠/١٠/٣٠م ص(١١) .

ثم يدعو الكاتب المصريين لأن يطردوا من عقولهم : (الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما ، وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر[٣٠٥]، هذا هو سر تأخرنا ، وهو بقايا عصور الجهل والخوف والظلام) اهـ كلامه .

شعر :

من عذيري من معشر هجروا العقل وحادوا عن طُرْقه المستقيمه
لا يرون الإنسان قد نال حظاً من صلاح حتى يكون بهيمه[٣٠٦].

وإذا كانت هذه أدنى ثمرات السفور فلننظر إلى أقصى ثمراته المريرة ، لندرك الهدف الذي يدعو إليه (المتحررون) : جاء في مجلة « صباح الخير » ما نصه :

(إن نظام الزواج في وطننا العربي هو نظام مضحك يدعو إلى السخرية : مهر وعقد .. مظاهر جوفاء تُقْتَلُ فيها الإرادة ، وتقتل المشاعر الإنسانية)[٣٠٧] اهـ .

والآنَ يا أختي المسلمةِ :

هل أدركتِ مدى فطنة فقهائنا لما حرموا السفور سداً للذريعة ؟

وهل لك أن تسمعي هذه النصيحة من شيخ ناصح أمين[٣٠٨] .

(إن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه جل نساء المؤمنين اليوم في ديار المسلمين ، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات ، وأصبح ،

---

(٣٠٥) هذا من الكاتب النصراني زيادة في الكفر إذ إن الذي يشير إليه ليس اعتقاداً شرقياً ولكنه معنى حديث شريف عن سيد ولد آدم ﷺ .

(٣٠٦) من شعر الإمام (ابن دقيق العيد) رحمه الله ، نقلاً عن « المجددون في الإسلام » ص(٢٧٠) .

(٣٠٧) نقلاً من (محاضرات الجامعة الإسلامية) موسم عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) ص(١٢٨) .

(٣٠٨) هو فضيلة الداعية الإسلامي الكبير « أبو بكر جابر الجزائري » حفظه الله في رسالته : (إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها) ص(٢٦) .

وأضحى، وظل، وأمسى من المعلوم بالضرورة: أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها، وحتى فخذيها، ولا يجادل في هذا، أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع، أو مضلِّل مُغَرر مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية التي جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتاً ومجتمعاً ودولة .. وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغي الضرب عليها، وإن اللسان الذي يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب بإسقاط ملاءتها ينبغي أن يقطع)، ويقول فضيلته محذراً من المغْرِّين(٣٠٩) : (إنهم اليوم لا يطلبون منك أكثر من كشف وجهكِ، وبحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم في كونه الزينة التي يجب أن تخفيها المسلمة، أو من غير الزينة مما لا يجب عليها إخفاؤها .. غير أنهم يعلمون علم اليقين ــ بحكم التجارب الطويلة العديدة ــ أنك يوم تكشفين عن وجهك، ويذهب ماؤه وحياؤه ستكشفين لهم عما عدا ذلك)اهـ.

وصدق الشيخ سعيد الجابي رحمه الله إذ قال :

رفع النقاب وسيلة إن حُبِّذت ضُمَّتْ إليها للفجور وسائلُ
فالاختلاط فمرقص فتواعد فالاجتماع فخلوة فتواصل(٣١٠)

وصدق الشاعر (أحمد شوقي) حين قال:

صداحُ يا ملكَ الكَنا رِ ويا أمير البلبلِ
إن طرتَ عن كنفي وقعـ ـتَ على النسور الجهلِ
حرصي عليك هوى ومن يخرز ثميناً يبخلِ(٣١١)

---

(٣٠٩) السابق ص(١٧ ــ ١٨) .

(٣١٠) (فقه النظر في الإسلام) ص(٧٤) .

(٣١١) (مهلاً يا صاحبة القوارير) ص(٢٩) .

وقال آخـر :

يا أخت سابغـة البرا قع في الأباطـح والوعـور
قرى فديـتك حيث لا تؤذيك لافحـة الهجير
ودعي الجنوح إلى السفـو ر وخففـي ألم الـعشير
النمر لو لزم الشرى[٣١٢] من كان يطمع في النمور ؟
والـطير تأخذهـا شبـا ك الصيد في ترك الوكور[٣١٣]

عِبْـرة

والآن فلنتوقف ـــ إلى حين ـــ لنطالع هذه (العبرة) كما حكاها الكاتب الأديب (المنفلوطي) في مقالٍ له في مسألة الحجاب[٣١٤]، قال رحمه الله :

[ذهب فلان إلى أوربا وما ننكر من أمره شيئاً ، فلبث فيها بضع سنين ثم عاد وما بقي مما كنا نعرف منه شيء : ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها ، وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة ، وذهب بقلب نقي طاهر يأنس بالعفو ويستريح إلى العذر ، وعاد بقلب ملفف مدخول لا يفارقه السخط على الأرض وساكنها وعلى السماء وخالقها ، وذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها ، وعاد بنفس ذهابة نزاعة لا ترى شيئاً فوقها ولا تلقي نظرة واحدة على ما تحتها ، وذهب بنفس مملوءة حكمة ورأياً ، وعاد برأس كرأس التمثال المثقب لا يملأه إلا الهواء المتردد ، وذهب وما على الأرض أحب إليه من دينه ووطنه ، وعاد وما على وجهها أصغر في عينيه منهما ، وكنت أرى أن هذه الصور الغريبة التي يتراءى بها هؤلاء الضعفاء من الفتيان العائدين

---

(٣١٢) الشرى : كعلى ، الجبل ، وطريق في سلمى كثيرة الأُسْد ، وجُبَيْل بتهامة كثيرة السباع ـــ انظر « القاموس المحيط » (٤/٣٥٠) .

(٣١٣) (فقه النظر في الإسلام) ص(١٨٨) .

(٣١٤) (العبرات) للمنفلوطي ص(٤٩) .

من تلك الديار إلى أوطانهم إنما هي أصباغ مفرغة على أجسامهم إفراغاً لاتلبث أن تطلع عليها شمس المشرق حتى تنصل وتتطاير ذراتها في أجواء السماء، وأن مكان المدنية من نفوسهم مكان الوجه من المرآة إذا إنحرف عنها زال خياله منها، فلم أشأ أن أفارق ذلك الصديق، فلبسته على علاته، وفاء بعهده السابق، ورجاء لغده المنتظر، متحملاً في سبيل ذلك من حمقه ووسواسه وفساد تصوراته وغرابة أطواره مالا طاقة لمثلي باحتمال مثله، حتى جاء في ذات ليلة بداهية الدواهي ومصيبة المصائب فكانت آخر عهدي به، دخلت عليه فرأيته واجماً مكتئباً، فحييته فأومأ إلى بالتحية إيماء، فسألته ما باله؟ فقال: « مازلت منذ الليلة من هذه المرأة في عناء لا أعرف السبيل إلى الخلاص منه، ولا أدري مصير أمري فيه »، قلت: « وأي امرأة تريد؟ » قال: « تلك التي يسميها الناس زوجتي، وأنا أسميها الصخرة العاتية في طريق مطالبي وآمالي »، قلت: « إنك كثير الآمال يا سيدي ففي أي آمالك تَحَدَّثُ؟ » قال: « ليس لي في الحياة إلا أمل واحد وهو أن أغمض عيني، ثم أفتحها فلا أرى برقعاً على وجه امرأة في هذا البلد »، قلت: « ذلك ما لا تملكه، ولا رأى لك فيه »، قال: « إن كثيراً من الناس يرون في الحجاب رأيي، ويتمنون في أمره ما أتمنى، ولا يحول بين نزعه عن وجوه نسائهم وإبرازهن إلى الرجال يجالسنهم كما يجلس بعضهم إلى بعض إلا العجز والضعف والهيبة التي لا تزال تلم بنفس الشرقي كلما حاول الإقدام على أمر جديد، فرأيت أن أكون أول هادم لهذا البناء العادي[٣١٥] القديم الذي وقف سدًّا دون سعادة الأمة وارتقائها دهراً طويلاً، وأن يتم على يدي ما لم يتم على يد أحد غيري من دعاة الحرية وأشياعها، فعرضت الأمر على زوجتي فأكبرته، وأعظمته وخُيِّل إليها أنني جئتها بإحدى النكبات العظام والرزايا الجسام، وَزَعَمَتْ أنها إن برزت للرجال فإنها لا تستطيع أن تبرز إلى النساء بعد ذلك حياءاً منهن وخجلاً، ولا خجل

(٣١٥) أي القديم، نسبة إلى عاد.

هناك ولا حياء ولكنه الموت والجمود والذل الذي ضربه الله على هؤلاء النساء في هذا البلد أن يعشن في قبور مظلمة من خدورهن وخمرهن حتى يأتيهن الموت فينقلهن من مقبرة الدنيا إلى مقبرة الآخرة، فلابد لي أن أبلغ أمنيتي وأن أعالج هذا الرأس القاسي المتحجر علاجاً ينتهي بإحدى الحسنيين إما بكسره وإما بشفائه »، فورد عَلَيَّ من حديثه ما ملأ نفسي هماً وحزناً، ونظرت إليه نظرة الراحم الرائي، وقلت : « أعالم أنت أيها الصديق ماتقول ؟ »، قال : « نعم ! أقول الحقيقة التي أعتقدها، وأدين نفسي بها واقعة من نفسك ونفوس الناس جميعاً حيث وقعت، قلت : « هل تأذن لي أن أقول لك إنك عشت فترة طويلة في ديار قوم لا حجاب بين رجالهن ونسائهم، فهل تذكر أن نفسك حدثتك يوماً من الأيام وأنت فيهم بالطمع في شيء مما لاتملك يمينك من أعراض نسائهم فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ؟ »، قال : « ربما وقع لي شيء من ذلك، فماذا تريد ؟ »، قلت : « أريد أن أقول لك إني أخاف على عِرْضِكَ أن يُلِمَّ به من الناس ما ألم بأعراض الناس منك »، قال : « إن المرأة الشريفة تستطيع أن تعيش بين الرجال وهي من شرفها وعفتها في حصن حصين لا تمتدُّ إليه المطامع »، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، وقلت له، « تلك هي الخُدعة التي يخدعكم بها الشيطان أيها الضعفاء، والثلمة التي يعثر بها في زوايا رءوسكم فينحدر منها إلى عقولكم ومدارككم فيفسدها عليكم، فالشرف كلمة لا وجود لها إلا في قواميس اللغة ومعاجمها، فإن أردنا أن نفتش عنها في قلوب الناس وأفئدتهم قلما نجدها، والنفس الإنسانية كالغدير الراكد لا يزال صافياً رائقاً حتى يسقط فيه حجر فإذا هو مستنقع كدر، والعفة لون من ألوان النفس لا جوهر من جواهرها، وقلما تثبت الألوان على أشعة الشمس المتساقطة »، قال: « أتنكر وجود العفة بين الناس ؟ »، قلت : « لا أنكرها لأني أعلم أنها موجودة بين البله والضعفاء والمتكلفين، ولكنني أنكر وجودها عند الرجل القادر المختلب والمرأة الحاذقة المترفقة إذا

سقط بينهما الحجاب، وخلا وجه كل منهما لصاحبه، في أي جوٍّ من أجواء هذا البلد تريدون أن تبرز نساؤكم لرجالكم: أفي جَوِّ المتعلمين وفيهم من سئل مرة: «لِمَ لَمْ يتزوج؟» فأجاب: «نساء البلد جميعاً نسائي»، أم في جوِّ الطلبة وفيهم من يتوارى عن أعين خلانه وأترابه حياءً وخجلاً إن خلت محفظته يوماً من الأيام من صور عشيقاته وخليلاته أو أقفرت من رسائل الحب والغرام، أم في جَوِّ الرعاع والغوغاء وكثير منهم يدخل البيت خادماً ذليلاً، ويخرج صهراً كريماً؟، وبعد فما هذا الولع بقصة المرأة والتمطق[٣١٦] بحديثها والقيام والقعود بأمرها وأمر حجابها وسفورها وحريتها وأسرها، كأنما قد قمتم بكل واجب للأمة عليكم في أنفسكم فلم يبق إلا أن تفيضوا من تلك النعم على غيركم، هذبوا رجالكم قبل أن تهذبوا نساءكم، فإن عجزتم عن الرجال فأنتم عن النساء أعجز، أبواب الفخر أمامكم كثيرة فاطرقوا أيها شئتم، ودعوا هذا الباب موصداً، فإنكم إن فتحتموه فتحتم على أنفسكم ويلاً عظيماً وشقاءً طويلاً، أروني رجلاً واحداً منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يمتلك هواه بين يدي امرأة يرضاها فأصدِّق أن امرأة تستطيع أن تملك هواها بين يدي رجل ترضاه، إنكم تكلفون المرأة ما تعلمون أنكم تعجزون عنه، وتطلبون عندها ما لا تعرفونه عند أنفسكم، فأنتم تخاطرون بها في معركة الحياة مخاطرة لا تعلمون أتربحونها من بعدها أم تخسرونها، وما أحسبكم إلا خاسرين، ما شكت المرأة إليكم ظلماً، ولا تقدمت إليكم في أن تحلوا قيدها وتطلقوها من أسرها، فما دخولكم بينها وبين نفسها، وما تمضغكم ليلكم ونهاركم بقصصها وأحاديثها؟،

إنها لا تشكو إلا فضولكم وإسفافكم ومضايقتكم لها ووقوفكم في وجهها حيثما سارت وأينما حلت، حتى ضاق بها وجه الفضاء فلم تجد لها سبيلاً إلا أن تسجن نفسها بنفسها في بيتها فوق ما سجنها أهلها، فأوصدت من دونها بابها، وأسبلت أستارها

(٣١٦) التمطق التصويت باللسان عند استطابة الطعام.

تبرماً بكم وفراراً من فضولكم، فواعجباً لكم تسجنونها بأيديكم ثم تقفون على باب سجنها تبكونها وتندبون شقاءها ! إنكم لا تَرْثون لها بل تَرْثُون لأنفسكم، ولا تبكون عليها بل على أيام قضيتموها في ديارٍ يسيل جوها تبرجاً وسفوراً، ويتدفق خلاعة واستهتاراً، وتودون بجدع الأنف لو ظفرتم هنا بذلك العيش الذي خلفتموه هناك، لقد كنا وكانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء، فمازلتم به تثقبون في جوانبه كل يوم ثقباً، والعفة تسيل منه قطرة قطرة، حتى تقبض وتكرش، ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة، عاشت المرأة المصرية حقبة من دهرها هادئة مطمئنة في بيتها راضية عن نفسها وعن عيشها، ترى السعادة كل السعادة في واجب تؤديه لنفسها، أو وقفة تقفها بين يدي ربها، أو عطفة تعطفها على ولدها، أو جلسة تجلسها إلى جارتها تبثها ذات نفسها وتستبثها سريرة قلبها، وترى الشرف كل الشرف في خضوعها لأبيها وائتمارها بأمر زوجها ونزولها عند رضاهما، وكانت تفهم معنى الحب، وتجهل معنى الغرام، فتحب زوجها لأنه زوجها كما تحب ولدها لأنه ولدها، فإن رأى غيرها من النساء أن الحب أساس الزواج رأت هي أن الزواج أساس الحب، فقلتم لها : « إن هؤلاء الذين يستبدون بأمرك من أهلك ليسوا بأوفر منك عقلاً ولا أفضل رأياً ولا أقدر على النظر لك من النظر لنفسك، فلا حق لهم في هذا السلطان الذي يزعمونه لأنفسهم عليك »، فازدرت أباها، وتمردت على زوجها، وأصبح البيت الذي كان بالأمس عرساً من الأعراس الضاحكة مناحة قائمة لا تهدأ نارها، ولا يخبو أوارها، وقلتم لها : « لابد لك أن تختاري زوجك بنفسك حتى لا يخدعك أهلك عن سعادة مستقبلك »، فاختارت لنفسها أسوأ مما اختار لها أهلها، فلم يزد عمر سعادتها عن يوم وليلة ثم الشقاء الطويل بعد ذلك والعذاب الأليم، وقلتم لها : « إن الحب أساس الزواج »، فما زالت تقلب عينيها في وجوه الرجال مصعدة مصوبة حتى شغلها الحب عن الزواج فغنيت به عنه، وقلتم لها : « إن سعادة المرأة في

حياتها أن يكون زوجها عشيقها »، وما كانت تعرف إلا أن الزوج غير العشيق، فأصبحت تبغي كل يوم زوجاً جديداً يحيي من لوعة الحب ما أمات الزوج القديم، فلا قديماً استبقت، ولا جديداً أفادت، وقلتم لها « لابد أن تتعلمي لتحسني تربية ولدك، والقيام على شئون بيتك »، فتعلمت كل شيء إلا تربية ولدها والقيام على شئون بيتها، وقلتم لها : « نحن لا نتزوج من النساء إلا من نحبها ونرضاها ويلائم ذوقها ذوقنا وشعورها شعورنا »، فرأت أن لابد لها أن تعرف مواقع أهوائكم ومباهج أنظاركم لتتجمل لكم بما تحبون، فراجعت فهرس حياتكم صفحة صفحة فلم تر فيه غير أسماء الخليعات المستهترات والضاحكات اللاعبات والإعجاب بهن والثناء على ذكائهن وفطنتهن فتخلعت واستهترت لتبلغ رضاكم وتنزل عند محبتكم، ثم مشت إليكم بهذا الثوب الرقيق الشفاف تعرض نفسها عليكم عرضاً كما تعرض الأمة نفسها في سوق الرقيق فأعرضتم عنها، ونبوتم عنها، وقلتم لها: « إنا لا نتزوج النساء العاهرات »، كأنكم لا تبالون أن يكون النساء الأمة جميعاً ساقطات إذا سلمت لكم نساؤكم، فرجعت أدراجها خائبة منكسرة وقد أباها الخليع، وترفع عنها المحتشم، فلم تجد بين يديها غير باب السقوط فسقطت، كذلك انتشرت الريبة في نفوس الأمة جميعاً، وتمشت الظنون بين رجالها ونسائها فتعاجز الفريقان وأظلم الفضاء بينهما وأصبحت البيوت كالأديرة(٣١٧) لا يرى فيها الرائي إلا رجالاً مترهبين ونساء عانسات.

ذلك بكاؤكم على المرأة أيها الراحمون، وهذا رثاؤكم لها وعطفكم عليها، نحن نعلم كما تعلمون أن المرأة في حاجة إلى العلم، فليهذبها أبوها وأخوها، فالتهذيب أنفع لها من العلم(٣١٨) وإلى اختيار الزوج العادل الرحيم، فليحسن الآباء إختيار الأزواج لبناتهم وليجمل الأزواج عشرة نسائهم، وإلى النور والهواء تبرز إليهما وتتمتع فيهما برؤية الحياة

---

(٣١٧) الأديرة جمع دير .

(٣١٨) يعني علم ما لم يكن ضرورياً كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فيأذن لها أولياؤها بذلك وليرافقها رفيق منهم في غدواتها وروحاتها كما يرافق الشاة راعيها خوفاً عليها من الذئاب، فإن عجزنا أن نأخذ الآباء والإخوة والأزواج بذلك فلننفض أيدينا من الأمة جميعاً نسائها ورجالها فليست المرأة بأقدر على إصلاح نفسها من الرجل على إصلاحها.

أعجب ما أعجب له من شئونكم أنكم تعلمتم كل شيء إلا شيئاً واحداً هو أدنى إلى مداركم أن تعلموه قبل كل شيء وهو أن لكل تربة نباتاً ينبت فيها، ولكل نبات زمناً ينمو فيه، رأيتم العلماء في أوربا يشتغلون بكماليات العلوم بين أمم قد فرغت من ضرورياتها فاشتغلتم بها مثلهم في أمة لا يزال سوادها الأعظم في حاجة إلى معرفة حروف الهجاء ... ورأيتم الرجل الأوربي حُراً مطلقاً يفعل ما يشاء، ويعيش كما يريد لأنه يستطيع أن يملك نفسه وخطواته في الساعة التي يعلم فيها أنه قد وصل إلى حدود الحرية التي رسمها لنفسه فلا يتخطاها، فرأيتم أن تمنحوا هذه الحرية نفسها رجلاً ضعيف الإرادة والعزيمة يعيش في حياته الأدبية في رأس منحدر زلق إن زلت به قدمه مرة تدهور من حيث لا يستطيع أن يستمسك حتى يبلغ الهوة ويتردَّى في قرارتها، ورأيتم الزوج الأوربي الذي أطفأت بيئته غيرته وزالت خشونة نفسه وحرشتها يستطيع أن يرى زوجته تخاصر من تشاء، وتصاحب من تشاء، وتخلو بمن تشاء فيقف أمام ذلك المشهد موقف الجامد المتبلد، فأردتم من الرجل الشرقي الغيور المتلهب أن يقف موقفه، ويستمسك استمساكه، ورأيتم المرأة الأوربية الجريئة المتفتية تستطيع في كثير من مواقفها مع الرجال أن تحتفظ بنفسها وكرامتها(*)، فأردتم من المرأة المصرية الضعيفة الساذجة أن تبرز للرجال بروزها وتحتفظ بنفسها احتفاظها، وكل نبات يزرع في أرض

(*) في هذه العبارة نظر، إذ ليست علة منع الاختلاط سذاجة المرأة وعدم جرأتها، بحيث يقال إذا زالت العلة زال المعلول، فيباح الاختلاط للمرأة الجريئة المتفتية، ويمنع للساذجة الضعيفة وهذا باطل، لمخالفته نصوص الشريعة، وقواعدها، وقد فصَّلت ذلك في «القسم الثالث» من هذا الكتاب، فانظره ص (٥١ : ٦٠).

غير أرضه أو في ساعة غير ساعته إما أن تأباه الأرض فلتفظه، وإما أن يستنبت فيها فيفسدها.

إنا نضرع إليكم باسم ... الحرمة الدينية أن تتركوا تلك البقية من نساء الأمة آمنات مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن، فكل جرح من جروح الأمة له دواء إلا جرح الشرف، فإن أبيتم إلا أن تفعلوا فانظروا بأنفسكم قليلًا ريثما تنتزع الأيام من صدوركم هذه الغيرة التي ورثتموها عن آبائكم وأجدادكم لتستطيعوا أن تعيشوا في حياتكم سعداء آمنين ».

فما زاد الفتى أن ابتسم في وجهي ابتسامة الهزء والسخرية، وقال: « تلك حماقات ما جئنا إلا لنعالجها فلنصطبر عليها حتى يقضي الله بيننا وبينها »، وقلت له: « لك أمرك في نفسك وأهلك فاصنع بهما ما تشاء وائذن لي أن أقول لك إني لا أستطيع أن أختلف إلى بيتك بعد اليوم إبقاء عليك وعلى نفسي لأن الساعة التي ينفرج لي فيها جانب ستر من أستار بيتك عن وجه امرأة من أهلك تقتلني حياءً وخجلاً، ثم انصرفت، وكان هذا فراق ما بيني وبينه.

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون أن فلاناً هتك الستر في منزله بين نسائه ورجاله، وأن بيته أصبح مغشياً لاتزال النعال خافقة ببابه، فذرفت عيني دمعة لا أعلم هل هي دمعة الغيرة على العرض المذال، أو الحزن على الصديق المفقود.

مرت علي تلك الحادثة ثلاثة أعوام لا أزوره، ولا يزورني، ولا ألقاه في طريقه إلا قليلاً، فأحييه تحية الغريب للغريب من حيث لا يجري لما كان بيننا ذكر، ثم أنطلق في سبيلي.

وإني لعائد إلى منزلي ليلة أمس ــ وقد مضى الشطر الأول من الليل ــ إذ رأيته خارجاً من منزله يمشي مشية الذاهل الحائر، وبجانبه جندي من جنود الشرطة كأنما هو

يحرسه أو يقتاده، فأهمني أمره، ودنوت منه فسألته عن شأنه، فقال: « لا علم لي بشيء سوى أن هذا الجندي قد طرق الساعة بابي يدعوني إلى مخفر الشرطة، ولا أعلم لمثل هذه الدعوة في مثل هذه الساعة سبباً، وما أنا بالرجل المذنب ولا المريب، فهل أستطيع أن أرجوك ياصديقي بعد الذي كان بيني وبينك أن تصحبني الليلة في وجهي علني أحتاج إلى بعض المعونة فيما قد يعرض لي هناك من الشئون ؟ »، قلت: « لا أحبَّ إليَّ من ذلك »، ومشيت معه صامتاً لا أحدثه، ولا يقول لي شيئاً، ثم شعرت كأنه يزوِّر في نفسه كلاماً يريد أن يفضي به إليَّ فيمنعه الخجل والحياء، ففاتحته الحديث، وقلت له: « ألا تستطيع أن تذكر لهذه الدعوة سبباً ؟ »، فنظر إليَّ نظرة حائرة، وقال: « إن أخوف ما أخافه أن يكون قد حدث لزوجتي الليلة حادث، فقد رابني من أمرها أنها لم تعد إلى المنزل حتى الساعة، وما كان ذلك شأنها من قبل »، قلت: « أما كان يصحبها أحد ؟ »، قال: « لا »، قلت: « ألا تعلم المكان الذي ذهبت إليه ؟ »، قال: « لا »، قلت: « وم تخاف عليها ؟ »، قال: « لا أخاف شيئاً سوى أني أعلم أنها امرأة غيور حمقاء، فلعل بعض الناس حاول العبث في طريقها فشرست عليه، فوقعت بينهما واقعة انتهى أمرها إلى مخفر الشرطة »، وكنا وصلنا إلى المخفر فاقتادنا الجندي إلى قاعة المأمور، فوقفنا بين يديه، فأشار إلى جندي أمامه إشارة لم نفهمها، ثم استدني الفتى إليه، وقال له: « يسوءني أن أقول لك يا سيدي إن رجال الشرطة قد عثروا الليلة في مكان من أمكنة الريبة برجل وامرأة في حال غير صالحة، فاقتادوهما إلى المخفر، فزعمت المرأة أن لها بك صلة، فدعوناك لتكشف لنا الحقيقة في أمرها، فإن كانت صادقة أذِنَّا لها بالانصراف معك إكراماً لك وإبقاءً على شرفك، وإلا فهي امرأة عاهرة لا نجاة لها من عقاب الفاجرات، وها هما وراءك فانظرهما »، وكان الجندي قد جاء بهما من غرفة أخرى، فالتفت وراءه فإذا المرأة زوجته، وإذا الرجل أحد أصدقائه، فصرخ صرخة رجفت لها جوانب المخفر، وملأت

نوافذه وأبوابه عيوناً وآذاناً، ثم سقط مكانه مغشياً عليه، فأشرتُ على المأمور أن يرسل المرأة إلى منزل أبيها ففعل، وأطلق سبيل صاحبها، ثم حملنا الفتى في مركبة إلى منزله].

ثم ذكر السيد المنفلوطي رحمه الله آخر القصة، وحاصلها أن الفتى مات كمداً وحسرة من هذه الفضيحة التي اختتم بها حياته ...

« طه حسين » عميد التغريب في الفكر المعاصر
دوره في « تحرير المرأة » وجرائمه في حق الإسلام[(٣١٩)]

في يناير ١٩٥٠م :

حمل « حسين سري » (رئيس الديوان) إلى الملك « فاروق » مشروع التشكيل الوزاري الذي سلمه إليه « مصطفي النحاس » رئيس حزب الوفد، أخذ الملك في مراجعته، ولما بلغ اسم « طه حسين » قال فاروق :

(مستحيل مستحيل أنتم لا تعرفون خطورة هذا الرجل)

وقال أيضاً :

(من المحال أن أوافق على أن يكون وزيراً للمعارف بالذات مستحيل)، وتدخل « كريم ثابت » الصليبي وأقنع الملك بالعدول عن موقفه .

فمن هو ذلك الرجل الذي أشفق الطاغية «فاروق» من خطره؟

لعل أغلب أبناء هذا الجيل طرق أسماعهم اسمُ « طهَ حسين » الموصوف زوراً بأنه « عميد الأدب العربي » ، وتخيلوه ــ من جراء الدعاية المسلطة على عقولهم ــ الرجل المسلم الوقور، تحيطه هالة من الشهرة المدوية، والتاريخ الحافل بالأمجاد .

إن من الواجب على أبناء اليقظة الإسلامية المعاصرة أن يمحصوا حقيقة ذلك

---

(٣١٩) استفدت فقرات هذا الفصل من (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام) للأستاذ « أنور الجندي) بتصرف، وانظر : (محاكمة فكر طه حسين) له أيضاً .

الرجل، حتى لا ينخدعوا بالدعايات الكاذبة التي تملأ الآفاق مدحاً في « طه حسين »، وتمجيداً له، في حين أنه كان صنيعة لأعداء الإسلام، وداعية للتبعية المطلقة للمدنية الغربية بكل مفاسدها وشرورها .

إن « طه حسين » مسئول عن كثير من مظاهر الفساد والتحلل التي ينوء بها المجتمع اليوم، ولقد خاض معركة بل معارك من أجل « تسميم » الآبار الإسلامية، وتزييف مفهوم الإسلام والتاريخ الإسلامي، معتمداً على سياسة المستشرقين في التحول من المهاجمة العلنية للإسلام إلى خداع المسلمين بتقديم طُعمْ ناعم في أول الأبحاث ثم دس السم على مهل متستراً وراء دعوى « البحث العلمي » و « حرية الرأى » !!

وليس المقام مقام (الترجمة) لطه حسين، ولكنه مقام التنبيه إلى دوره الخطير في محاربة الإسلام وتهديد حصونه من داخلها، ثم سرد مقتطفات من أقواله وأفعاله التي تبين مدى حقده على هذا الدين وعلى هذه الأمة، ولا أجد أصدق في التعبير عن ذلك من حكم أستاذه « التلمودي » المستشرق « ماسينيون » عليه .

فقد قال الدكتور زكي مبارك : (وقف المستشرق ما سينيون ، يوم أديت امتحان الدكتوراه فقال : إنني حين أقرأ بحثاً لطه حسين أقول : « هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا »(٣٢٠) اهـ ، وهاك أمثلة من أقواله الكفرية ، ومواقفه الإبليسية :

١ ــ فمن ذلك : تكذيبه القرآن المجيد وسائر الكتب السماوية في قوله :

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة، ونشأة العرب المستعربة ونحن مضطرون أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام

(٣٢٠) (زكي مبارك) للأستاذ أنور الجندي ص(١٣٢) .

واليهود، والقرآن والتوراة من جهة أخرى) اهـ .

٢ ــ ومن ذلك قوله : (إن القرآن المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق) تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

٣ ــ ومن ذلك قوله : (ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وبين ما وصل إليه العلم) وقوله : (إن الدين لم ينزل من السماء، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها)، (إن الدين حين يقول بوجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لا يعترف بهما العلم) اهـ .

٤ ــ ومن ذلك قوله : (إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين، وستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى، والمصري فرعوني قبل أن يكون عربياً، ولا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها، وإلا كان معنى ذلك : اهدمي يامصر أبا الهول والأهرام، وانسي نفسك واتبعينا، لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي، مصر لن تدخل في وحدة عربية سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد، وأؤكد قول أحد الطلبة القائل : « لو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه ») اهـ .

٥ ــ ومنه قوله في مجلة « كوكب الشرق » (١٢ أغسطس ١٩٣٣) :

(لم أكن في اللجنة التي وضعت الدستور القديم، ولم أكن بين الذين وضعوا الدستور الجديد، ولم يستشرني أولئك وهؤلاء في هذا النص الذي اشتمل عليه الدستوران جميعاً، والذي يعلن أن للدولة المصرية ديناً رسمياً هو الإسلام، ولو قد استشارني أولئك وهؤلاء لطلبت إليهم أن يتدبروا، وأن يتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص في الدستور) اهـ .

٦ ــ ومن ذلك أنه دعا طلاب كلية الآداب إلى اقتحام القرآن في جرأة، ونقده بوصفه كتاباً أدبياً يقال فيه : هذا حسن، وهذا (كذا) تعالى الله عن

زندقته علواً كبيراً، فقد حكى عنه (عبد الحميد سعيد) قوله :

(ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجرى عليه مايجرى عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذه عليه)(*) اهـ .

٧ ــ ومن ذلك : حملته الشديدة على الأزهر الشريف وعلمائه الأفاضل، ورميهم جميعاً بالجمود، وحثه على (استئصال هذا الجمود، ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة من شره) على حَدِّ تعبيره .

٨ ــ ومن ذلك أيضاً تشجيعه لحملة (محمود أبو رية) على السنة الشريفة، ومن ذلك أيضاً تأييده لـ (عبد الحميد بخيت) حين دعا إلى الإفطار في رمضان، وثارت عليه ثائرة علماء المسلمين .

٩ ــ ومنه : مطالبته بإلغاء التعليم الأزهري، وتحويل الأزهر إلى جامعة أكاديمية للدراسات الإسلامية، وقد أطلق عليها (الخطوة الثانية) وكانت « الخطوة الأولى » هي إلغاء المحاكم الشرعية التي هلل لها كثيراً .

١٠ــ قوله : (خضع المصريون لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب أيضاً)اهـ .

١١ــ ومن ذلك أنه أعاد خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية بعد أن نقاها العلماء المسلمون منها، والتزيد في هذه الإسرائيليات والتوسع فيها .

١٢ــ ومن ذلك: حملته على الصحابة رضي الله عنهم، وعلى الرعيل الأول من الصفوة المسلمة، وتشبيههم بالسياسيين المحترفين الطامعين في

(*) من « طه حسين » لانور الجندي ص(٢٢٩) .

السلطان ـــ وحاشاهم رضي الله عنهم ـــ وذلك في محاولة منه لإزالة ذلك التقدير الكريم الذي يكنه المؤرخون المسلمون لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

١٣ـــ ومن ذلك : عمله على إعادة طبع رسائل « إخوان الصفا » وتقديمها بمقدمة ضخمة في محاولة إحياء هذا الفكر الباطني المجوسي المدمر، وإحياؤه شعر المجون والفسق، والحديث عن شعرائهما بهالة من التكريم كأبي نواس وبشار وغيرهم، وكذا ترجمة القصص الفرنسي الإباحي الماجن، وطعنه في ابن خلدون والمتنبي وغيرهما.

١٤ـــ ومن ذلك قوله : (أريد أن أدرس الأدب العربي كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات، ومالي أدرس الأدب لأقصر حياتي على مدح أهل السنة، وذم المعتزلة، من الذي يكلفني أن أدرس الأدب لأكون مبشراً للإسلام، أو هادماً للإلحاد) اهـ.

١٥ـــ ومنه قوله : (إن الإنسان يستطيع أن يكون مؤمناً وكافراً في وقت واحد، مؤمناً بضميره وكافراً بعقله، فإن الضمير يسكن إلى الشيء، ويطمئن إليه فيؤمن به، أما العقل فينقد ويبدل ويفكر أو يعيد النظر من جديد. فيهدم ويبني، ويبني ويهدم) اهـ.

١٦ـــ ومن ذلك قوله: (علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، فنأخذ الحضارة خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يكره، وما يحمد منها، وما يُعاب) اهـ.

١٧ـــ ومن ذلك قوله في تصوير سر إعجابه « بأندريه جيد » : (لأنه شخصية متمردة بأوسع معاني الكلمة وأدقها، متمردة على العرف الأدبي، وعلى القوانين الأخلاقية، وعلى النظام الاجتماعي، وعلى النظام السياسي، وعلى

أصول الدين)، وذكر أنه يحب « أندريه جيد » ويترسم خطاه، ويصور نفسه من خلال شخصيته.

١٨ــ ومن ذلك: وصفه لوحشية المستعمرين الفرنسيين وقسوتهم في معاملة المسلمين المغاربة : بأنها (معاناة ومشقة في سبيل بسط الحضارة الفرنسية والمدنية على تلك الشعوب المتوحشة التي ترفض التقدم والاستنارة).

١٩ــ ومن ذلك : استقدامه لبعض المستشرقين المحاربين لله ورسوله الطاعنين في القرآن الكريم لإلقاء محاضرات حول الإسلام في الجامعة المصرية لتشكيك الطلاب في القرآن والإسلام.

٢٠ــ ومن ذلك: تشجيعه تيار التنصير في الجامعة، وحينما اكتُشف هذا المخطط التنصيري قال: (ما يضر الإسلامَ أن ينقص واحداً، أو تزيد المسيحية واحداً) وعندما تكشف أن هناك كتباً مقررة في قسم اللغة الإنكليزية تتضمن هجوماً على الإسلام ورسوله ﷺ قال: (إن الإسلام قوي، ولا يتأثر ببعض الآراء) واكتفي بهذا، في حين ترك للأساتذة الإنكليز مطلق الحرية في هذا العمل.

٢١ــ ثم عمد « طه حسين » إلى إخراج كل من له رأى أو أصالة من كلية الآداب، واستبقى أعوانه الذين سار بهم إلى الطريق الذي رسمه، وأعانه على ذلك « لطفي السيد » الذي كان مديراً للجامعة، وفي نفس الوقت تابعاً لخطط « طه حسين »، وخاصة في خطة إنشاء معهد « التمثيل والرقص الإيقاعي »، ودعوة الطالبات إلى الاختلاط، وتحريضهن على ذلك، ومعارضة الجبهة المسلمة التي حاولت أن تدعو إلى الدين والأخلاق، وهكذا تحولت الجامعة إلى مجتمع متحلل من قيود الأخلاق الإسلامية، فأقيمت حفلات رسمية في دار الأوبرا خليت لها الراقصات المحترفات، ومن ثم عرفت

حفلات الرقص والسمر في البيوت مما قصت أخباره بعض الخريجات وغيرها، والرحلات المشتركة؛ وما كان يجرى في اتحاد الجامعة، ورابطة الفكر العالمي من محاضرات مادية إلحادية، ومقطوعات فرنسية على البيانو، وروايات تمثيلية تقوم على الحب والغرام .. وقد وصل الأمر إلى حد أن أحد الأساتذة « الأجانب » ضاق ذرعاً بذلك الفساد فكتب يقول: (إنه خليق بالجامعة أن تمثل المثل الأعلى ـ « يعني للطلاب » ـ لا أن تمثل فيهم دور السكير) !.

وكان « طه حسين » يرعى ذلك ويقول: (إن هذا النوع من الحياة الحديثة لن يمضي عليه وقت طويل في مصر، حتى يغير العقلية المصرية تغييراً كبيراً).

٢٢ــ وتتابعت خطوات « طه حسين » في كلية الآداب في سبيل خطته، فأقام حفلًا لتكريم « رينان » الفيلسوف الفرنسي الذي هاجم الإسلام أعنف هجوم، ورمي المسلمين والعرب بكل نقيصة في أدبهم وفكرهم، وكذلك جعل « طه حسين » الشعار الفرعوني هو شعار الجامعة، وقد لقى من ذلك كله معارضة شديدة وخصومة واسعة وصلت إلى كل مكان في البلاد العربية، وأرسل إليه الأستاذ « توفيق الفكيكي » من العراق برقية قال فيها: « إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار، وستبقى أرض الكنانة وطن الإسلام والعروبة برغم الفرعونية المندحرة ».

٢٣ــ وذكرت مجلة « النهضة الفكرية » في عددها الصادر في ٧ نوفمبر ١٩٣٢ : (أن الدكتور « طه » تعمد في إحدى كنائس فرنسا، وانسلخ من الإسلام من سنين في سبيل شهوة ذاتية)[٣٢١].

(٣٢١) انظر ما قيل حول تنصره في « طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٧٣ ــ ٧٤).

صراع حركة اليقظة مع « طه حسين »

ولقد هوجم (طه حسين) منذ اليوم الأول إلى اليوم الأخير، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف آرائه، ودحر مخططه، ولكنه مع كل ذلك كان يقبض الثمن، ويكافأ بكل إصرار على خدماته لأعداء الإسلام، فلقد ظل يترقى في المناصب رغم الحملات التي شنها عليه علماء الإسلام في كافة البقاع الإسلامية، ظل يترقى في مخطط مرسوم من أستاذ إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار فني إلى وزير، وظل حتى اللحظات الأخيرة من حياته مشرفاً على اللجنة الثقافية في الجامعة العربية ورئيساً لمجمع اللغة العربية، وله نفوذه الواسع في وزارة المعارف والجامعات وذلك مصداق قول « هاملتون جب » المستشرق:

(سواء قوبلت آراء « طه حسين » بالموافقة أم لم تقابل، فلابد أن يقضي نفوذه الواسع الذي يتمتع به إلى توطيد المبادىء التي يدعو إليها) اهـ.

وقال المستشرق « كاممفاير »:

(إن المحاولة الجريئة التي قام بها « طه حسين » ومن يشايعه في الرأى لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية هي حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام) اهـ.

بل قال هو عن نفسه: (إنني أفكر بالفرنسية، وأكتب بالعربية) اهـ.

وفي تقرير خطير يصف المكر اليهودي الأمريكي لإبادة الجيل المسلم، وبصورة مكشوفة يطالب التقرير بوجوب الإفادة من آراء « طه حسين » ومؤلفاته.

[وقد دعا التقرير إلى وجوب تأليف « لجنة مكافحة الإسلام تنبع من وكالة الأمن القومي الأمريكي، وقد استعانت هذه اللجنة بعدة شخصيات منها نائب ما يسمى ب (البابا) المسؤول عن التبشير مع الجمعيات الدينية، كما استعانت بتقرير الإدارة

البريطانية وغيرها من تقارير الدول الاستعمارية في الغرب والشرق.

وقد جاء في توصيات اللجنة السابقة بالحرف الواحد:

« وجوب تسليط الدعاية والإعلام على مجددي الدِّين المزعومين كطه حسين وأمثاله »][٣٢٢] اهـ.

هذا وقال الأستاذ الشيخ « عبد ربه مفتاح » من علماء الأزهر في مقالة نشرها الكوكب، مخاطباً « طه حسين » : (وكيف تزعم أيُّها الدكتور أن « بعض » العلماء أثار هذا الأمر ــ أمر كفرك ــ وهاأنذا أصرح لك ــ والتبعة في ذلك عَليَّ وحدى ــ بأن العلماء أجمعين وعلى بكرة أبيهم يحكمون عليك بالكفر، وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه ولا تجوُّز؛ واتحداك، وأطلب منك بإلحاح أو رجاء أن تدلني على واحدٍ منهم « وواحد فقط » يحكم عليك بالفسوق والعصيان دون الكفر؛ أجل إني وأنا من بينهم أتهمك بالكفر، وأتحمل تبعة هذا الاتهام، وعليك تبرئة نفسك من هذا الاتهام الشائن، والمطالبة بما لَكَ من حقوق نحوى)[٣٢٣] ا هـ.

وأخيراً: فهذه لمحة خاطفة عن « طه حسين » الرجل الذي تشهد كتبه بأنه لم يكن إلا بوقاً من أبواق الغرب، وواحداً من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير، يروِّجُ لثقافاته، ويعظمها، ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم، (ويوطد دعائم الود والتفاهم بين الحمار وراكبه، وهي دعائم تفيد الراكب دائماً، ولا تفيد الحمار !)[*].

(٣٢٢) (طه حسين في ميزان العلماء والآدباء) للأستاذ محمود مهدي الاستانبولي، نقلاً عن مجلة (حضارة الإسلام) ع : (٤٤٢٠) بين ١٣٩١ (١٩١٩).

(٣٢٣) السابق ــ ص (٥٥٢).

(*) انظر : (حصوننا مهددة من داخلها) ص(١٠١) ــ الطبعة السابعة.

كيف واجه المسلمون مؤمرات « طه حسين » ؟

أصر (طه حسين) على استبقاء كتب (برناردشو) وغيره التي تهاجم الإسلام في كلية الآداب بحجة أن الإسلام قوي ولن يتأثر بهذا الرأى أو ذاك .

سرت عند ذلك روح الغيرة الإسلامية عند الطلاب ، فقاومت مؤامرات (طه حسين) على الإسلام ، وحاصرته في مكتبه بكلية الآداب ، وكادت تفتك به لولا أن انقذه بعض الخدم فهرب ـــ واعتكف كمقدمة لخروجه من كلية الآداب .

وأحرق الشباب العربي في الشام كتب (طه حسين) في ميدان عام في العاصمة دمشق ، ووصفه العلماء بالإلحاد والزندقة .

وقام بعض تلامذته الذين استيقظ فيهم الشعور بالكرامة والعزة الإسلامية وكشفوا حقيقته بفضح أهدافه ، وكشف تزويره وسرقته من كتب المؤلفين الغربيين .[٣٢٤] .

وتصدى له عشرات العلماء والدعاة والمفكرين لعداونه المتكرر على حرمات الإسلام ، وفضحوا مؤامراته على الإسلام ، ومن ذلك المقالة التالية :

بين « حسن البنا » و « طه حسين » :

فقد عقد الأستاذ « حسن البنا » رحمه الله فصلاً في مجلة « التعارف » تحت عنوان : « إذا كان هذا[٣٢٥] صحيحاً يا دكتور فقد اتفقنا » .

وكان مما جاء فيه بصدد قضية « الاختلاط » :

(وهل من الدعوة الإسلامية يا دكتور أن تخلط بين الفتيان والفتيات هذا الخلط

---

(٣٢٤) انظر « طه حسين » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٧٩) .

(٣٢٥) يقصد الشيخ « حسن البنا » رحمه الله بكلمة (هذا) الإشارة إلى قول « طه حسين » في حفل تكريم أقيم له : (وأتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه ، كما أدافع أنا عنه ، وأن ينشره ويحببه للناس كما أبشر به أنا ، وكما أحب مبادئه للناس) اهـ ! وانظر « طه حسين » للأستاذ « أنور الجندي » ص(٨٥ ـــ ٨٩) .

في كلية الآداب فتحذو حذوها غيرها من الكليات، وتبوء أنت بإثم ذلك كله ؟ وتريد للفتيات في صراحة هذا الاختلاط، وتحثهن عليه، وتدعوهن إليه، ولا تقل إن هذا من عمل غيرك، فيداك أوكتا، وفوك نفخ، وما تحمس لهذا، ودعا إليه، وحمل لواءه، واستخدم نفوذه في تحقيقه أحد كما فعلت ذلك أنت، ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك، ولكني أخالفك يا دكتور، وأصارحك بأن هذا الاختلاط ليس من الإسلام، وقد رأينا ـــ وسترى ـــ ما كان وما سيكون له من آثار) اهـ.

وقالت (درية شفيق) : (في سنة ١٩٣٢م ظهرت صورة للدكتور « طه حسين » بك في نادي الجامعة وعلى يمينه ويساره الطلبة والطالبات جلوساً يتناولون الشاى، وقامت القيامة لهذه الصورة البريئة التي تضرب المثل للأبوة في وجود العميد و « الإخوة » ! في جلسة الطلبة والطالبات، واتخذت الصورة تكأة يتخلص بها الرجعيون من (طه حسين) و (لطفي السيد)، ووقف الرجعيون في مجلس النواب يحملون على الجامعة ورجالها فكرة تعليم البنات فيها، ويرون ذلك فضيحة من الفضائح يجب أن تحول دونها الحكومة)(٣٢٦) اهـ.

وفي غرة المحرم ١٣٥٦هـ (الموافق ١٤ مارس ١٩٣٧ م) زحف موكب كبير من طلبة الجامعة المصرية والأزهر ودار العلوم يزيد على أربعة آلاف نسمة، ومن خلفهم أضعاف أضعافهم من ولاة أمور الطلاب، واتجه الموكب إلى قصر الأمير (محمد علي) رئيس مجلس الوصاية مطالبين بتعميم التعليم الديني والتربية الإسلامية في جميع أدوار التعليم إلى نهاية درجته العليا، وفصل الشابات عن الشبان في الجامعة المصرية كما هو الحال في أدوار التعليم التي قبل الجامعة، والاهتمام بالتربية بقدر الاهتمام بالتعليم)(٣٢٧)

---

(٣٢٦) من « تطور النهضة النسائية في مصر » ص(٧٢).

(٣٢٧) « إهابة » للكاتبة « عزيزة عباس عصفور » ص(١٢٨، ١٣٣)، وقد كان لهذه المطالب صدى واسع لدى المؤيدين والمعارضين، وفي هذا الكتاب « إهابة » جمعت الكاتبة النشرات والمقالات التي باركت تلك الحركات الإسلامية الطلابية، فراجعه إن شئت.

وانبرى الأديب الكبير (مصطفى صادق الرافعي) يبارك مطالب شباب الجامعة التي تجاوبت بها أصداء البلاد، ويرد على « طه حسين » وأشياعه تحت عنوان :

إلى شباب الجامعة(٣٢٨)

(حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية، لقد كتبتم الكلمات التي تصرخ منها الشياطين، كلمات لو انتسبن لانتسبت كل واحدة منهن إلى آية مما أنزل به الوحي في كتاب الله.

فطلب تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمي إلى هذه الآية :

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾الأحزاب (٣٣)

وطلب الفصل بين الشباب والفتيات يرجع إلى هذه الآية :

﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ الأحزاب (٥٣)

يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين، فإن ألعلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة، يريدون قوة النفس مع قوة العقل، فإن القانون الأدبي في الشعب لا يضعه العقل وحده، ولا ينفذه وحده.

يريدون قوة العقيدة حتى إذا لم ينفعهم في بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه ...

لا ... لا ...، يارجال الجامعة ! إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوربا وتقليد أوربا ؟ ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا

---

(٣٢٨) « وحي القلم » (١٨٤/٣ ــ ١٨٨) تحت عنوان : (قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر)، وانظر (إهابة) لعزيزة عباس عصفور ص(٧٨ ــ ٨٠) .

لخضوعنا لأوربا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق ؟

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية ، فلا حاجة إليه في الجامعة .

أفترون الإسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ؟ أم تريدونه شجرة تغرس هناك لتقلع عندكم ؟) اهـ .

بين « الزهاوي » و « ابن الخطيب » :

ومن فصول المعركة الهجمات التي شنها الشاعر العراقي الملحد المدعو « جميل صدقي الزهاوي »(٣٢٩) حيث أكثر من الطعن في الدين والتنفير من شرائعه ، حتى قال في الحجاب :

أخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقي به المسلماتُ

فانبرى له الشيخ ابن الخطيب وعارضه قائلاً(٣٣٠) :

بئس ما يدعى فلاسفة العصـ ـرِ من أن السفور فيه الحياةُ

---

(٣٢٩) والزهاوي هو القائل في حب الإنكليز أعداء الإسلام والتنفير من الترك المسلمين :

تبصر أيها العربي واترك ولاء الترك من قوم لئام
ووال الإنجليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام
أحب الإنكليز وأصطفيهم لمرض الإخاء في الأنام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم بعدل ضاء كالبدر التمام

(من ديوان الزهاوي) ط دار العودة ــ بيروت

وله أشعار كثيرة في ذم الحجاب والتنفير منه ضربنا عنها صفحاً ــ عليه من الله ما يستحقه .

(٣٣٠) (حقائق ثابتة في الإسلام) لابن الخطيب ص(٨١ ــ ٨٦) .

وهو حق إذ إن أسلافنا الأعـ ـراب من فرط من يحبون ماتوا[٣٣١]

يا خليلي حدث عن الشرق قدماً حين كانت تعظم المعجزاتُ

حين كان القرآن يُرّجَى ويُخشى والقوانيـن آيـةُ البينـات

حين كان الحديث يتلي ولا ير وبه إلا ذوو العقول الثقاتُ

إننا في الزمان نلقي أنـاساً في التوضي علومهم قاصراتُ[٣٣٢]

وهمو بعدُ يدّعون علومـاً أنكـرتها عصورُنـا الخاليـات[٣٣٣]

ليت شعري ماذا يريدون منا وصنـوف الأذى بنـا محدقـات

بنت مصر هاتي سفورك واغشى كلَّ نادٍ وَمِلْ منكِ الجهات[٣٣٤]

عرفي نفسك الغـداة وطـوفي لا تَفُـتْكِ الأسواقُ والحانـات

ثم أمّي مجالس القوم وادعيـ ـهم إلى حيث لا تمل الدعاة

علنـاً بالسفـور نبنـي حصونـاً شامخات بها ترد العـداة

وعسانـا نرى البرايـا سجـوداً لابن مصر وقد علاه السبات[٣٣٥]

---

(٣٣١) تهكم بهذا الرأى الفاسد والقول المذموم، فهو يصدقهم في ما زعموه من أن السفور سبب للحياة، إشارة إلى أن من مات من أعفاء العرب حزناً وجوى لعجزهم عن رؤية من يحبون نظراً لأن الحجاب كان يحول دون ذلك، فيموت العاشق أو يجن، وفي هذا يقول قائلهم :

ما كان أغنانى عن حب مَن مِن دونه الأستارُ والحُجُبُ

في حين أن السفور الممقوت قد خلط الحابل بالنابل، وجعل العاشق متمكناً ومالكاً لمن يعشقها، فانقشع (بفضل) السفور الأسى والجوى، وحل محلهما القرب والنجوى، فعم بذلك الشر والبلوى، واستوجبوا به غضب الجبار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣٣٢) أي أنهم لا يتقنون الوضوء، أو : لا يتوضئون أصلاً لتركهم الصلاة .

(٣٣٣) وذلك لأنهم مع جهلهم حتى بفقه الوضوء، يتقمصون صور العلماء والأحبار، ويتشدقون بالنصوص الشرعية بعد تحريفها وتأويلها مدعين أن السفور لا ينافي الدين، ويأتون بفهم للنصوص سقيم لم يسبقهم إليه سلف ولا خلف .

(٣٣٤) أمر قصد به التهكم والاستهزاء .

(٣٣٥) أي تركه النوم والخمول .

ولعمري لقد بكى الدين حزناً حين قال الخطيب: يا سيدات[٣٣٦]

ومن قذائف الحق في هذه المعركة:

ما قاله الأديب الشاعر « مصطفى صادق الرافعي » ردًا على دعاة « تحرير » المرأة:

أراك تُرَجِّين الذي لستِ أهلَه وما كل علم إبرة وثيابُ
كفى الزهر ماتندي به راحة الصبا وهل للندى بين السيول حساب
وما أحمق الشاة استفرت بظلفها إذا حسبت أن الشياه ذئاب
فحسبكِ نبلاً قالة الناس أنجبت وحسبكِ فخراً أن يصونك باب
لك القلب من زوج ووُلْدٍ ووالد وملك جميع العالمين رقاب
ولم تُخْلَقي إلا نعيماً لبائس فمن ذا رأى أن النعيم عذاب
دعى عنك قوماً زاحمتهم نساؤهم فكانوا كما حف الشرابَ ذباب
تساوَوْا فهذا بينهم مثل هذه وسيَّان معنىً يافع وكعاب
وما عجبي أن النساء ترجلت ولكنَّ تأنيث الرجال عُجَاب[٣٣٧]

ومنها: ما كان من الشاعر الأستاذ (محمد حسن النجمي)، وقد اطلع على رَدٍّ

---

(٣٣٦) أي عندما غشيت النساء المحافل والمنتديات مختلطات بالرجال، وصار الخطباء يفتحون كلامهم بقولهم (سيداتي سادتي)، هذه العبارة كان (سعد) يحلم باليوم الذي تقال فيه، إذ قال في حفل تكريم له أقامه تجار العاصمة على أثر عودته من منفاه: (سادتي .. كنت أود أن أقول: « سيداتي وسادتي »، .. وأتعشم أن يأتي يوم أرى فيه خطباءنا يبدأون بتلك البداية) اهـ من كتاب (المرأة المصرية) لدرية شفيق ص(١٣٣).

(٣٣٧) « ديوان الرافعي » (١٣٢١/٢هـ) (ربة الحسن والقلم)، وللرافعي قصيدة أنشأها ينتقد فيها تبرج النساء لاقت في زمنه رواجاً عظيماً، ووزع منها عشرة آلاف نسخة، ذكر ذلك صديقه « أبو رية » في كتابه: (من رسائل الرافعي) قال في مطلعها:

دلالك في التبرج من ضلالك وما عاب الدلال سوى دلالك

فضيلة الشيخ (مصطفى صبري) رحمه الله على السفوريين[٣٣٨]، فأنشأ القصيدة الآتية :

زعم السفورَ والاختلاطَ وسيلةً ... للمجد قوم في الجهانة أغرقوا
كذبوا، متى كان التعرض للخنا ... شيئاً تعز به الشعوب وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلة ... فيذيعها هذا الشباب الأحمقُ
ما بالهم والبنت قد فتنت بما ... قالوا ، وحلَّ بها الجنون المطبق
وبدت مَقاتِل عِرضها لرُماته ... حتى لهمَّ به الجبان الأخرق
والقول أصبح في الخروج لها فلا ... كفٌ تكف ولا رِتاج يُغلق
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها ... بعد التبذل عندهم لا تنفق
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها ... وتكلفوا فيه البيان ونَمَّقوا
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا ... واللينِ ما هو بالصرامة أخلق
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها ... ذيلاً يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم ... ببريقه هذا الجديد المخلق

* * *

أشبابنا المرجو صيحةُ جازع ... أغرى بها هذا البلاء المحدِق
ونصيحة يفضي برائع سرها ... لقوام نهضتنا محب مشفق
لا ترهفوا سمع الحفي لقالة ... أبداً بها بوم البطالة تنعق
لم يقصدوا خيراً بها لكنهم ... رَأَوْا القوى يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوى خطيئة ... فمضى الضعيف بمدحها يتشدق
قوا أهلكم ونفوسكم عاراً إذا ... لم تتقوه بغيركم لا يعلق

(٣٣٨) في كتابه (قولي في المرأة) .

وتناولوا بالزجر خُمْراً كلما هيجت إلى مُتع الإباحة تنهق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا بيد الخلاعة كل يوم تزهق
والبنت يدفعها براحته الهوى فتروح تهوي من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه غرب البسيطة حين ضل المشرق

وقال الشاعر « محمد إقبال » في قصيدته (جواب شكوى)(*) :

لقد سئم الهوى في البِيد قيسٌ وملَّ مِن الشكاية والعذاب
يحاول أن يُباح العشقُ حتى يرى لَيْلاه وَهْيَ بلا احتجاب
يريد سفورَ وجهِ الحُسْن لَمَّا رأى وجهَ الغرامِ بلا نقاب
فهذا العهدُ أحرقَ كُلَّ غَرْسٍ مِن الماضي وأغلق كُلَّ باب
لقد أفنت صواعقه المغاني وعاثت في الجبال وفي الهضاب

* * *

هي النارُ الجديدة ليس يُلْقى لها حَطَبٌ سوى المجد القديم
خذوا إيمان إبراهيم يُنْبِتْ لكم في النار روضات النعيم
ويذكو من دم الشهداء وَرْدٌ سَنِيُّ العِطْر قُدْسِيُّ النسيم

ولعل مما يصور واقع (المرأة الجديدة) التي أنتجتها دعوة التحرير أصدق تصوير هذه القصيدة لفضيلة الشيخ « عبد الفتاح عشماوي » كتبها جواباً لشاب مسلم حائر بعنوان :

(*) (تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة) لأحمد بن يحيى النجمي ص(٥٩) .

« حــيرة »

سأل الفتى هلا أزلت لحيرتي ... كيف السبيل وقد جعلتك قدوتي ؟
فأجبت ، أفصح ما بذاتك علني ... أجد السبيل بقدر ما في طاقتي
فأجاب ، أبغي أن أصون غريزتي ... بزواج من تدعي بحق زوجتي
ليست مشاعاً للجيمـع يرونها ... تمشي لتعرض ما يذل رجولتي
إن قلت صوني سُمْعَتي وتستري ... ألفيتها عابت عَلَيّ (رجعيتي)
أو قلت : قال الله ، كان جوابها ... ما قال (قاسم) أو (فرويد) غايتي
وإذا خطبت وقلت : ما هو مهرها ؟ ... لم يتركـوا إلا الفـراغ بجعبتـي
وإذا رأتنـي بالشعيرات التـي ... في عارضي طلبت إزالة لحيتي
أوْ لا زواج وقد أطاعوا أمرها ... وأنا الطريد أجر ذيـل الخيبـة
فإذا رضخت وصار وجهي ناعماً ... وتزوَّجتنــي والمُضَيَّــعُ سنتــي
ورأيتها يومــاً تغــادر بيتنـــا ... وسألتها ، قالت أريد إدارتي
لم يبق إلا أن أكون مكانها ... وهي التي تسعى لتجلب لقمتي
وطعامهـا أطهـو وأغسـل ثوبها ... وكذاك أرضع طفلها يا بلوتي
لم لا تكون وقد رأت حكامها ... أعطوا لها ما حرمته شريعتـي
من لي بذات الدين تحفظ غيبتي ... غابت فلم أر من أراها زوجتي
فأجبتـه وأنـا أغـالـب دمعتـي ... أسمعتنى ما زادني من حسرتي
لكن أقول وقد وُهِبْتَ هداية ... لا تيأسن وابحث عن المهدية
فهناك من صُنَّ الحياء وإنما ... غُيِّبْنَ خلف الخِدر خدرِ العفةِ
قل للتي اخضرت ولكن من دِمَن(٣٣٩) ... لا أشتريك لكي أبيع ديانتي

---

(٣٣٩) مأخوذ من معنى حديث ضعيف جداً نصه : (إياكم وخضراء الدِّمَن ، فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء) ــ انظر « سلسلة الأحاديث الضعيفة » حديث رقم (١٤) .

لو عشت طول العمر غير مزوج فأنا حريص أن أبيض صفحتي
ولديَّ وعـد الله حق قاطـع عندي عروسك والزفاف بجنتي(٣٤٠)

المصير الأسـود

وكنتيجة حتمية لذلك السفور، وهذا التبرج الجاهلي الكبير، ولنفس النظام التعليمي الفاسد الذي غايته المثلى، وهدفه الأسمي الوظيفة الحكومية وغير الحكومية، امتلأت دور الحكومة ومصالحها بالموظفات، وازدحمت بهن المسارح ودور السينما وكذلك المسابح والمصطافات، وضُمَّت البلاد بالخبث، وعمها الفساد، وانمسخ المجتمع الإسلامي، فأصبح غيره بالأمس في مظهره ومخبره، وظاهره وباطنه .

ثم جردت جيوش الشيطان، ونفثت سمومها في كل مكان، عبر السينما والتليفزيون والمسارح، وإذا بنا أمام مخطط إلحادي يجوس خلال ديارنا، وإذا بالزنا يحميه قانون، وإذا بالفسقة والفاسقات من أهل « الفن » تقام لهم الأعياد، وتضفي عليهم صفات البطولة، وتهدى لهم الجوائز ليستعينوا بها على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا .

لقد كرم الإسلام المرأة كتاباً وسنة، وحفلت شريعته برفع شأنها وصيانة حقوقها، لكنها أذلت نفسها لما اتبعت الذين حرضوها ضد فطرتها ودينها، فسلخوها من دينها، وأبعدوها عن ربها، وألقوا بها في متاهات الحياة لتقاسي شظف العيش ومكاره المحن، التي ناء بها كاهل الرجل بله المرأة، لقد حملوها حملاً على أن تصطف في طابور المنقادين لحضارة الغرب لتدخل جنته المنشودة، ولكن بعد أن تخلع على أعتابها إيمانها بالله واليوم الآخر .

(٣٤٠) محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ الموسم الثقافي للعام الدراسي ١٣٩٤هـ ــ ١٣٩٥هـ

ودفعت المرأة الثمن :

لقد فقدت المرأة اليت كان يلوح لها « أنصارها » بسعادة التحرر والتطور ــ ليس فقط سعادتها ــ بل فقدت وجودها كله كامرأة ذات قيمة في المجتمع ووزن فيه ، لقد قبضت فيما مضى على دينها ، فقبض الله عنها السوء ، وبسط لها الحلال ، حتى لم تكد تينع الثمرة في بيت أبيها إلا وتمتد يد الحلال لتقطفها ، فلا تفتح عينها إلا على حليلها ، ولكنها وقد ابتذلت وأهينت على يد أصدقائها وأنصارها كان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون ، ولم تعد ــ كما كانت ــ تتمتع باحترام الآباء والأزواج ، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والتعظيم ، وإنما أصبحت في نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش ، وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة ــ أيًّا كانت ــ تُدِرُّ عليها دراهم معدودة ، تنفق أكثرها في المساحيق للتجميل ، وفي الثياب القصيرة للفتنة ولفت الأنظار .

هذا هو المنحدر الفظيع والهاوية السحيقة والمصير الأسود القاتم الذي انتهت إليه المرأة في كثير من بلاد المسلمين .

والآن :

وقد خلعت المرأة حجابها ، وغادرت حصنها ، وعَصَتْ ربها ، فهل جنينا حقاً التقدم والرخاء والحضارة ؟

لقد خالطت الرجال ، واختلط الحابل بالنابل ، فهل زالت العقد النفسية ؟ وهل استقرت دواخلهما ؟ وهل جنينا سوى الثمار المريرة ؟

لقد فتحنا بلادنا أمام حملات الغزو الفكري اليهودي والصليبي والعلماني الذي سلط علينا سموم الشبهات وسهام الشهوات التي كان أفتكها المرأة فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ؟

التجربة خير شاهد :

إننا لن نطيل في وصف الهاوية التي تَرَدَّتْ إليها المرأة « المتحررة » بفضل « أنصارها » و « أصدقائها » لأن الواقع حولنا يكفينا مؤنة هطه الإطالة، إنه حقاً واقع مرير مرير ، تستطيع أن تدرك عواقبه وآثاره حيثما وقعت عينك ، في كل بيت ، في كل طريق، في كل وظيفة .

وربما إذا كنا نتكلم من خلال خيال حالم أو حتى منذ قرن واحد مضى لا تهمنا بالتحامل أو المبالغة ..

ولكنه واقع أليم ، خير من ينبئك عنه :

هذه المرأة الضحية ...

وهؤلاء « الأنصار » و « الأصدقاء » ...

إن صدقوا !

السياسية في المعركة

معركة سلاحها الأقلام :

رأينا ــ فيما سبق ــ كيف تحولت قضية (تحرير) المرأة المسلمة إلى حملة (سفور) مسعورة ضد الحجاب، وكيف أخذت كلمة (تحرير) مدلول (السفور) برغم أن التحرير في الاسلام يأخذ مدلول الحجاب، فكانت المحجبة هي « الحرة »، والسافرة ــ أي التي تكشف وجهها ــ هي « الأمة »، فكان السفور عنوان العبودية، أما في ظل دعاة التحرير فإن الحجاب عندهم هو عنوان العبودية .

وتابعنا فيما مضى بعض فصول المعركة الفكرية التي انتصر فيها (السفور) على (الحجاب) وكانت ساحة هذه المعركة في الغالب صفحات الصحافة، ثم الكتب والمطبوعات، وقاعات الجامعة، وسائر وسائل الإعلام ..

وقد كانت هذه الوسائل متوافرة في أيدي دعاة السفور، ومن ثَمَّ لم تكن المعركة متكافئة، ولم تكن الحرب عادلة، خاصة إذا انضم إلى ذلك ادعاء السفوريين أن السفور جاء نتيجة طبيعية للتطور الحضاري المرتقب، وأن السفور هو اختيار المرأة ذاتها، ورغبتها الفعلية الحرة من أجل خلاصها من العبودية .

بل لم يبخل السفوريون بأن يخدعوا أنفسهم، أو يخادعوا الإسلاميين بقواعد شرعية صحيحة يحرفونها عن مواضعها، ويستدلون بها لتسويغ باطلهم.

وتطوع علماء السوء بالتزلف ــ تحت ضغط « سيف المعز » و « ذهب المعز » ــ وراحوا ينتزعون من النصوص الشرعية ما يمكن أن يبرروا به للحكام مخالفتهم للشرع، هؤلاء الحكام الذين راحوا يتشدقون بأن (الدين في نظرهم ثقافة ليس إلا)، وأنه (لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين)، هم أنفسهم رحبوا بالدين طالما صلى لهم « رجال الدين » « صلاة الاستسقاء » إذا عطشوا، و « صلاة النصر »

إذا انتصروا، و « صلاة الحاجة » إذا مرضوا، ثم « صلاة الجنازة » إذا ماتوا .

معركة سلاحها البطش :

إذا كانت دعوة « تحرير المرأة » أساساً دعوة استعمارية أسَّسها الاستعمار، وربى دعاتها على موائده، ومكن تلاميذه من نشرها ..

وإذا كان هؤلاء السفوريون سلكوا تلك الأساليب الملتوية في عرض دعوتهم لتزييف الحقيقة والصد عن سبيل الله ..

وإذا كانت أعراض التآمر واضحة في كل خطوة من خطوات حركة تحرير المرأة. . فهل يمكن بعد ذلك أن يدّعى أن المعركة التي انتصر فيها السفور على الحجاب في بلاد المسلمين كانت معركة شريفة حقاً انتصر فيها (السفور) لأنه التطور الحضاري المرتقب كما يزعمون، ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة واختيارها الحر من أجل خلاصها ؟

وإذا كانت فصول المعركة الفكرية بعد أن انتهت بهذا الانتصار الكاذب قد تحولت إلى معركة حقيقية تفرضها سياسة جائرة تحكم أمة مستضعفة مقهورة، وجنود مسلحون أمام نساء عزل، وقوانين إرهابية، وإجراءات تعسفية، ومشانق تعلق، وسجون تعمَّر، ونيران تضرم، فهل يمكن بعد هذا كله القول بأنها كانت معركة شريفة انتصر فيها السفور على الحجاب طبقاً للاختيار الحر للمرأة، وأنها ثمرة من ثمرات « الديمقراطية » المزعومة، أو « الحرية » الأسيرة، أو « التقدم » الرجعي الذي يعيدنا إلى الجاهلية الأولى ؟

والآن ـــ وقبل أن نستأنف عرض تفاصيل المعركة المسلحة ضد الحجاب ـــ دعونا نطالع أولاً هذه السطور المضيئة للإمام المحقق ابن قيم الجوزية وهو يعدد واجبات أولى الأمر :

مسئولية الحاكم المسلم :

قال رحمه الله[٣٤١] : (ومن ذلك : أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال.

قال مالك رحمه الله ورضي عنه : « أرى للإمام أن يتقدم إلى الصناع في قعود النساء إليهم، وأرى أن لا يترك المرأة الشابة تجلس إلى الصناع، فأما المرأة المتجالة، والخادم الدون التي لا تتهم على القعود، ولا يتهم من تقعد عنده : فإني لا أرى بذلك بأساً » انتهى.

فالإمام مسئول عن ذلك، والفتنة به عظيمة، قال ﷺ : « ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[٣٤٢]، وفي حديث آخر أنه قال للنساء : « لكُنَّ حافات الطريق »[٣٤٣]، ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك.

وإن رأى ولي الأمر أنَّ يفسد على المرأة ـــ إذا تجملت وتزينت وخرجت ـــ ثيابها بحبر ونحوه، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها ـــ ولا سيما إذا خرجت متجملة ـــ بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله سائلٌ وليَّ الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي

---

(٣٤١) « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » ص(٢٨٠ ـــ ٢٨١).

(٣٤٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أسامة رضي الله عنه.

(٣٤٣) أخرجه أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري بلفظ : (ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق : وفي سنده مجهول، لكن له شاهد حسن من حديث أبي هريرة بلفظ : (ليس للنساء وسط الطريق) رواه ابن حبان وغيره، فيتقوى به (صحيح الجامع ٥ / ٩٨)، وتحقيق « شرح السنة » (٣٢٢/١٢).

في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق(٣٤٤)، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

وقال الخلال في جامعه: أخبرني محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبي عبد الله: أرى الرجل السوء مع المرأة؟ قال: صِحْ به، وقد أخبر النبي ﷺ: « أن المرأة إذا تطيبت، وخرجت من بيتها فهي زانية »(٣٤٥).

ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة في المسجد(٣٤٦)، فقد قال النبي ﷺ: « المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان »(٣٤٧).

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصلُ كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة) اهـ.

فهذه نبذة يسيرة مما ينبغي أن يكون عليه الحاكم المسلم، وأن سلطته ــ بقوة الشرع الذي يجعل طاعته جزءاً من الدين ــ تمتد إلى هذه الحدود الواسعة ردعاً للفسقة ومشيعي الفاحشة، ومراعاة لقوله ﷺ: « كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع وهو مسئول عن رعيته » الحديث(٣٤٨).

---

(٣٤٤) وقد روى أنه رضي الله عنه رأى رجلاً وامرأة يتكلمان في الطريق ــ وقد تكون زوجته أو من محارمه ــ فعلاهما بالدرة، وقال: (ما وجدتما مكاناً غير هذا تتكلمان فيه؟) فأين أنت يا عمر وأين درتك؟ ما أحوجنا إليكما الآن!.

(٣٤٥) أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي والحاكم والإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية) وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي.

(٣٤٦) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) أخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحهما، وأصحاب السنن، وغيرهم.

(٣٤٧) رواه البزار والترمذي والطبري في الكبير، وصححه الألباني (إرواء الغليل ٣٠٣/١) رقم (٢٧٣).

(٣٤٨) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾الآية، الأنعام (١٢٣).

وهذا ما جرى من « أكابر مجرمي » قُرانا حيث تمكن منها تلامذة الاستعمار الأمناء على عهده، الحافظون لمآربه، وهم قوم صغار النفوس لا يقف استهتارهم وعنادهم للشرع عند حد، والأمة إذا أسندت أمرها إلى صغار النفوس كبرت رذائلهم لا نفوسهم، وإذا حكم الفاسق فقد حكم الفسق.

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع
وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات[٣٤٩] مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ».

قال الأستاذ محمد أديب كلكل[٣٥٠] مشيراً إلى فوائد هذا الحديث : (وفيه ربط بين الاستبداد السياسي « قوم معهم سياط »، والانحلال الخلقي « ونساء كاسيات عاريات »، وهذا ما يصدقه الواقع، فإن المستبدين من الطغاة والمتسلطين من الفراعنة يشغلون الشعوب عادة بما يقوي الشهوات، ويزينها، ويلهي الناس بالمتاع الشخصي عن مراقبة القضايا العامة، لكي يبقوا سادرين في غفلاتهم، غارقين في شهواتهم، لا يهتمون

(٣٤٩) قال الإمام ابن الأثير الجزري رحمه الله : (« مائلات مميلات » مائلات : أي زائغات عن طاعة الله، وعما يلزمهن من حفظ الفروج، ومميلات : يُعَلِّمْنَ غيرهن الدخول في مثل فعلهن) اهـ محل الغرض منه (جامع الأصول ٧٨٩/١١).

وقال الشيخ إسماعيل حقي في تفسير قوله (مميلات) : (أي قلوب الرجال إلى الفساد بهن، أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات، أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن) اهـ من (روح البيان) (١٧٠/٧) ــ وانظر هامش « المجموع »للنووي (٣٠٧/٤).

(٣٥٠) في كتابه (حكم النظر في الإسلام) ص (١٣٤).

بطغيان ، ولا يسألون عن إنحراف ، ولا يقاومون ظلماً ولا عدواناً) اهـ بمعناه .

أجل ! لقد تطرف هؤلاء « الأكابر » في انجذابهم إلى طريق الشيطان حتى خرجوا من الدائرة بالكلية ، وصاروا هم في الحقيقة الرجعيين المتطرفين الداعين إلى الرجعية الجاهلية المظلمة قبل بزوغ فجر الإسلام .

ومن عجيب أمرهم أنه إذا أنكر عليهم منكر فتحهم باب الطعن في أحكام الإسلام احتجوا بأن هذه أمور تخضع للحرية الشخصية ، وأنه لابد من التزام مبدأ حرية الرأى والسلوك ، أفلا يحتجون بحرية الرأى والسلوك في حق من يكفر بنظمهم « الأساسية » ، ويطعن في مناهجهم العلمانية ؟ أم أنهم يغارون على دنياهم ، ويستكثرون منا أن نغار على ديننا ؟

يقاد للسجن من سب الزعيم ومن سَبَّ الإله فإن الناس أحرارُ

عـود عـلى بـدء

والآن نعرض فصولاً من المعركة التي دارت بين الحجاب والسفور في بعض البقاع الإسلامية، وقد تحولت من معركة فكرية سلاحها القلم والتضليل إلى معركة حقيقية سلاحها البطش والإرهاب والتنكيل.

١ ــ في تركيا :

(شرع أتاتورك ــ عليه من الله ما يستحقه ــ قانونه لنزع حجاب المرأة المسلمة، وراقب تنفيذه، وعاقب مخالفيه، وشنق معارضيه)[٣٥١] .

وقال في تسويغ حربه على الحجاب:

« لقد رأيت كثيرات من أخواتنا يغطين وجوههن إذا ما رأين غريباً يتقدم نحوهن، ومن المؤكد أنَّ هذا الغطاء يضايقهن كثيراً في الحر »[٣٥٢] اهـ.

وقام عام (١٩٢٥) بإجبار تركيا بأكملها ــ وليس المرأة فقط ــ على هجر الإسلام، كلية حتى الحرف الذي تكتب به اللغة التركية متشابهاً مع لغة القرآن، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة في الطرقات حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة)،[٣٥٣] وهكذا كان نزع الحجاب خطوة

---

(٣٥١) (المرأة المسلمة) لوهبي غاوجي الألباني ص (١٨٩).

(٣٥٢) « مصطفى كمال أتاتورك » إعداد « لجنة الرواد والمشاهير » بإشراف الدكتور رءوف سلامة موسى ص (٩٦).

(٣٥٣) (في مسألة السفور والحجاب) لصافي ناز كاظم ص (٩).

ضمن خطة علمانية شاملة لإزالة كل أثر للإسلام في تركيا مركز الخلافة العثمانية[٣٥٤]، ويصور الأستاذ أحمد حسن الزيات بعض ملامح هذه الخطة فيقول:

(وألزموا التركي المسلم بلبس القبعة، وأرغموه أن يكتب من الشمال، وفصلوا الدين عن الدولة، وانتزعواالعربية من التركية، وألغوا العيدين، واستبدلوا بعيد الجمعة عيد الأحد، وعطلوا الصلاة بمسجد أيا صوفيا، وأسكتوا المؤذنين، وأبعدوا المصلين، فلا يمرون عليه إلا باكين مستعبرين، وحولوه إلى متحف وبيت للأوثان، وطمست منه آيات القرآن، وأظهرت فيه الصور والأوثان ــ وكأن أتاتورك وأشياعه قد نقلوا أمتهم المروعة المشدوهة على المدرعات إلى الشاطىء الأوربي، ثم أحرقوا من ورائها سفائن طارق)[٣٥٥].

(أجل! لقد حولوا جامع « أيا صوفيا » وهو مسجد الأستانة الكبير كنيسة بمنع الصلاة فيه، ومَحْوِ ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث، والكشف عما ستره المسلمون الفاتحون من الصور التي زعمها النصارى للملائكة، ومن يسمونهم القديسين، والصلبانِ ونحوها من نقوش نصرانية)[٣٥٦].

وفي هذا قال حافظ:

« أيا صوفيا » حان التفرق فاذكرى عهود كرام فيك صلوا وسلموا
إذا عدت يوماً للصليب وأهله وحلى نواحيك المسيح ومريم
ودقت نواقيس وقام مزمر من الروم في محرابه يترنم
فلا تنكري عهد المآذن إنه على الله من عهد النواقيس أكرم[٣٥٧]

---

(٣٥٤) ومن الجدير بالذكر أن زوجة أتاتورك رفضت الاستجابة لطلب زوجها حينما راودها على كشف وجهها ورأسها، وأمرها بالتخلي عن الحجاب، وأصرت على لزوم الحجاب، حتى كان هذا الأمر أحد أسباب طلبها الطلاق منه.

(٣٥٥) مستفاد من (الرسالة) العدد ٨٨ السنة الثالثة ٦ ذي الحجة ١٣٥٣هـ، ١١ مارس ١٩٣٥م.

(٣٥٦) مجلة « الإسلام » ــ ١٧ جمادي الأولى ١٣٥٤هـ ــ ١٦ أغسطس ١٩٣٥م ــ ص (٤٤).

(٣٥٧) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (٢/٢٠ ــ ٢١).

(ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة في ٣ مارس عام ١٩٢٤ من دون مناقشة بالجمعية الوطنية، وصدر قانون يحكم بالإعدام على من يتآمر على عودتها[٣٥٨] ...

وفي نفس العام (١٩٢٤) صدر قانون بإلغاء التعليم الديني، وجعل التعليم مدنياً فقط، ثم ألغيت المحاكم الشرعية، وأصبحت التركية هي لغة البلاد، وأنقرة هي عاصمتها.

وكان أتاتورك يجوب تركيا لابساً قبعة من القش، وكان يثور كلما رأى رجلًا يلبس الطربوش، وقد أثار أزمة مع سفير مصر في أنقرة، إذ صرخ فيه في إحدى الحفلات: « قل للملك إني لا أحب هذا اللباس ».

وفي عام (١٩٢٦) ألغى الزواج الشرعي، وجعله مدنياً، وألزم توثيقه أمام موظفي الدولة، وقد أمر أتاتورك الأتراك بالتوقف عن إلقاء السلام بالفم، ونصحهم بأن تكون تحيتهم بالمصافحة باليد، وحرم ارتداء الملابس الدينية لغير رجال الدين، ثم ألغى الحريم، وأصدر قانوناً بإلغاء الحجاب للمرأة، ومنع تعدد الزوجات، وأدخل التعليم المختلط ... واستبدل بالقانون المدني التركي القانون السويسري، وأوقف التقويم الهجري، وأمر باستخدام التقويم الميلادي، وجعل العطلة الأسبوعية في أنحاء تركيا يوم الأحد من كل أسبوع)[٣٥٩].

وهذه صحيفة « السياسة الأسبوعية »[٣٦٠] تكتب مقالاً عن (فتاة تركيا ١٩٢٦) تصف فيه باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضاً عاماً، في رحلة على

---

(٣٥٨) (جاء في دائرة المعارف الماسونية ص (١٦٢) ما نصه:
« إن الانقلاب الذي قام به الأخ « مصطفى كمال أتاتورك » أفاد الأمة « الماسونية » فقد أبطل السلطنة، وألغى الخلافة الإسلامية، وأبطل المحاكم الشرعية، وأبعد دين الإسلام عن الحياة »)، وانظر « محاضرات الجامعة الإسلامية » عام (١٣٩٥م — ١٣٩٦هـ) ص (١٣٢).

(٣٥٩) انظر « مصطفى كمال أتاتورك » د. رؤف سلامة موسى ص (٩٣ : ٩٦).

(٣٦٠) « السياسة » الأسبوعية — عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م.

نفقة الحكومة، تنتقل فيها بين موانيء أوربا الشهيرة، فتقول إن هذه الباخرة كانت تقل (خمساً وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة، كلهن جميلات مقصوصات الشعور، لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لندرة وباريس)، ويقول المراسل : « إن أكثر الفتيات يتكلمن الإنجليزية بإتقان يدعو إلى الدهشة، وإن بعضهن قد تلقى العلم في الكلية الأمريكية في القسطنطينية »، ويروى بعض ما صرحت به الفتيات، من مثل قول إحداهن في بعض الموانى الإنجليزية : (إن المرأة التركية اليوم حرة، فلن تسير إلى الطرقات في ظلام، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوربية والأمريكية، ونرقص وندخن ونسافر وننتقل بغير أزواجنا)، ومن مثل تصريح أخرى بأن (معيشتهن على ظهر الباخرة معيشة سرور وصفاء لا يوصف، فكلهن يرقص، وبعد العشاء يبدأ الرقص من « تانجو » و « فوكس تروت »، وقد تعلمت ذلك في المدرسة)، ويعلق مراسل الصحيفة على ذلك الوصف بقوله: (إن هذا من أظهر الآثار التي تدل على تقدم المرأة التركية ومجاراتها لأختهاالغربية في ميدان العمل والجهاد الفكري والاقتصادي، ولا يسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على هذه الخطوات) اهـ.

وهذه هي صحيفة (المقتطف) تكتب مقالاً عن (الأحوال في تركيا المعاصرة)[٣٦١]، تشيد فيه بمصطفى كمال أتاتورك، وتقرنه بواشنجتن، زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر، وهي تثنى على صنيعه في فصل الدولة عن الدين، واعتباره الدين (أمراً شخصياً بين المرء وخالقه)، ثم تشيد الصحيفة بالتطور الاجتماعي الذي طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكهن في المجتمعات مع الرجال، ومشاركتهن الشبان في الدراسات الجامعية، وإنشاء صحيفة تدافع عن حقوقهن، ويشير الكاتب بإعجاب إلى ما أنشيء من الدور المختلطة التي تضم الشباب من الجنسين ليمارسوا الرياضة، ويروى الكاتب

(٣٦١) المقتطف عدد أبريل (نيسان) ١٩٢٦ (ص ٤١٠ — ٤١٣).

بلهجة الاستحسان (طلب بعض النابغات منهن ان يسمح لهن بإلقاء خطب في الجوامع كل أسبوع، في تدبير المنزل وما أشبهه من الموضوعات) ا هـ.

لقد كان أتاتورك يجعل من رذائل الأوروبيين فضائل لهم على رغم أنفهم، يتبرءون منها، ويلحقها هو بقومه .. إنه لم يحكم على شبر من أوربة بجعله تركياً، ولكنه جعل رذائل أوربة تتجنس بالجنسية التركية.

المثل الأعلى للفراعنة :

ولعل سيرة أتاتورك تفسر لنا لماذا يصر طواغيت اليوم على اتخاذه أسوة وقدوة، حتى لقد افتخر « فرعون مصر » الملقب بـ « أنور اليهود » يوماً بان مثله الأعلى هو « أتاتورك »، (وكأنه لم يكفه أن زعيم الترك بعد أن أرغم قومه على إلغاء الحروف العربية بغضاً في العرب ودينهم، وحملهم على لبس القبعة فأحَسُّوها ذِلة تطأطأ لها الرءوس، وعاراً تذل له النفوس، وحاول بعض المتقين نبذها فقطعت رءوسهم، وأراد بعض الغيورين استهجانها فشلت ألسنتهم، ولم يكفه أن « أتاتورك » رمي بالمصحف ساخراً وقال لعنة الله عليه : « لا تفلحوا مادام هذا الكتاب البالي أمامكم »، وكان يأمر فيترجم له بعض آياته لنقدها والسخرية بها.

وقال في حديث مع (المس جريس أليسون) :

« إنك تتحدثين عن الدين، ألا فاعلمي أني رجل لا دين له، وكثيراً ما وددت لو كان في وسعي أن أقذف بجميع الأديان إلى البحر ! إن الحاكم الذي يشعر بحاجته إلى الدين ليدعم به حكومته لهو أخرق الرأى ضعيف السلطان، يحاول اصطياد الرعية بالحبال الواهية، أما الشعب التركي فسيتعلم مبادىء الديمقراطية الصحيحة، ويرضع لبان العلوم الحقة، وسنضرب الخرافات بيد من حديد، ثم ندع للناس حرية الاعتقاد ليعبدوا ما يشاءون ».

وقرر أن لا يدرس الفقه الإسلامي في جامعة استمبول الجديدة، لأنه يعتقد أن التخصص في العلوم الدينية لا يطابق حالة العصر)[٣٦٢].

(وتبنى القانون المدني السويسري، وقانون الجرائم الإيطالي، وأمر بتحريق مصادر الفقه الإسلامي، ثم اضطهد علماء المسلمين أبشع اضطهاد، وقتل منهم العشرات، وعلق جثثهم على أعواد الشجر بأقمشة عمائمهم.

لقد أحياهم في التاريخ، أما هم فقتلوه في التاريخ، وجاءهم بالرحمة من جميع المسلمين، أما هم فجاءوه باللعنة من المسلمين جميعاً)[٣٦٣].

وجاء في جريدة « المسلمون » الدولية ـــ العدد الثالث والثلاثون ـــ السبت (٧ ـــ ١٣ المحرم ١٤٠٦هـ) الموافق (٢١ ـــ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥م) تحت عنوان: (الدكتورة « نبهة » هل تخلع الحجاب بالقوة في تركيا ؟) :

(الدكتورة « نبهة كورو » اسم تردده وكالات الأنباء العالمية حالياً أستاذة مساعدة في جامعة إيجه في أزمير، مشكلتها أنها تعرضت للاضطهاد بسبب ارتدائها الحجاب، وإصرار السلطات على أن تخلعه.

قصتها بدأت في منتصف العام الماضي، عقب عودتها من الولايات المتحدة بعد حصولها على درجة الدكتوراة في الطاقة الشمسية، وجدت أن الحكم العسكري الذي كان مسيطراً على مقاليد الحكم في تركيا في ذلك الوقت، قد سيطر على الجامعات من خلال تنظيم مجلس التعليم العالي، وأسند رئاسة المجلس إلى « إحسان دوجرماس » وهو أستاذ تلقى تعليمه في الولايات المتحدة، وقام بعد رئاسته للمجلس بشن حملة فصل تعسفي، شملت أكثر من ألفي عضو هيئة تدريس بحجة مخالفة القوانين.

---

(٣٦٢) مجلة « الإسلام » ١٧ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ ـــ ص (٤٣ ـــ ٤٤) ـــ ومما يذكر أن الطاغية « جمال عبد الناصر » كان هو أيضاً يفاخر في مناسبات عديدة بأن مثله الأعلى هو « أتاتورك ».

(٣٦٣) مجلة « الجامعة الإسلامية » عام ١٣٩٥ ـــ ١٣٩٦هـ ص (١٣٣).

حرصت الدكتورة « نبهة » على ارتداء الحجاب أثناء إلقاء محاضراتها بجامعة أزمير ، وسرعان ما بدأ الصدام ، حيث بدأ الأستاذ دوجرماس ــ مفوض الحاكم العسكري على الجامعات ــ حملة مضايقات ضدها ، وكان الإنذار الأول بألا ترتدي غطاء الرأس أثناء وجودها في الجامعة ، والإنذار الثاني من السلطات الرسمية يتضمن طلباً رسمياً بخلع الحجاب .

ورفضت الدكتورة « نبهة » خلع الحجاب ، وكان ذلك بمثابة تحدٍّ وعصيان على سلطة « دوجرماس » المطلقة على التعليم العالي في تركيا ، وأحيلت إلى المحاكمة ، ورفضت أن يدافع عنها أحد ، ووقفت لمدة ساعة تترافع عن نفسها ، ولم تستشهد إلا بنصوص القانون العَلماني الذي يريدون أن يحاكموها طبقاً له ، واستحوذ أسلوبها على اهتمام الناس ، وهي تطالب بإلغاء الحكم الصادر ضدها بخلع الحجاب ، ولم تكتف بالدفاع عن الحجاب بل كشفت أيضاً تفاصيل المعاملة غير العادلة التي تقوم بها سلطات الجامعة .

وقد أعلنت المحكمة تأجيل القضية للحكم ، وبعد شهرين من التأجيل أصدرت المحكمة العليا حكماً جاء في حيثياته : « رغم أن مواد الدستور تنص على حماية الحرية الدينية لكل مواطن ، إلا أن هناك مبادىء عليا في الدولة هي المبادىء الكمالية ــ نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك ــ وإن إصرار الدكتورة « نبهة » على ارتداء الحجاب ضد روح الدستور » .

والدكتورة نبهة تقدمت بطعن إلى المحكمة العليا ، لم ينظر حتى الآن ، ومنعت من ممارسة التدريس ، ومازالت في الانتظار تبحث عن جواب ... من يملك الحق في تحريم الحجاب ؟)

دعاة « حقوق الإنسان » ضد الحجاب

أعرب « معمر إكسوى » أحد الموقعين على التماس إلى الرئيس التركي لإعطاء مزيد من الحريات للشعب عن رأيه بضرورة صياغة قانون لمنع ارتداء الحجاب في المؤسسات والهيئات الحكومية.

كما وجهت « توريكان أديكان » رئيسة منظمة الدفاع عن حقوق المرأة وعضو البرلمان، اللوم إلى زوجات أعضاء البرلمان اللائي حضرن حفل افتتاح جلساته وهن يرتدين الحجاب، وتقول: إنه لا يجب التسامح في ارتداء السيدات للحجاب، وجدير بالذكر أن « معمر » و « توريكان » من كبار الدعاة لحقوق الإنسان(*) في تركيا.

وطبقاً للقانون العلماني في تركيا يعاقب كل من يكتب في الصحف، أو يشير في وسائل الإعلام الأخرى عن الشريعة الإسلامية أو الحجاب، بالسجن لمدة تصل إلى سبع سنوات، والتهديد بالإغلاق.

ورغم ذلك هناك أصوات إسلامية قوية تقف ضد التيار العلماني، الذي يطالب بمنع الحجاب، فهناك الكاتبة الإسلامية « سولي يوكسل سينلر » التي تعرضت للسجن أكثر من مرة، وتعيش في أحد الأحياء الفقيرة في أنقرة، واكتسبت شهرة كبيرة بين أوساط النساء بدعوتها إلى الحجاب، عندما ظهر أول مقال لها في صحيفة الاستقلال في عام ١٩٦٧، تحت عنوان (خطاب إلى المرأة المسلمة)، وبدأت تجذب انتباه عشرات الآلاف في تركيا، تم القبض عليها، وحكم عليها بالسجن عامين.

وفي عام ١٩٧٢ تأسس حزب « السلامة » الإسلامي بزعامة « نجم الدين أربا كان »، وحاز على تأييد قوى في انتخابات عام ١٩٧٣، بعد ستة أشهر فقط من

(*) إنما ذكرت هنا من باب إلزامهم بما ألزموا أنفسهم به ألا وهو احترام الحرية الشخصية، والفكرية، وهذا الإلزام هو من باب « ورهبانية إبتدعوها » الآية، وإلا فإن مايسمى بـ « إعلان حقوق الإنسان » يتضمن مخالفات صريحة للشرع الإسلامي، ومصادمات واضحة لمقاصده العليا مما لايتسع المجال لبسطه.

تأسيسه، وبدأ الحزب حملة نضال من أجل حقوق المرأة المحجبة، ولكن رئيس الحزب فوجىء باتهام موجه له بأنه يعمل على محاولة إقامة دولة دينية، ويواجه الآن حكماً بالسجن لمدة عامين.

وقد وصل عدد الطالبات اللاني تم فصلهن من جامعة أنقرة بسبب ارتدائهن الحجاب إلى مائة طالبة، ومن بين حالات الطالبات اللاتي تم فصلهن الطالبة « ايس نورمان » التي كانت على أبواب التخرج من كلية الطب في جامعة أنقرة، وكان تخرجها بعد خمسة أشهر، إلا أن الجامعة خيرتها بين خلع الحجاب وبين الفصل من الجامعة و « هدم مستقبلها » !. وفضلت الطالبة الفصل من الجامعة على ألا تخلع الحجاب، وقالت : « أنها لا تشعر بالأسف على هذا الاختيار، وإنها لن تتخلى عن موقفها وتخلع الحجاب ».

والطالبة « ربيعة ألماظ » من كلية الطب في اسطنبول، كان مفروضاً أن تلقي خطاباً في حفل التخرج باعتبارها أولى الخريجات، ولكن سلطات الجامعة منعتها من إلقاء الخطاب لأنها ترتدي الحجاب.

ومن الحوادث المؤلمة في تاريخ جامعة أنقرة حادث « هايتس باباكان »، والمعروف باسم حادث جامعة أنقرة في أواخر الستينات، كانت « هايتس » تدرس الأديان في جامعة أنقرة، ورفضت خلع الحجاب، وكانت حالة لم يسبق لها مثيل في كلية دراسة الأديان، وفي محاضرة عن مقارنة الأديان قام الأستاذ « نيست كاجاتي » بطرد « هايتس » من قاعة المحاضرات بعد إهانتها بألفاظ غير لائقة لأنها ترتدي الحجاب، وقام مجلس الكلية بفصلها، وهنا وقع انقسام وتمرد بين الطلاب، وقاطعوا الدراسة، وأعلنوا الإضراب عن الطعام تضامناً مع زميلتهم، وتم إغلاق الكلية لمدة ستة أشهر.

وتقول « هايتس » وهي تتحدث اليوم عن هذه الذكريات : (إن عميد الكلية « حسين غازي » استدعاني إلى مكتبه، وقال لي : « إنني أعلم أنك تغطين رأسك

وجسمك لأنك غير قادرة على التحكم في غريزتك الجنسية، ولأنك شاذة جنسياً فيجب أن تخجلي من نفسك ».

وتضيف « هايتس » : (لقد كان يغشى على عند سماعي هذا الكلام من أستاذ جامعي ، وبدءوا في محاصرتي، وحاولوا إشاعة أنني مريضة نفسانياً، ونصحني البعض بالحصول على شهادة طبية تثبت صحة قواي العقلية للرد على هذه الشائعات) .

وفي عام ١٩٦٨ أصدرت حكومة « سليمان ديميريل » قانوناً يحظر على المدرسات المسلمات ارتداء الحجاب في العمل، وتم فصل عدد كبير منهن، واضطرت أعداد كبيرة إلى الاستقالة، ولجأ بعضهن إلى القضاء، ولكنه لم ينصفهن .

المحاميات ممنوعات من الحجاب :

ولم تنج مهنة المحاماة من الاضطهاد، فتم منع « أمينة إيكينار » ـــ وهي محامية مسلمة ـــ من المرافعة في المحكمة مرتدية الحجاب، ورفعت المحامية قضية ضد الحكومة كانت نتيجتها الخسارة، واضطرت إلى ترك المحاماة، والتزام منزلها.

يتغير الموقف تدريجياً الآن، فهناك أربع مجلات إسلامية توزع نحو ١٠٠ ألف نسخة أسبوعياً، والحكومة التركية بدأت تطالب بالتخفيف من القوانين العلمانية خاصة فيما يتعلق بحجاب المرأة المسلمة .

أصدرت المحكمة العسكرية التركية حكماً على الكاتبة التركية المسلمة « أمينة سينليكوجلو » بالسجن ست سنوات، والنفي داخل البلاد لمدة سنتين بحجة انتهاك قوانين الدولة العلمانية، وكانت الكاتبة التركية قد وضعت كتاباً عن مستقبل الإسلام بين النشء في تركيا الحديثة وهي متزوجة وأم لطفل واحد).

٢ ــ في إيــران[٣٦٤] :

في عام ١٩٢٦ عندما نصَّب الإنجليز الكولونيل « رضا بهلوي » شاه إيران مؤسساً للأسرة البهلوية ألغى من فوره الحجاب الشرعي ، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسها في احتفال رسمي ، ثم أصدر أوامره إلى الشرطة بمضايقة النساء اللواتي رفضن الاقتداء بملكتهن وخرجن محجبات ، فما كانت امرأة تخرج من بيتها محجبة إلا وعادت إليه سافرة ، فقد كانت الشرطة تنزع حجابها غصباً ، وتستولي على عباءتها ، وتهين صاحبتها مااستطاعت إلى الإهانة سبيلاً ، وحُظِرَ على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب ودخول مدارسهن به ، ومنع أى ضابط من ضباط الجيش من الظهور في الأماكن العامة أو في الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به ، وقد كان « رضا خان » صديقاً حميماً لكمال أتاتورك ، وكان يحرص دوماً على تقليده ، واقتفاء خطاه ، وبالفعل كان « رضا بهلوى » في حربه للإسلام صورة طبق الأصل عن أتاتورك .

وعندما سئل ذلك الشاه عن سبب ضغطه على النسوة في نزع الحجاب ، مع أن عجلة التاريخ قد تضمن له تحقيق أهدافه أجاب : (لقد نفد صبري ، إلى متى أرى بلادى وقد ملئت بالغربان السود ؟!) اهـ .

٣ ــ وفي أفغانستان :

تولت السلطة نزع حجاب المرأة بقانون ، وذلك في عهد « محمد أمان » .

---

(٣٦٤) انظر (وجاء دور المجوس) للدكتور محمد عبد الله الغريب ص (٩١ ــ٩٢) ، و (في مسألة السفور والحجاب) لصافي ناز كاظم ص (٩) ، واعلم أن « إيران الشيعة » لا تدرج بالمقياس الإسلامي الصحيح ضمن البلاد الإسلامية إلا بإعتبار وجود أقلية سنية فيها ، وإلا فإن شيعة إيران الروافض أبعد ما يكونون عن أصول وفروع الإسلام كما يعلمه من له مسكة من علم أو معاشرة لهم ، والله تعالى أعلم .

٤ ــ في ألبانيا :

حارب « أحمد زوغو » الحجاب بقانون ، ثم عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية ، ثم عاد « أنور خوجا » مرة ثانية وشن حرباً شعواء على الحجاب في ألبانيا .

٥ ــ في روسيا :

حاربت روسيا الحجاب في تركستان والقوقاز والتشن والقرم ، وسائر ما تحتل من بلاد المسلمين ، وهم يبلغون ستين مليوناً .

٦ ــ في يوغوسلافيا :

وكذلك فعل « تيتو » في يوغوسلافيا)[٣٦٥] .

٧ ــ في الجزائر :

سرق « أحمد بن بيلا » الثورة الإسلامية ، وحولها إلى ثورة اشتراكية بعيدة عن الإسلام ، مناوئة له ، ودعا المرأة الجزائرية إلى خلع الحجاب بحجة عجيبة حين قال : « إن المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي لأن فرنسا هي التي كانت تدعوها إلى ذلك ! أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر » .[*]

---

(٣٦٥) (المرأة المسلمة) لوهبي الألباني ص (١٧٩ ــ ١٩٠) .

(*) (واقعنا المعاصر) للأستاذ « محمد قطب » ص(٢٦٠) ، ويقال إن « بن بيلا » عاد إلى الإسلام بعد حبسه .

٨ ـــ في تونس :

(نادى « بورقيبة » بتخليص المرأة من قيود الدين، وجعلِها رسولاً لمبادئه العلمانية)[٣٦٦]، (وفي حديث « للحبيب بورقيبة » بأهرام ١٩٧٥/١٢/٢٠م صرح الرئيس التونسى بأنه أصدر في سنة ١٩٥٦م قانوناً بمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة، وغرامة مالية «٢٤٠» ديناراً)[٣٦٧]اهـ.

٩ ـــ في الصومال :

(شددت حكومة « سياد بري » حملتها ضد الإسلام في الصومال، وقد طردت مؤخراً كل طالبة ترتدي الزي الإسلامي من المدارس، كما ألغت تفسير القرآن الكريم من المناهج، وتقوم بطرد الطلاب الذين يقبض عليهم وهم يؤدون الصلاة أو يقرؤون القرآن الكريم من المدارس)[٣٦٨].

١٠ ـــ في ماليزيا :

جاء في (أخبار اليوم) تاريخ السبت (٧ محرم ١٤٠٦هـ) الموافق (١٩٨٥/٩/٢١م) : (أصدرت الجامعة التكنولوجية في ماليزيا قراراً بإيقاف تسع طالبات عن الدراسة بحجة إرتدائهن الحجاب الذي تمنعه وزارة التعليم الماليزية، وذكر مسئول كبير في الجامعة أن قرار إيقاف الطالبات سيظل سارياً مادام هؤلاء الطالبات يرتدين الحجاب) اهـ.

---

(٣٦٦) (المرأة ومكانتها في الإسلام) لأحمد عبد العزيز الحصين ص (٢٢٥)، وانظر : (محاضرات الجامعة الإسلامية) الموسم الثقافي (١٣٩٥ ـــ ١٣٩٦هـ)ص (١٢٦).

(٣٦٧) (أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي) هامش ص (٨٩)، وجاء فيه أيضاً : (وفي مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط متلبساً بجريمة الزواج بثانية، ولم يخل سبيله إلا بعد أن قرر أن هذه الثانية خليلة وليست زوجة) اهـ، ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾.

(٣٦٨) (المرأة ومكانتها في الإسلام) للحصين ص (٦٢).

١١ ــ في مصــر :

وضع عبد الناصر وزبانيته كتاب (الميثاق) متأسياً في ذلك بإمامه الأول جنكيز خان حيث وضع الأخير كتابه « الياسق »(٣٦٩) ليصد به الناس عن القرآن، وكان مما جاء بصدد المرأة في « الميثاق » : (المرأة تتساوي بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك الرجل بعمق وإيجابية في صنع الحياة) اهـ، وبوحي من هذه الفلسفة العلمانية المادية اتخذت إجراءات وخطوات حاسمة في هذا الصدد، وصدرت قوانين تقضى :

ــ بفرض ثلاثين نائبة على الأقل في مجلس الشعب.

ــ بفرض خمسة وعشرين بالمائة من النساء على الأقل في عضوية جميع المجالس الشعبية والمحلية.

ــ بجعل الانتخاب والتصويت إجبارياً على كل أنثى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها، مع كونهما ليسا إجباريين على الرجل.

وأخيراً صدر قانون تعديل أحكام قوانين الأحوال الشخصية الذى خططوا له طويلاً، وتحقق أمل « مرقص فهمي »، و « قاسم أمين ».

(٣٦٩) انظر « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » لمحدث الديار المصرية العلامة أحمد شاكر رحمة الله (٤/١٧١ ــ ١٧٤).

الحركة النسائية
في ظل النظام الجمهـوري(*)

[ظهرت الحركة النسائية في ظل الحكم الجمهوري، بمظهر يغاير نظيره في العهد الملكي، فبينما كانت المرأة تطالب أو تُحَرَّض على المطالبة بما أسمته « حقوقها » منذ بدأت حركتها حتى منتصف القرن العشرين، سارعت حكومات العهد الجمهوري باستقطاب المرأة والاستفادة منها في حقل الإنتاج، هذا من ناحية، أما الجانب الآخر فقد بات واضحاً أن أهم المسائل التي تشغل الحكومة قِبَل المرأة تنحصر في شيئين هامين هما : حق العمل للمرأة، وهذا الحق مؤدٍّ بالضرورة لحق آخر وهو التمثيل النيابي، والمشاركة في حل القضايا الاجتماعية، ومِنْ ثَمَّ لم تعد المرأة هذا المخلوق الضعيف الذي يطالب، بل صارت المخلوق القوي الذي يمنح، ويعطي كل ما يمنحه ويعطيه الرجل تماماً .

وهذا الرأى بالضرورة لا يتناقض مع فشل حركة المرأة عند قيامها بأعنف مظاهرة لها في تاريخها الحديث في ١٢ مارس ١٩٥٤ م أي في بداية العهد الجمهوري، لأن اللاتى قمن بهذه المظاهرة كن يَنْتَمِين للعهد السابق (الملكي) ، ويرتبطن به ثقافياً وسياسياً واجتماعياً، ولا يرتبطن بأوهي رباط بالعهد الجديد وقيمه، وإن بدا في الأفق ــ وقتها ــ أن الحكومة الجمهورية راضية عن هذا العمل رضاء تاماً حينما أعلن اللواء « محمد نجيب » رئيس الجمهورية الاستعداد للاستجابة لهن، وأن حقوقهن في أيدي أمينة، وأنه سيشكل لجنة مختصة للنظر في تكوين الجمعية التأسيسية للنظر في مطالبهن، وكان ذلك في ٢١ مارس ١٩٥٤م .

وبعد ذلك اختفت الحركة التي تزعمتها « درية شفيق » ، واختفت معها زعيمتها، ولم تعد للظهور أبداً حتى فاجأ الطاغوت « جمال عبد الناصر » ، خَلَفَ « محمد

(*) من «المؤامرة على المرأة المسلمة» للدكتور السيد أحمد فرج ص (٢٢٥) باختصار وتصرف .

نجيب » الناس في يوم (١٦ يناير ١٩٥٧) بخطاب أعلن فيه منح المرأة لأول مرة حقوقها السياسية، (لأن الحقوق التي اكتسبها الشعب بالثورة باشرتها المرأة أيضاً، كما باشرها الرجل، فقد وقفت المرأة مع الرجل جنباً إلى جنب طوال كفاحه المرير، واستشهدت بعض نسائنا في سبيل الكفاح المشترك من أجل الحرية والحياة، وكما كافحت المرأة من أجل الحصول على حق الشعب، فمن حقها أن تسترد حقوقها كاملة)[٣٧٠].

وكان دستور (١٩٥٦) قد نص على (أن الانتخاب حق للمصريين على الوجه المبين في القانون، وأن مساهمتهم في الحياة العامة واجب وطني عليهم)[٣٧١]، فجاء خطاب الطاغية بمثابة البيان لهذا النص، الذي تأكد عملياً في العام نفسه في أول انتخابات تجرى في العهد الجمهوري عام (١٩٥٧)، إذ انْتُخِبَت سيدتان لمجلس الأمة هما: « أمينة شكرى » في الإسكندرية، و « راوية عطية » في حي الجيزة.

ثم كان أكبر دفعة لتحرير المرأة ماجاء في (الميثاق الوطني) سنة ١٩٦٢ لينص على أن (المرأة تتساوى بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة)[٣٧٢]، ذلك أن الميثاق وهو دليل العمل في الستينات، نظر للمرأة على أنها كم اقتصادي كالرجل سواء بسواء.

وكان الطاغية عبد الناصر، الموصوف بأنه صاحب الإرادة الوحيد في تلك الفترة، قد مَهَّد لهذا من قبل، فقال وهو يخطب في معسكر للفتيات في رشيد في (٢٨ يوليو ١٩٥٩) : (كان لابد لنا بعد أن اكتشفنا أنفسنا، أن نكتشف نصف شعبنا ـــ المرأة ـــ ونعطيها جميع حقوقها، وقد وضعنا هذا موضع التنفيذ)[٣٧٣]، ثم

(٣٧٠) من خطاب « جمال عبد الناصر » يوم ١٦ يناير ١٩٥٧ بمناسبة تقديم الدستور (١٩٥٦).
(٣٧١) دستور ١٩٥٦ مادة : (٦١).
(٣٧٢) « الميثاق الوطني » ـــ الباب السابع : الإنتاج والمجتمع.
(٣٧٣) مجموعة خطب عبد الناصر وتصريحاته وبياناته ـــ القسم الثاني ص (٥٧١) ـــ مصلحة الاستعلامات.

أكد ذلك في خطابه في معسكر الفتيات للتدريب العسكري بالورديان بالإسكندرية في (٤ أغسطس ١٩٥٩) معلناً شعوره بالفخر (لأن المرأة العربية اليوم نصف المجتمع، وعليها مسئولية كبرى لتشارك الرجل في بناء هذا الوطن، وفي بناء المصانع، وفي التعليم الفني، وفي التدريب العسكري)[٣٧٤]، وفي اليوم نفسه زار معسكر فتيات المكس بالإسكندرية، وطالب فيه بضرورة تضافر جهود كل فرد من المواطنين جميعاً من الرجال والنساء)[٣٧٥].

كان عبد الناصر قادراً على أن يبرر للشعب أهمية مساواة المرأة بالرجل في كل المجالات: في الإنتاج، وفي التدريب العسكرى، وغير ذلك، لأن الوطن يحتاج إلى تضافر الجنسين معاً نساءً ورجالاً، ومن ثم فقد نادى في جلسات المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في شرح « الميثاق »: (بوجوب عمل المرأة، لأن في عملها يمكنها أن تحافظ على نفسها من الانحراف إذا كانت غير متزوجة)[٣٧٦] !! وفي المؤتمر نفسه أبدى عزمه على (تعيين المرأة في كل الأعمال، ابتداء من الأعمال اليدوية، حتى الوزارة)[٣٧٧]، وبعد ليلتين أى في مساء ١٩٦٢/٥/٢٨ رأى عبد الناصر تحرير المرأة بدنياً ومعنوياً، برفضه لطلب مواطن سأله بصفته رئيساً للجمهورية أن يوجه نظر الناس إلى أهمية الحجاب الشرعي للمرأة (الخاص بالملبس فقط)، لأنه على حد تعبيره، (لا يريد أن يدخل معركة كبيرة جداً مع ٢٥ مليون من المواطنين « هم كل تعداد مصر في ذلك الوقت » أو مع نصفهم على الأقل)[٣٧٨].

وهكذا أعطى عبد الناصر المرأة ما طلبت، وما لم تطلب، وفوق ما كانت تطمع، بل أعطاها تصريحاً بالإمعان في السفور.

---

(٣٧٤) السابق (٦٠٣/٢).
(٣٧٥) السابق (٦٠٥/٢).
(٣٧٦) السابق (٦٩/٤).
(٣٧٧) السابق (٧٠/٤).
(٣٧٨) السابق (٨١/٤).

واختفت القيادات النسائية القديمة، لأنهن لا يستطعن التجاوب مع الفكر الجديد، أو التفاعل معه، وظهرت نجمات أخريات استقطبتهن القيادة السياسية الجديدة، التي قادت البلاد، تعتنق الفكر الجديد وهو ليس كفكر « درية شفيق » المتعالي « فكر المرأة سيدة الدار » المترفع على الرجل « طاهيها »[٣٧٩]، لأنه لا يتناسب مع روح الاشتراكية الجديدة، هذا بالإضافة إلى أن القيادة الجديدة للحركة النسائية، لم تكن في يد هذا الصنف من النساء اللاتي ينتمين لطبقة الأعيان، التي كان منها الوزراء، وأصحاب المراكز الهامة الحاكمة في الدولة، وزعيمات الحركة النسائية في العهد الملكي، ولكن الريادة في هذه المرة انتقلت إلى نوع آخر من المثقفات الجامعيات، اللائي نشأن ودرجن بين أحضان الطبقة الشعبية العاملة، مثل الدكتورة « حكمت أبو زيد » التي بدأ ظهورها، وبروزها في المجتمع في أكتوبر ١٩٦٢، أي بعد إعلان الميثاق الوطني بثلاثة شهور، وعينت وزيرة للشئون الاجتماعية، في أول حكومة تتولى حكم البلاد بعد إعلان القوانين الاشتراكية سنة ١٩٦١، والميثاق الوطني ١٩٦٢، ومنذ ذلك التاريخ صارت وزارة الشئون الاجتماعية قصراً على النساء، بحيث لم يعد يخطر على قلب رجل أن يفكر في ولوج بابها.

وتحت رعاية الحكومة، أو من استأمنتهم الحكومة على حراسة الفكر الجديد تحدد وضع المرأة في النظام الجديد كله على أنها أصبحت « كمًّا إنتاجياً » في ميدان الاقتصاد، دون النظر إلى التأثير السلبي الناتج عن ذلك، والذي أثر تأثيراً سيئاً في وضع المرأة نفسها في مجالات أخرى أكثر أهمية لوجودها الاجتماعي نفسه، كما أن المؤتمرات النسائية التي عقدت في تلك الفترة بدعوة من الحكومة نفسها أعطت إشارة البدء لإعلان أفكار جذرية تخص حركة المرأة نفسها، نابعة من الفكر الاشتراكي الذي بيَّنه الميثاق، وبوحي من الفلسفة المادية العلمانية، ومن هنا نظر الناظرون الجدد إلى

(٣٧٩) راجع ص (١١٧).

الطريقة القديمة، وأسلوب العمل الذي كانت تمارسه الحركة النسائية، منذ ظهور « هدى شعراوى » وانتهاء بـ « درية شفيق »، نظرة ازدراء، وعَدُّوها طريقة عفنة لمعالجة القضايا، لاتليق بالمرحلة « الثورية » التي تعيشها البلاد، ورأوا أن المرأة منذ ظهور « هدى شعراوي » حتى الآن، لم تتمكن من تحقيق التحرر الفعلي لها، وكل ما حققته لم يتجاوز الحقوق الشكلية لمقاصد المرأة المتعالية المرفهة.

إن الذين يفكرون بالطريقة الجديدة يرفضون النظر إلى المرأة ـــ بزعمهم ـــ (من خلال مفاهيم رومانسية للأمومة، والشرف، وتربية الأجيال، ومن خلال مفاهيم قبلية أو رعوية، حول الشرف والعِرْض، وإطاعة الزوج، والسهر على راحته)[٣٨٠]، وهم يطالبون بالقضاء على النظام الاجتماعي الأبوي، الذي يسيطر فيه الرجل ـــ رب العائلة ـــ والقضاء على سلطة الرجل في أي شكل كان (زوجاً أو أخاً أو رئيساً) على المرأة، لأن هذا النظام يعطل تحرير المرأة، وللقضاء على هذه السيطرة، يجب السيطرة على النظام كله المتمثل في « سيطرة الأب والنظام الطبقي الرأسمالي »[٣٨١] ولهذا فإن هؤلاء ينظرون إلى المجتمع الذي يقوم على الأسرة المستقرة، على أنه مجتمع تسلطي، يجب أن يعاد النظر في بحث أهم قضاياه، « وهي قضية سلطة الرجل على المرأة، سلطة الذكر على الأنثى »[٣٨٢].

ومن هنا فهم يحرضون المرأة (على أن لا يقتصر دورها على إنجاب الأبناء الذين يحملون عادة اسم الأب، وأن لايقتصر أيضاً على العمل المنزلي لأنه غير مقيم اقتصادياً، وأيضاً الإشباع الجنسي والعاطفي للرجل، وهذا الدور الأخير بالذات يُناط بها من خلال عقد الزواج المكرس في قوانين واضحة)[٣٨٣]، وهو ما يجب أن ترفضه.

---

(٣٨٠) مجلة الطليعة / عدد نوفمبر ١٩٦٨ ص (٧٨) ـــ د. إجلال خليفة.

(٣٨١) مجلة « المستقبل العربي » ص(١٢٠) عدد يناير (١٩٨١) د. نوال السعداوي.

(٣٨٢) السابق ـــ ص(١٢٢) ـــ د. عباس مكي.

(٣٨٣) السابق نفسه.

والخلاصة : أنهم يريدون أن يتحقق للمرأة الاستقلالية الكاملة، وهي لا تتحقق إلا إذا تمسكت بالوسائل الآتية :

١ ــ أن تحصل المرأة على الأمن الاقتصادى والبدني (وإن فَرضت عليها عملية الزوجية ــ واللفظ لهم ــ طاعةَ الزوج تستطيع أن تتحول بشكل غير مباشر إلى باردة عاطفياً)[٣٨٤].

٢ ــ أن تحصل كذلك على الأمن الاجتماعي، (فالمرأة غير آمنة كلية من الناحية الاجتماعية، ويصل الأمر إلى أنها لا تستطيع أن ترتاد وحدها بعض الأماكن)[٣٨٥]، وتتصرف بحرية كاملة كالرجل.

٣ ــ أن تخرج من استغلالية الرجل بتوفير العمل لها، (في كل الميادين العملية مع ضمان أن لا يكون الرجل هو المتحكم في الدخل أو الأجر الذي تتقاضاه المرأة، وبذلك تخرج من وضعها المقهور أو المكبوت)[٣٨٦].

٤ ــ قيام حركة نسائية موجهة ضد الرجل ([المطلق]، ويكون هو المقصود بها فعلاً)[٣٨٧].

٥ ــ أن تحرير المرأة يحتاج إلى القضاء على النظام الطبقي، كما يحتاج إلى تغيير النظام الأبوي في الأسرة، ويحتاج إلى قوانين مدنية عادلة [لا شرعية] تسوى بين المواطنين [فالمرأة يجب أن تسمى مواطناً لا إمرأة]، وإلى قوانين علمانية لا دينية مدنية تطبق في الأسرة[٣٨٨].

والأمر الذي يجدر ملاحظته، أن حركة المرأة سارت منذ البداية مع حركة التغيير

(٣٨٤) السابق نفسه .

(٣٨٥) السابق ــ د . هدى بدران / ص(١٢٦) .

(٣٨٦) السابق ص(١٢٨)، د . إيليا حريق .

(٣٨٧) السابق نفسه ص(١٣٢) .

(٣٨٨) السابق نفسه ص(١٢٩) ــ د . نوال السعداوي .

الاجتماعي في ظروفه المختلفة، سواء جنحت به هذه الظروف نحو الغرب أو نحو الشرق، ففي حركة المرأة الأولى التي بدأت من « من منتدي الأميرة « نازلي فاضل » بريادة الشيخ « محمد عبده »، وانتهاء بإضراب النساء عن تناول الطعام سنة ١٩٥٤، كانت حركة المرأة تواكب حركة التغيير في كل الميادين في مصر، في ميلها نحو الغرب وانجذابها له، وعندما اتجهت وجهة المجتمع في بداية الستينيات إلى اعتناق الاشتراكية، اتجهت معها الحركة النسائية إلى وجهتها، وبدأت تظهر قيادات نسائية، تؤمن بالثقافة الاشتراكية، وتعتنقها، وتبرز دور المرأة المشارك لعملية الإنتاج، وتقييم المرأة على أنها كم اقتصادي.

على أن المرأة في كل من المرحلتين، كانت تابعة للرجل، فهو الذي يحرضها على أن تطلب ثم يمنح، فهو المانح دائماً. بينما اقتصر دورها على قبول هذا المنح، غير أن الرجل في الحالة الأولى ــ حالة الاتجاه التغريبي ــ حافظ للمرأة على شخصيتها الاعتبارية، فبدت للعيان ــ على أقل تقدير ــ أنها هي التي كافحت من أجل ماتسميه حقوقها، التي حصلت عليها، بينما اختلفت الأمور في الحالة الثانية ــ حالة التطبيق الاشتراكي ــ فقد عمل الرجل على إذابتها في الجماعة، فهو الذي أشار عليها أن تقبل منحه، وأرغمها على ألا ترفضها، فهو الذي فرض عليها أن تكون عضواً في المجالس النيابية والمحلية، وهو الذي فرض عليها أن تكون وزيرة، وسفيرة، وشاغلة لمناصب الرجال، دون أن يعطيها فرصة إبداء رأيها، أو معرفة رأيها الحقيقي فيما آلت إليه حياتها.

تكلف ... واصطناع :

ومن يتأمل حال القوم يدرك أن اعتراضاتهم على الشرائع الإسلامية تأتي لمجرد الاعتراض، فهذه المطالب التي تلهث المتحررات وراءها لمجرد إسماع الناس أصواتهن، وهذه المنازعات الوهمية بين الرجل والمرأة، كل هذه مشاكل مصطنعة، وأزمات مختلقة

فهم يخالفون لمجرد المخالفة، لا لحاجة أوجبت هذا الاختلاف، والمرأة لا توضع حيث تدعو الحاجة ــ صحيحة كانت أو مزعومة ــ إلى أن توضع، ولكنها توضع لمجرد إثبات وجودها في كل مكان، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له، فلم يكن المقصود بتوظيفها مثلاً في تلك الأيام سد حاجة موجودة، ولكن كان المقصود هو مخالفة عرف راسخ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة، وإقامة عرف جديد في الدين، وفي الأخلاق، وفي الذوق، وابتداع المبررات التي تجعل انسلاخنا من ديننا أمراً واقعاً، وتجعل دخولنا في دين الغرب ومذاهبه وفسقه أمراً واقعاً كذلك.

وقصة « دعاة التحرير » هنا في مصر وغيرها تشبه (قصة ذلك الرجل الذي قدم إلى أبرز ساحة في العاصمة، فملأ وسطها بالأنقاض، ثم جاء بسارية رفع عليها مصباحاً أحمر.

وجعل الناس ينظرون بدهشة إلى عمله ... وسأله بعضهم:

ماذاتريد بهذا المصباح ؟ فأجاب: تنبيه الناس إلى الخطر لكي لا يصطدموا بالأنقاض، فلما سألوه: ولم جئت بهذه الأنقاض ؟ أجاب: لكي أرفع هذا المصباح)[٣٨٩].

وإذا أردنا أن نشرح دور السياسة في معركة الحجاب في مصر، فلا شك يقفز إلى أذهاننا الدور الذي لعبه « صديق إسرائيل »[٣٩٠] و « خادم أمريكا » و « حليف الشيطان » الذي تهكم بالحجاب علناً ووصفه بأنه « خيمة »، وجرائم

---

(٣٨٩) (تأملات في المرأة والمجتمع) ــ لمحمد المجذوب ــ ص(٣٣ ــ ٣٤).

(٣٩٠) وقد أقيمت الصلوات اليهودية في ميادين تل أبيب على ضوء الشموع حزناً على موته، وحضر ثلاثة من رؤساء أمريكا قداساً جنائزياً بالكنيسة على روحه .. لقد كان مصراً على أن يدخل التاريخ، وقد دخله .. ولكن من نفس الباب الذي دخل منه إبليس وفرعون وقارون، ومضى إلى ربه بعد أن صفى كل عداواته إلا عداوته لأمته.

هذا المخلوق في حق الإسلام، ثم في حق وطنه كثيرة لا تكاد تخفي على أحد، وقد ختم حياته « النضالية » ضد أمة محمد ﷺ بتلك الإجراءات التعسفية، والحرب المسعورة ضد المحجبات عموماً، والمنقبات خصوصاً، فكان رجاله يتعرضون للمنقبات في الطرقات، وكانت صحفه ناراً تصب حميمها على المنقبات، وفرض عليهن الخيار بين السفور وبين الفصل من وظائفهن، ولم تنج حتى النساء من حملة الاعتقالات الواسعة التي عمت البلاد، واصطف جنود الشرطة البواسل صامدين رابضين كالأسود على بوابات الجامعة ودور التعليم، للتصدي لأي طالبة منقبة تسول لها نفسها دخول الجامعة بهذا النقاب الساتر، وذلك الجلباب السابغ الذي وصفه بأنه « خيمة »: فرعونٌ حقيرٌ يرقد الآن في مَزْبلة التاريخ، وحسابه على الله.

بل هذه زوجة هذا الفرعون تدلي قبل أن تدور عليها دائرة السوء وهي في قمة غرورها ــ ولا أقول مجدها ــ بحديث إلى مجلة « مارى كلير » الفرنسية المتخصصة في شئون المرأة حول ما يتعلق بالمرأة الشرقية من عرف وتقاليد متوارثة كالحجاب وختان الفتيات(٣٩١) وجريمة الزنى، وذلك خلال أربعة أسئلة وجهتها الصحافية الفرنسية « كاتي برين » التي زارت مصر أخيراً لإجراء هذا الحوار وكان السؤال الأول :

[انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر، فما رأى السيدة « جيهان السادات » في تلك الظاهرة ؟

فأجابت : (إنني ضد الحجاب، لأن البنات المحجبات يخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ، وقد قررت « بصفتي مدرسة بالجامعة » أن أطرد أي طالبة محجبة في محاضرتي، فسوف آخذها من يدها، وأقول لها : « مكانك الخارج »، وفي نظري فإن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار هذه الظاهرة، فإذا قام أستاذ بطرد فتاة واحدة من محاضراته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب.

(٣٩١) انظر « الصحافة والأقلام المسمومة » ص(٧٢ ــ ٧٣).

وتستطرد قائلة : إن التحجب ليس بالشكل وبارتداء الأقنعة، فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب، إنما تلك مسائل تفصيلية بعيدة عن جوهر الإسلام وعن مبادئه الأساسية، ثم تذكر في نهاية الحوار أنها تعمل ليل نهار حتى تحقق للمرأة المصرية بعض حقوقها، وأن أبرز ما أنجزته هو صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد، ثم ذكرت أنها دائماً « تعاكس » زوجها في طلباتها للمرأة، ولكنه يجيب بقوله : « إن هذه ليست هي اللحظة المناسبة »، تقول : « ولكنني أعاود، وألح عليه في طلباتي من أجل المرأة »[٣٩٢].

ويتضح من هذا الحديث أن ظاهرة « عودة الحجاب » كانت قد أخذت في الانتشار السريع، وكادت تفرض نفسها كواقع يكشف الحقيقة للمخدوعين والمخادعين على السواء، لولا أن « الأكابر » بدأوا يبيتون « وأد » هذه « العودة » قبل أن يفلت الزمام، فبدأت الدوائر السياسية والصحافية تمهد للحملة المجنونة التي توجتها السلطة بمذبحة (سبتمبر ١٩٨١م)، ومن هذه الإرهاصات المقالة التالية :

« الغزالي حرب » وحربه ضد الحجاب :

« الغزالي حرب » مفتش أول اللغة العربية بشمال القاهرة إنسان أقلقه كثيراً مظهر الحجاب الإسلامي وشيوعه وسط الفتيات يوماً بعد يوم، فَشَهَرَ قلمَه ليدلي بدلوه مع إخوانه من دعاة السفور، فنشر في الأهرام أكثر من مقال يهاجم فيه الحجاب، ويحرض فيه « الأكابر » على تشريع جديد يصفه بأنه (قرار حاسم يحقق التوازن والاعتدال في أزياء الطالبات والمدرسات بين التفريط والإفراط، وبين الانغلاق والانضباط).

ويفتتح إحدى مقالاته بقوله : (منذ بضعة أيام اتصل بي تليفونياً الشيخ الدكتور/ عبد المنعم النمر ليحدثني عن بعض الطالبات في إحدى المدارس الأجنبية الثانوية، ممن

(٣٩٢) ملحق جريدة (القبس) العدد (٢٦٢٥) تاريخ الإثنين ٦ تشرين الأول (أكتوبر) (١٩٨٠).

يحرصن على ارتداء ما يسمينه « الزي الإسلامي » أو « الزى الشرعي »، وقد اتفقنا في هذا الحوار التليفوني على أن تغطية الوجه بالنقاب، أو البرقع للطالبات، تطرف لا يقره الشرع الإسلامي، ولا ترتاح إليه اللوائح والتعليمات المدرسية أو الجامعية، وما هو إلا شذوذ مظهري مريب) ثم يقول : (فهذا الزى المبرقع أو المنقب ليس إلا زياً من صميم الأزياء الجاهلية البائدة، التي عفى عليها الزمان، ولم يعد لها اليوم مكان إلا في بعض البلاد، المتخلفة أو النامية، ولن يبقى فيها طويلًا أمام التطور الوثاب، الذي يؤكد ما قاله داعية تحرير المرأة الأول في مصر والشرق العربي « قاسم أمين » من أن هذا الزى الشاذ يمثل دوراً من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم، ومن العبث الذي لا طائل من ورائه أن تتشبث بعض المدرسات أو الطالبات متمسحات في ذلك بالإسلام الذي يدعو المرأة — ولاشك — إلى الاحتشام المنضبط الذي يقره العرف القويم والذوق السليم لا إلى الاحتشام « المنغلق » المثير للشبهات، ولا سيما شبهة محاولة « إخفاء الشخصية[٣٩٣] ») ثم يستطرد قائلاً :(ما أروع الحديث النبوي الشريف القائل : « ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ — طلب البراءة والسلامة — لدينه وعرضه » وخاصة في ظروفنا الحاضرة التي تمس فيها الحاجة دائماً إلى التحقق من شخصية كل طالب وطالبة، حرصاً على استتباب الأمن والنظام، وسيادة الأمن العام، وحرام — والله — أن نضيع مثقال ذرة من الوقت الغالي الثمين في شغل الناس بلابسات البراقع والجدل حولهن باسم الإسلام، الذي يقول بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام : « ماغضب الله على قوم إلا ابتلاهم بالجدل، وصرفهم عن العمل »[٣٩٤].. حرام والله — أن تشغلنا هذه « الظاهرة الْمَرَضِيَّةُ » عن النصح

(٣٩٣) يأتي دفع هذه الشبهة الإبليسية إن شاء الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ﴾ الآية، بالقسم الثالث، فانظره ص (١٨١ ـ ٢٣٣).

(٣٩٤) روى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما ضل قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (الزخرف — ٥٨) » وقال الترمذي : (حسن صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي =

لكريماتنا وأخواتنا المنتقبات، أن يكن في أزيائهن منضبطات متفتحات، لا منغلقات أو مبرقعات، وأن يذكرن ــ والذكرى تنفع المؤمنين والمؤمنات ــ أنه عندما نهض (قاسم أمين) بدعوته المتحررة التي باركها باسم الإسلام أستاذنا الإمام (محمد عبده)، حاربه الجامدون والمتنطعون داعين النساء إلى ارتداء النقاب والبرقع اتقاءاً للفتنة، فانتهزت ملاهي أوربا هذه الفرصة، وأخذت تعرض رقصة أسمتها « رقصة برقع الإسلام » وهكذا التقى جد الرجعيين، وهزل العابثين في اتهام الإسلام بأنه دين البراقع).

ثم يذكر معنى الحجاب في الإسلام في نظره فيقول: (وما هو إلا دين الاحتشام المعتدل المشرق بأنوار العفة والفضيلة والحياء، وفي ضوئها وهداها التقى الجنسان على سواء معتصمين بحجاب الوازع الخلقي والضمير الحي) إلى أن يبتهل داعياً المولى عز وجل في نهاية مقاله قائلاً: (واللهم أبعد عن مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا وطرقاتنا وسائر مجالاتنا شبح الجمود والممات، وشبح الظواهر المرضية المثيرة للفتن والخلافات والانقسامات)[٣٩٥] انتهى.

ولا يقل عنه تحاملاً الصحافية (منى رمضان) التي كتبت مقالاً في مجلة « اكتوبر » تحت عنوان « طبيبات ولكن محجبات » تبدؤها بقولها: (عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات في مصر، وهذه ليست آخر صيحة في عالم الموضة كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه نوع من الحشمة وإحياء التقاليد[٣٩٦]

= (جامع الأصول ٢ / ٧٤٩) والجدال والمراء: المخاصمة والمحاجَّة، وطلب المغالبة، ولا شك أن الحديث نفسه يدين الكاتب وهو حجة عليه، لعداونه على أهل الحق، ومجادلته إياهم بالباطل كما سترى، بالحمد لله الذي أنطقه بالحجة لنا.

(٣٩٥) الأهرام ــ الإثنين ٢ فبراير ١٩٨١م مقاله بعنوان: (أزياء الطالبات بين الانضباط والانغلاق).

(٣٩٦) ينبغي التحفظ من مثل هذه العبارات، فليس الإسلام « تقاليد »، وما عرفناه إلا مناراً، وتعاليم، وشرائع، ومعالم، وردت في أكثر من حديث: منا قول رسول الله ﷺ: (ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم ــ أي =

الإسلامية التي تطلب من النساء أن « يدنين عليهن من جلابيبهن »)، وتحت صورة التقطت لمحجبتين تكتب قائلة : (النقاب الذي ترتديه فتاة الجامعة يقربها إلى الرهبانية، ولا رهبنة في الإسلام)، لكنها حرصت على أن تنشر ثلاث صور احداها على غلاف المجلة لفتاتين سافرتين ترتديان « الحجاب النِّصْفي » أو « الحجاب العصري » الضيق المزيَّن، والثانية لثلاث فتيات سافرات، ولكن في عرفهن

= دلائل ومسائل ــ دينكم) رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه بهذا اللفظ، ومنها قوله ﷺ : (إن للإسلام صُوىً ومناراً كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئاً، فقد ترك سهماً من الإسلام، ومن تركهن كلَّهن، فقد ولَّى الإسلامَ ظهرَه) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في « كتاب الإيمان » وغيره ــ انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » حديث رقم (٣٣٣) ومعنى (صُوىً) جمع صوة : أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها، أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يهتدي بها، كذا في « لسان العرب » .

عن أبي عمرو بن العلاء .

وعن عبد الله بن بُسْرٍ المازني رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت، وأنا كَبِرْتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثر عَلَيَّ فأنسى، قال : (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى) رواه الترمذي والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي .

وفي بعض الآثار : (أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) ...

فكم تَقَرُّ أعين المتغربين والمتفرنجين، والجاحين الخارجين عن ربقة الإسلام، بكلمة « التقاليد » الإسلامية ؟!

إنهم بذلك يحولون شرع الله ووحيه إلى أعراف وتقاليد، تواضع الناس ــ في زمن من الأزمان ــ على احترامها، وبناء على ذلك فما يصلح لجيل لا يصلح لآخر وما يناسب مجتمعاً لا يناسب المجتمعات الأخرى، وما يتفق مع زمن فلا شأن له بباقي الأزمان !

فالهدف إذن من التعبير عن الأحكام الشرعية بـ (التقاليد) واضح، وهو جعلها عرضة للتغيير والتبديل بحجة أن « تقاليد » عصر الصحراء لن تناسب عصر الفضاء ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ الكهف (٥) !، انظر : « مهلاً يا صاحبة القوارير» ص (١٠ ــ ١١).

« محجبات » يرتدين ثياباً لا يقرهن عليها مسلم عالم، وقد علقت مسرورة بثيابهن قائلة :(الحشمة الغير مبالغ فيها مطلوبة داخل الجامعات المصرية بدلاً من التقليعات الدخيلة علينا)، والثالثة لفتاة متزينة بالحجاب العصري الفتان، وقد علقت الصحافية تحتها : (هكذا تكون الفتاة الجامعية : علم وإيمان).

تقول الكاتبة الحائرة القلقة : (والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة، وعلى أساسها فَصَّلت هذه الثياب، وفضلت أن تخرج بها إلى الشارع وإلى الجامعة .. وقد تكون هذه الظاهرة عودة إلى « عصر الحريم »(*) لا ينقصها إلا « قاسم أمين » جديد ليطلق صرخته مرة أخرى .. وربما تكون نوعاً من الموضة تأخذ مداها ثم تتلاشى بعد فترة طالت أو قصرت، وقد تكون حنيناً إلى العودة إلى رحاب الروحانيات بعد أن طغى سلطان المادة على نواح، كثيرة في حياتنا، إلى آخر هذه التساؤلات التي تتبادر إلى أذهاننا جميعاً) ثم تعبر عن حسرتها وقلقها قائلة : (إن هذه الظاهرة انتشرت وبصورة أكثر وأوسع داخل كليات الطب في الجامعات الثلاث).

ثم تنقل الكاتبة في حوارها كلمة « د./ يوسف عبد الرحمن » رئيس قسم الفسيولوجيا بطب القاهرة : (باعتباري رجلاً مسلماً أفضل الزى الإسلامي فهو

(*) الصحافية هنا تنسج على منوال إخوانها في الضلال حيث أخذوا يسخرون ويتفكهون بعصر « الحريم »، ثم ربطوا الدعوة إلى الحجاب بعصر الحريم تنفيراً منه تماماً كما يربط العلمانيون الملاحدة

الدينَ بالرجعية، ولكن ما هو (الحريم) ؟ جاء في مجلة (الأسبوع العربي) اللبنانية العدد (١٤١٥٣ أيار) : (كانت كلمة « حريم » تعني منذ الأزمان البعيدة الحرم المقدس أو المعبد المحرم الدخول إليه، وقد أطلق هذا الاسم على القسم الخاص بالعائلة أي بالنساء والأطفال، والذي كان محرماً على الغرباء ولوجه، بينما سمح لهم بالدخول إلى باقي أقسام المنزل، ولم يكن النساء ليبرحن « الحريم » إلا لزيارة صديقاتهن أو لحضور الاحتفالات العائلية أو الدينية، فقد كان للنساء إذَن عالمهن الخاص المقتصر عليهن فقط، إذ حرم عليهن تماماً الاختلاط بالرجال أو استقبالهم أو التحدث اليهم) ا هـ، وجاء في جريدة (الأخبار) على لسان باحثة أمريكية مشهورة تدعى الدكتورة (إيدالين) ما نصه : (إن تدهور الأخلاق في أمريكا راجع إلى ترك المرأة بيتها واشتغالها بالحياة العامة، وإن عودة المرأة إلى « نظام الحريم » هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الخلقي الذي يسير فيه) ا هـ من (الحركات النسائية في الشرق) ص (٣٥).

« مستحب » لأنه حشمة ويخفي عورة المرأة، وهذا الزى كما أعرف لا يعوق المرأة عن العمل، أما النقاب الذي ظهر حالياً فهو غير مستحب، ولا أفضله أبداً فهو يقترب بالمرأة من الرهبانية، ولا رهبانية في الإسلام) ثم يقول : (وما دامت المرأة قد خرجت إلى الشارع والعمل فلابد أن يتعرف عليها المُدَرِّسُ، وكمساري الأتوبيس، وكل من يتعامل معها، أما النقاب فهذا غريب وغير عملي في هذا العصر، وأنا أعلم أن النقاب كان موجوداً في العصورة المظلمة فقط) انتهى كلامه.

وهذه (مها عثمان) تكتب في « آخر ساعة » مقالاً بعنوان (ظاهرة الحجاب : لماذا ؟) وتقول : (ظاهرة الحجاب من الظواهر اللافتة للنظر الآن، ليس فقط في الشارع المصري، وإنما في الدواوين والمصالح الحكومية والكثير من مواقع العمل، والظاهرة تتنامى، ويأخذ معها الحجاب أشكالاً متعددة.

والأسئلة التي تثيرها تلك الظاهرة عديدة، وفي مقدمتها: لماذا الحجاب ؟ وماذا وراء تلك الظاهرة ؟ ثم ماهو الفرق بين الحجاب والنقاب ؟)، وتحاول الكاتبة الإيحاء بأن الحجاب تقليد مملوكي أو تركي، ثم تقول : (وظلت المرأة تحرص على وضع النقاب على فمها وأنفها عند ظهورها في المجتمعات الراقية، واستمر حجاب المرأة بهذه الطريقة حتى دعا « قاسم أمين » إلى السفور عام « ١٩١٢ »[٣٩٧]، والتحرر من قيود هذه الأغطية وغيرها).

وتتسلل روح التغريب وكراهية الحضارة الإسلامية بين السطور فتقول الكاتبة: (ويمكننا فهم دعوة « قاسم أمين » للسفور وإلغاء الحجاب على أنها دعوة للإنسان للأخذ بقيم الحضارة الغربية على حساب حضارة أخرى، وهي الحضارة التي تمثلها الدولة العثمانية)، فما هي تلك الحضارة « الأخرى » التي تمثلها الدولة العثمانية إن لم

(٣٩٧) كذا !

تكن الحضارة الإسلامية ؟ ثم تمضي الكاتبة قائلة : (وقد نجحت دعوة « قاسم أمين » حيث كان الجو العام مهيئاً .. وأصبح هذا النمط هو النمط السائد في التعليم والملبس والمسكن و « القانون » و « السياسة » والفلسفة ، لكن إذا كان هذا هو ما حدث في فترة تاريخية معينة فما هو تحليل « عودة الحجاب » مرة أخرى ؟) .

المركز القومي للبحوث الاجتماعية
في حالة (طوارىء) بسبب عودة الحجاب

تقول الدكتورة « زينب رضوان » رئيسة وحدة البحوث الدينية بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية .

(إن هذه الظاهرة من أهم الظواهر التي اهتم المركز برصدها وتحليلها ، ولذلك فقد أجرى بحثاً حول عوامل هذه الظاهرة وأسبابها والتفاعلات الاجتماعية المرتبطة بها ، والصلات التي تربط الحجاب بالعوامل الاقتصادية والثقافية والدينية وتلك التي تتعلق بالتنشئة الاجتماعية .

وقد ضم هذا البحث تقريرين أحدهما يتعلق بالطالبات والثاني يهتم الموظفات ، وقد تناول البحث حوالي ٨٠٠ من الفتيات مابين محجبات وغير محجبات .. واهتمت الأسئلة بالدوافع بالنسبة لكل من الطالبة والسيدة المتزوجة .. وهل هي واحدة أم أنها مختلفة ؟ وهل هذه الدوافع دينية أم أنها لأسباب أخرى ؟

وتضيف الدكتورة « زينب رضوان » : إنه ينبغي لنا أن نسجل ملاحظة هامة وهي :

(أن الإنسان يتصرف وفق ما يعتقد أنه صحيح لا وفق ما هو صحيح بالفعل ، ولذلك فبعض المحجبات يرفضن المساواة بالرجل مستشهدات بالآية الكريمة ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ وهذا تفسير نختلف عليه .. والحجاب ليس مجرد مظهر ، ولكنه سلوك إسلامي حضاري ..) ثم تستطرد قائلة :

(إنه إذا أردنا أن نضع هذه الظاهرة داخل إطار معين ، وأن نفسرها فسنجد أن هناك ثلاثة تفسيرات مختلفة :

التفسير الأول : يرى أن الحجاب في مصر يدخل ضمن مجموعة من الظواهر التي يمكن التأريخ لها عام (١٩٦٧)، وأنه دليل على اتجاه المجتمع للبحث عن « بديل » للفكر والقيم والسلوكيات العَلمانية التي نقلها مجتمعنا عن الغرب.
ولهذا فإن هذه الظاهرة ما هي في الحقيقة إلا جزء من فكر « بديل » ألا وهو البديل الديني) اهـ.

لا .. لا أيتها الباحثة ! حاشا أن يكون دين الإسلام « بديلاً »، فبئس ما قلتِ، إنما العودة إلى الإسلام عودة إلى الله، بعد أن طغى سلطان « اللادينية » في ظل « انقلاب يوليو ١٩٥٢ »، وليس الإسلام في ذلك بديلاً كأي بديلٍ، ولكنه سير على الطريق الوحيد الموصل إلى سعادتي الدنيا والآخرة، فكل طريق إلى الجنة مسدود إلا طريقاً على رأسه رسول الله ﷺ.

وقد قال رسول الله ﷺ : (الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله)[٣٩٨] وليس الإسلام (بديلاً) ولكنه هو الأصل، وما عداه طارىء، بل ماعداه « زَبَد » حانت له الفرصة يوماً ما أن يطفوا على السطح ثم لم يلبث أن تلاشي كأن لم يكن ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ (**الرعد : ١٧**).

قال فضيلة الأستاذ الدكتور « مصطفى حلمي » حفظه الله في تحليل ظاهرة عودة الشباب إلى الدين :

(وكما يفيق المغمي عليه، ويعود إلى نفسه، كذلك أخذت الطلائع الشابة الواعية ترقب فشل الأنظمة المستوردة من الشرق أو الغرب التي أدى تطبيقها إلى المزيد من الفشل والهوان، وأدركت أن هذا الفشل يرجع إلى بُعد الأمة عن طريقها، وانقطاع صلتها بالعقيدة والتراث، وأخذ صوت الإسلام يدوي بين الصفوف، لم الاستغراب إذن

(٣٩٨) رواه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني، ولمسلم نحوه بلفظ : « يهدم ».

من عودة ظهور التدين بين شباب الإسلام ؟

إن العقيدة لم تختفِ أصلاً بل ظلت باقية ، كل ما هنالك أنّها اختفت وراء ستر رقيق ، ذلك أنه ينبغي التمييز بين العوامل الجوهرية للنهوض بالأمم واندثارها ، وبين مظاهر التدهور والضعف التي تنتابها بين حين وآخر كعوارض مرضية تظهر لتختفي)[399] اهـ

ثم تقول الكتابة :

(**التفسير الثاني** : يحاول أن يتجاوز الواقع المصري إلي الواقع الإسلامي بأكمله، فهو يرى أن الحجاب ما هو إلا نوع من الإحياء للحضارة والثقافة الإسلامية، في مواجهة الطابع الإنساني للعلاقات التي سقطت فيها الحضارة العربية.

أما **التفسير الثالث والأخير** : فهو يرى أن الحجاب شكل من أشكال الرفض التلقائي للظواهر الاستهلاكية التي بدأت تسود مجتمعنا، والتي تحول هذه المجتمعات إلى أسواق إستهلاكية تابعة للحضارة الرأسمالية الغربية المنتجة فهي صحوة تحاول الحفاظ على « طهارة » الذات القومية في مقابل الترف الاستهلاكي) اهـ.

ولن نشغل أنفسنا بمناقشة هذه التفسيرات الهزيلة، لأن هدفها واضح وهو إضعاف الصبغة الإسلامية لعودة الحجاب، والتشويش على نوايا الفتيات المخلصات لربهن المعتزات بإسلامهن، و « الانحراف » بهذه الظاهرة الإسلامية الواضحة إلى مفاهيم مائعة تَفُتُّ في عضد الملتزمات، وتوهن عزيمة الراغبات في التحجب وهيهات هيهات .

(٣٩٩) « المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها ؟» ص (١٦ — ١٧).

(ولتعرفنهم في لحن القول) سورة محمد (٣٠)
(ردةُ ونكسةُ ومأساةُ) زكي نجيب محمود(*)

أعداء الإسلام من المنافقين المتمسلمين ، الكارهين لما أنزل الله ، الصادّين عن سبيل الله ، الآمرين بالمنكر ، والناهين عن المعروف لا يملون ولا يكلون من ممارسة هوايتهم الرخيصة في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، والترويج للذرائع المفضية إلى مزيد من الفساد والإفساد لهذه الأمة الغافلة عما يراد بها ، إنهم لا يألون جهدًا في قطع صلتنا بأسلافنا ، ووصل الحبال مع أعداء ديننا ، الكارهين ــ أيضًا ــ لما أنزل الله .

نشرت جريدة (الأهرام) في عددها الصادر بتاريخ ٩/ ٤/ ١٩٨٤م مقالًا وان (ردة في عالم المرأة) للفيلسوف الهرم (الذي أفنى عمره داعية لثقافة لغرب ، وكارهًا للحياة في ظلال الإسلام ، إنه الرجل الذي رُشّح لاقتعاد محل الصنم الضال (طه حسين) بعد هلاكه ، والذي أنفق ردحًا من عمره في دراسة الفكر المادي الذي كانت قمته كتابه المعروف بـ (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى آخر : اتهام مفهوم (الغيب) بأنه (خرافة) ، وانكار كل ما سوى المحسوس ، تبعًا لمدرسة الفيلسوف الملحد (أوجست كونت) تلك المدرسة التي يفاخر فيلسوفنا الهرم بأنه يمثلها)[٤٠٠] .

إنه الكاتب الذي (باع عقله للهوى ، وانضوى تحت لواء الأعداء ، فهو جندي من جنود الاستعمار الفكري والانحراف الخلقي)[٤٠١] .

إنه الرجل الذي لم يستح أن يجهر في (الأهرام) بقوله : (من الخطأ الظن بأن التشريع الإلهي قد غطى كل معضلات الحياة)[٤٠٢] .

(*) استفدت كثيراً من فقرات هذا الفصل من كتاب «صحوة في عالم المرأة» للدكتور عبد الحي الفرماوي حفظه الله .

(٤٠٠) انظر (رجال اختلف فيه الرأى) ص (١١٥ ــ ٢٢٤) .

(٤٠١) (الاعتصام) عدد / رمضان ١٤٠٤هـ / يونيو ١٩٨٤م ــ ص (١٠) .

(٤٠٢) (الصحافة والأقلام المسمومة) ص (٢١٥) نقلًا عن (الأهرام) .

لقد أثار الفيلسوف الهرم في مقاله (قضية المرأة)، ومن خلال هذه القضية أثار قضية أخرى أخطر وأهم، وهي قضية ارتباط جيلنا بدينه وأسلافه المسلمين أكثر من ارتباطه بجيل الآباء، ورأى الكاتب في هذا الارتباط خطراً ووبيلاً على الفكر والأمة والمستقبل.

وأول ما يفجع القارىء أن يرى الكاتب يعنون مقالته بقوله (ردة في عالم المرأة) فلربما يستبشر القارىء ويخيل إليه من أول وهلة أن الكاتب يقصد استنكار الحال الذي وصلت إليه بعض النساء اللاتي ارتددن عن الإسلام بأن تكون منهن ـــ مثلاً ـــ مَنْ قد أنكرت ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو استحلت شيئاً حرمه الله، أو أنها اتهمت شرع الله بالنقص، أو طعنت في حكمه سبحانه وتعالى، أو اتهمت الإيمان بالغيب بأنه (خرافة) مثلاً .

ولكن القارىء المسلم لا يلبث أن يُصْدَمَ شعوره حين يرى الكاتب منكوس القلب، منكوس الرأى، مطموس البصيرة، مركوس السريرة، قد رأى الأشياء على عكس حقائقها كالمريض الذي فسد مِزاجه، فإنه يحس بالأشياء على خلاف طبائعها:

وما على العنبر الفواح من حَرَجٍ أن مات من شمه الزبال وَالجُعَلُ

فتراه كالجُعَلِ الذي اعتاد الخبائث، فهو يندفع إليها، ويسقط عليها، وينفر غاية النفرة أو يموت من الروائح الطيبة.

فالمرأة المسلمة عنده (مرتدة) لأنها كفرت بفكر (مرقص فهمي) و (قاسم أمين) و (سعد زغلول) وأمثالهم، ورضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً .

والمرأة المسلمة في نظره قد أصابتها (نكسة) لأنها كفرت بهدي شعراوى وصفية

زغلول ودرية شفيق وأمينة السعيد ومن على شاكلتهن في حين أنها عادت تلتمس القدوة في أمهات المؤمنين ونساء وبنات المهاجرين والأنصار، ومثيلاتهن من خيرات نساء العالمين الطاهرات المحصنات المؤمنات الخاشعات رضي الله عنهن.

والمرأة المسلمة عنده (نكصت على عقبيها) لأنها سترت عورتها، وحجبت بدنها، وأطاعت زوجها، ووقفت حياتها على أولادها، ورفضت أن تقتدي بـ (هدى شعراوى) التي ألقت حجابها في البحر عند شواطىء الإسكندرية، وأبت أن تتأسى برائدات (الفن) من الراقصات والفاسقات، وداعيات (الموضة) من الصهيونيات والماسونيات.

ويبدو أن الرجل لا يقصد بمقاله المرأة وحدها، بل يقصد إدانة الاتجاه العام السائد بين الشباب والذي يرمي إلى استلهام لتصور الإسلامي في بعث الأمة الإسلامية، والوصول بها إلى واقع جديد يختلف عن واقع الهزيمة والتخلف والظلم، وهاهو يهاجمنا — نحن المسلمين — في أخص ما نملك، وأعز وأغلى ما عندنا ألا وهو ديننا الحنيف، ومن هنا، وقبل أن نتتبع أقواله ينبغي:

أولاً: أن نرفع اللبس والإبهام والتعتيم عن كلمة (المرأة المصرية) التي يتحدث عنها، فنقول إنه يعني بالمرأة المصرية (المرتدة، الناكصة على عقبها، المتنكسة، الرجعية، التي تعيش مأساة .. إلخ) المرأةَ المسلمة ..، فالمرأة المسلمة المصرية وحدها هي المقصودة وهي المستهدفة بسهامه المسمومة، وأفكاره المحمومة، وفتنته المضلة التي تطل برأسها بين الحين والحين، والتي (زُرِعَتْ في أرحامِ بلادٍ غير بلادنا، ووُلِدَت في أكنافٍ غير أكنافنا، ولكنها زرعت خصيصاً للمسلمين، وولدت خصيصاً للمسلمين، وصُدِّرَتْ منهم خصيصاً للمسلمين)(٤٠٣).

(٣، ٤) راجع ص (٧٩ — ٨١).

ثانياً : أن نحدد هدف هذا المقال، وهو كما يمكن استخلاصه من عباراته: التصدى لظاهرة (عودة الحجاب)، والدعوة صراحة إلى خلع الحجاب، وإلقائه في البحر، وإغراقه في اليم، ليصبح نسياً منسياً، وبالتالي: محاكاة المرأة الغربية في كل ما تأتي وتذر.

بيد أن الهدف يتسللُ بين السطور على استحياء، ويدخل على الناس ممتطياً حلو الكلام، ولين الحديث، وبريق الخداع، قال تعالى في وصف المنافقين : ﴿ **وإن يقولوا تسمع لقولهم** ﴾ المنافقون (٤)، وقال ﷺ : (إن من البيان لسحراً)[٤٠٤].

ولعل أبرز ما يتميز به الكاتب أنه يتقن الصنعة اليهودية القديمة وهي حرفة « التبديل »، وعكس المعاني، فإنك لو عكست أكثر كلامه لكان هذا الأكثر هو الحق، فهو كمن « يمشي مُكِبًّا على وجهه »، وهو كالذين ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ المائدة (١٣)، وهو في صده عن سبيل الله وتنفير المسلمات عن الحجاب وطاعة الله ورسوله ﷺ مثل ﴿ **الذي ينهى عبداً إذا صلى** ﴾ (العلق : ١٠) ومثل الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾التوبة (٦٧)، وبقوله سبحانه : ﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** ﴾ آل عمران (١١٨)، وبقوله عز وجل : ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ محمد (٣٠).

فالكاتب في الحقيقة هو المنتكس المرتد إلى الجاهلية حين يرى طاعة الله ورسوله ردة، قال تعالى : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ (المائدة : ٥٠)، وقال تعالى : ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ (الأحزاب : ٣٣)، والكاتب الذي يصف عودة المرأة المسلمة إلى

---

(٤٠٤) رواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الله وعودتها إلى الحجاب بأنها قد خرجت بذلك من ضوء النهار إلى غسق الظلام والله عز وجل يقول : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** ﴾ البقرة (٢٥٧)، والله تعالى يقول : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون** ﴾ الأعراف (٣)؛ هو الناكص على عقبيه .

والكاتب الذي يدعو المرأة إلى دخول عصر النور الذي بدأ في زعمه بإلقاء الحجاب في البحر على شواطىء الإسكندرية، وانتهى إلى ما نعلمه اليوم على شواطيء الإسكندرية هو شيطان الظلام وليس الدعاة إلى الإسلام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

والمأساة التي يتصور الكاتب أن المرأة المسلمة تعيشها اليوم لا وجود لها إلا في قوله الفاسد ورأيه الكاسد، وإنما هي من صنع نفسه التي سولت له أن المجتمع يرفض دعوته ودعوة أمثاله من شياطين الإنس، ولن يؤثر في عقل المرأة اليوم وسوسة شيطان يدعى أنها بهذا الاختيار تكون « تابعة » أو « خاضعة » لأحد من البشر، إنما هي متبعة لأوامر ربها، وخاضعة لحكم الله رِبِّ العالمين، تتحجب صيانة لنفسها، واستجابةً لشرع الله، وترفض السفور لأنه دعوة الشياطين ووسوسة الذين في قلوبهم مرض.

إن (المأساة) حقاً هي التي تعيشها المرأة في التعليم المختلط والنوادي المختلطة والشواطيء المتجردة من ثوب الحياء.

إن (المأساة) حقاً هي واقع أمثاله من دعاة (تدمير المرأة) الذين وقفوا حياتهم على هدم حصون الإسلام، وعرقلة مسيرة الصحوة الإسلامية، أما أن تعيش المسلمة في مأساة لأنها تحجبت بمحض اختيارها فقد :

﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾ الكهف (٥).

يقول صاحب (الردة) : (المرأة اليوم ـــ بعد كل ما صنعته أخوات لها من بنات الجيل الماضي لترفع عنها نير الهوان ـــ تتبرع سلفاً بحجاب نفسها، قبل أن يأمرها بالحجاب والدٌ أو زوج، فكأنها بذلك الحجاب الطوعي تقف على مئذنة لتصيح في الناس : ها هي ذي سلعة من عهود الحريم لمن يشتري) اهـ.

ويلك يا شيخ التغريب ! لقد قلبت الأمور رأساً على عقب.

ما مقصودك بهذا ؟

أنت مطالب ببيان الفرق بين « الإنسان » وبين « السلعة »، ثم إثبات أن المسلمين قد عاملوها معاملة السلعة ببراهين وأدلة صحيحة، أما الكذب والفجور فكل خبيث ساقط منسلخ من الدين لا يعجز عنه، ولا يهابه، لأنه غذاء قلبه وروحه :

لي حيلة فيمن ينم ... وليس لي في الكذب حيله
من كان يخلق قوله ... فحيلتي فيه قليله

إن مجرد إحصان المرأة في البيت لا يقضي بكونها سلعة، فإن السلع لا تختص بالأحراز في البيوت، بل أكثر السلع تعرض في الأسواق والمجامع وفي كل مكان، بل السلع التي تُحْرَزُ أنفسُ من السلع التي تُعْرَضُ في كل محل، وليس مجرد المعاوضة يوجب التشبيه بالسلع.

ومن المسلَّم به في عالم التجارة، وفي قانون العرض والطلب، أنَّ على أصحاب السلع أن يحسنوا عرضها على الناس، فيكشفوا عنها حتى يتعرف الراغبون في شرائها على مزاياها، والأمر هنا مختلف جد الاختلاف، إذ إن المرأة في حالتنا هذه : تخفي مفاتنها، فتحجب عن الناس رؤية وجهها وهو أمارة الجمال وعلامته، فهي إذن لم تحاول عرض نفسها كسلعة تباع وتشتري، ولم تناد من فوق مئذنة بصوت خفيض أو

جهوري ، لأنها أكرم على نفسها من هذا الوصف المهين الذي لا يليق بالمسلمة المحجبة ، ولكنه أليق بتلك التي خلعت حجابها على شواطىء الإسكندرية لتدخل « عصر النور » في زعمك ، فأنت في الحقيقة الذي جعلتها سلعة ، لأنك أعرضت عن كل ما شرعه لها ربها ورسولها ﷺ من الحقوق التي هي غاية العدل والإحسان من العفة والإحصان والصيانة والتكريم ، والتعليم الصحيح ، وأنت الذي سلكت فيها مسلك السلع المبتذلة ، وطلبت منها أن تخرج من بيتها لتخالط الرجال باديةً عوراتها ، وأن تنطلق إلى عصر « النور » لتكون رائدة في « الفن والموسيقى والرقص » ، وأن تعمل « مضيفة » في الطائرة و « بائعة » في المحلات و « سكرتيرة » في الإدارات ، وأن تمرح وتسرح وتذهب وتجيء كالسائمة المهملة كيف شاءت شهواتها .. أليس هذا هو شأن « بعض » السلع المبتذلة ؟!

كلا ليست التوبة ردة ، وليس النور ظلاماً ، وليست اليقظة مأساة ، بل هي « صحوة » مباركة أدركت المرأةَ بعد أن عثرت على ذاتها التي ضاعت في عصر « الثورة » ، فلما عاد إليها صوابها أدركت بعقلها وسليقتها وفطرتها حاجتها إلى أن تحتمي بنور الإيمان ، فأسبغت على نفسها ملابسها ، وغطت رأسها ، وبذلك عادت إليها روحها أصيلة ، وهي راضية ، حيث رجعت من تلقاء نفسها إلى طاعة ربها ، (قبل أن يأمرها بذلك والد أو زوج) كما يعترف الفيلسوف الهرم ، وهذا هو السمو الخلقي والروحي الذي لا سمو يعلو عليه .

فما الذي رابك أيها العجوز من ستر الأجساد وصيانة الأعراض ؟ وما الذي تعيبه على نساء مسلمات عرفن أن الله سبحانه وتعالى هو ربهم الواحد الجدير بأن يطاع لا شياطين الشرق والغرب من أعداء الله ورسوله والمؤمنين ؟!

فإن كنت ترثي للمحجبات لأنهن في زعمك (مرتدات) فأولى بك أن ترثي لنفسك وقد تماديت في غيك وضلالك وأنت ابن الثمانين ولم يزدك تطاول السنين إلا

تهوراً واستكباراً عن الرجوع إلى الله والتكفير عن الصد عن سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: (أعذر الله إلى امرىء أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة) رواه البخاري، وقال رسول الله ﷺ: (لقد أعذر الله إلى عبدٍ أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه) رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمقصود أنه سبحانه لم يُبْقِ فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة.

إن المسلمة المحجبة يهمها أولاً أن تنجو من عذاب النار، وغضب الواحد القهَّار، ولا يهمها بعد ذلك أن تنجو من اتهام الأقزام أمثالك بالردة أو الرجعية أو النكسة أو النكوص على الأعقاب أو التزمت أو التطرف.

فإن المؤمنين والمؤمنات تعودوا على هذا المسلك من أعداء الدين فيما مضى، ولابد من أن يعيد التاريخ نفسه (ولكل قوم وارث) وقد سبق الكاتبَ من هم على شاكلته بهذه السخرية وذلك الاستهزاء كما قال تعالى: ﴿**وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾ المائدة (٥٨) وقال تعالى: ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون** ﴾ الآيات (المطففين ٢٩) فالمهم من يضحك أخيراً ﴿ **إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ هود (٣٨) وقال عز وجل: ﴿ **زُيِّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتَّقَوْا فوقهم يوم القيامة** ﴾ البقرة (٢١٢).

هذا، وإن هذه الدعاوي التي رمي بها (الفيلسوف الهرم)، والمهانة التي ألحقها بكرامة المرأة المسلمة لو أن أكفر يهودى ادعاها على شعب أو أمة لكان لابد أن تعامله معاملة أعدى عدوٍّ لها فكيف بأمة الإسلام وكيف بنساء المسلمين !.

ويتمادى الكاتب في عدوانه ليصف ظاهرة (عودة الحجاب) بأنها (موجة رجعية عاتبة نثرت رذاذها في كل اتجاه حتى أصاب المرأة ما أصابها).

نقول : إن التقدم الفكرى ليس له صلة بكشف العورات أو إلهاب الشهوات ، لأن الشهوة هي التي تطفىء العقل، وتذهب باللب ، وإلا فإن الحيوانات العارية التي تقارف الشهوة في قارعة الطريق أدنى — في نظرك وبهذا المنطق المسموخ — إلى التقدم الفكري، وكأنك بهذا النهج الذي يدل على (التخلف الفكري) تصف النساء المسلمات منذ عصر النبوة حتى بدأ غزو الحضارة الغربية بالتخلف والجمود والانحطاط ، ولا يستبعد صدور هذا من أمثالك .

ولعمر الحق .. إن أقل امرأة منهن — ولو كانت أمية جاهلة بفلسفتك — لهي أدنى إلى الحق والصواب والحكمة منك ، لأنها آمنت بدين الله والتزمَت أوامر الله بفطرتها ، أما أنت فقد فسدت فطرتك ، حين ضيعت عمرك في فلسفةٍ أكثرها سفه ، وأعرضت عن علم الوحي والحكمة ، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ، إن عودة المرأة إلى جادة الصواب ليس رجعية ، ولكنه تعبير فطري بجانب أنه تعبير عقائدي ، تسعى إليه الفطرة السليمة التي تأبى الفوضى الاجتماعية .

وعقد الكاتب مقارنةٍ هزيلة بين (الليلة) و (البارحة) في حياة (المرأة المصرية) فقال — عامله الله بعدله — (ألا ما أبعد الفرق في حياة المرأة المصرية بين الليلة والبارحة ، ففي بارحتها ألقت بحجابها في مياه البحر عند شواطىء الإسكندرية ، إيذاناً بدخولها عصر النور ، وأما في ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجاباً يرد عنها ضوء النهار) اهـ .

نقول : نعم ! (إن المرأة المصرية حين ألقت بحجابها في بداية القرن العشرين في مياه البحر عند الإسكندرية إنما ألقته عندما كان البحر الأبيض المتوسط في حالة الجزر ، فانحسرت الأمواج عن شواطىء الإسكندرية وهي تحمله فوق زبدها ، فلما أسبل الليل سدوله ، انتشر الظلام ، وهبت الريح العاتية ، وخضع البحر لعوامل المد ، فزحف الموج عائداً إلى الشاطىء حاملاً مع ما فوقه من الزبد « الميني جيب » ، فالتقطه قلة

من المصريات ، وفرحن به ، فارتدينه أسوة بأخواتٍ لهن في أوربا وأمريكا ، فكشفت كل واحدة منهن عن ساقيها ، وسرن بهذا اللباس في الطرقات ، وذهبن به إلى بعض أماكن العمل ، ثم دار الزمان دورة أخرى ، وجاء ليل مظلم آخر ، وسيطر على البحر عامل المد مرة ثانية ، وزحف الموج كعادته عندما يعم الظلام قاصداً شواطىء الإسكندرية ، وحاملاً « ملابس البحر » فوق زبد الموج الزاحف ، فهرعت إليه قلة قليلة من فتياتنا وأعجبن به كما أعجبت به من قبل أخوات لهن في أوربا وأمريكا فارتدينه ، وسرن به شبه عاريات على بعض شواطىء الإسكندرية ، واستمر سيرهن على هذا الحال ..)[٤٠٥]اهـ حتى شاء الله أن يعود لهؤلاء الفتيات أو لقسم كبير منهن (الوعي) بحقائق الإسلام التي جهدت مدرسة (السفور) أن تطمسها .. ، وعاد الوعي بأباطيل خصوم الإسلام ومؤامراتهم .. ، وعاد الوعي بحقيقة (الرائدات) والرواد الذين أضرموا فتنة مايسمى بـ (تحرير المرأة) .. وكانت نتيجة ذلك كله ضرورة أن (عاد الحجاب) .

إن الفرق بين نهار المرأة المسلمة المحجبة وليلتها البارحة هي أنها أدركت أنكم يا شياطين الظلام تعيشون في حالة (ردة) عن دين الله القويم ، إلى الجاهلية الأولى ، و (نكسة) إلى الفرعونية الوثنية ، و (مأساة) يرثى لكم من أجلها من أنعم الله عليهن بالهداية إلى الصراط المستقيم .

ولعل من أغرب ما في كلام الفيلسوف الهرم أن أكثر ما يشعل النارَ نارَ الغيظ في قلبه هو أن الفتيات يرتدين الحجاب طوعاً لا كرهاً ، بمحض اختيارهن وقناعتهن الذاتية و (حريتهن الشخصية)، فإذا كان هو أحد دعاة احترام (الحرية الشخصية) و (حرية الرأى) فما الذي يكيده ويغيظه سوى الحقد الأعمى على الإسلام والمسلمين ،

---

(٤٠٥) من مجلة (الأزهر) عدد رمضان ١٤٠٤هـ، يونيو ١٩٨٤م، من مقالة الأستاذ عبد المنعم عمر بعنوان (حجاب المرأة عودة للتمسك بالدين والعفة والفضيلة) ص (١٤٨٤).

والكيد الرخيص لمعاندة شرع الله ﴿ **قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور** ﴾، ولماذا لم تصدر منه عبارة واحدة في إستنكار صور الانحراف الأخلاقي في المجتمع وما أكثرها، وإنما الذي إستحق أن يلفت نظره هو فتيات آمنَّ بالله سبحانه وصَدَقن في إتباع رسوله ﷺ، وحجبن عوراتهن عن نظر قوم فاسقين لا خلاق لهم ولا خلق، لا تعني « حرية الرأى » عندهم إلا « حرية الفسق والفجور ».

ثم عقد الفيلسوف الهرم مقارنة أخرى بين الشباب الثائر في العالم وبين الشباب المسلم في بلادنا فقال : (بينما الشباب الثائر في البلاد الأخرى كان يحتج على أوضاع الحياة الراهنة وبطء حركتها نحو المستقبل الجديد المأمول، رأينا ثورة شبابنا تحتج هي الأخرى على أوضاع الحياة الراهنة، وتدعو إلى عودة بها إلى نموذج السلف)[٤٠٦] اهـ.

هكذا يرتمي الكاتب ثانية في أحضان أوربا وأمريكا، ويجتهد في التمسح بالغرب حتى في فساد عقول شبابه.

إن الفرق جد واضح بين هذا وذاك.

إن ثورات الشباب في أمريكا ظهرت بالانحلال وعدم المبالاة والجرى اللاهث وراء « اللا معقول »، بل محاولة كل ما ليس بمعقول، فظهرت هناك ــ الكل يعلم ذلك ــ فرق الخنافس والهيبز وسائر الفرق الحشرية، ... وانتشر بينها تعاطي الماريجوانا، والحشيش وعقاقير الهلوسة، وشاع بين أفرادها الفحش والانحراف، والانتحار الجماعي .. إلخ.

ولسنا بصدد الحديث عن (مظاهر) تلك الفوضى تاريخاً وأسباباً، ولكن نريد أن نثبت : أن التنطع على أبواب الغرب، والتمسح بعتبات الغرب، مرض استشري في كثير من كتابنا.

---

(٤٠٦) « بريد غاضب » الأهرام (٨٤/٥/٧).

فهل الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ... متأثرون بثورات الشباب الغربي الماجن ؟

وهل المسلمة التي تتحجب ابتغاء رضوان الله متأثرة بالفتيات الأوربيات اللاتي لا يعلم كثيرات منهن لهن أباً أو أماً أو بيتاً، ويتسكعن على الأرصفة هنا وهناك في أزقة عالمهن المادي الكافر ؟

وهل من يتأثر باطنه بظاهره فيصدق الحديث، ويفي بالعهد، ويؤدي الأمانة، ويصبح ــ هو أو هي ــ عضواً نافعاً في الجماعة التي يحيا بينها، ويشيع الطمأنينة والراحة النفسية بينه وبين كل من يتعامل معهم،

هل نقول عنه : إنه متأثر بثورات الشباب الذي يدفعه اليأس والضلال كل يوم إلى مزيد من العنف، والجرائم الخلقية، ومزيد ــ كذلك ــ من الانتحار ؟!! أم كنت أيها الفيلسوف الهرم تحب أن يكون شبابنا وبناتنا كهؤلاء حتى لا يكون « الصدى جاء عندنا ــ كما تقول ــ ليعكس الترتيب الطبيعي للأوضاع » ؟؟

ويثير صاحب (الردة) شبهة طالما يحلو لأمثاله أن يرددوها، وهي أن هذا الحجاب (نموذج نقل إلينا عن آخرين، فوجد ذلك النموذج ترحيباً من الشباب اليائس) اهـ .

نقول : إن كان قصدك بالآخرين : صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ونساءهم رضي الله عنهن، والتابعين لهم بإحسان من المؤمنين والمؤمنات، الممتثلين والممتثلات لشرع الله سبحانه وتعالى، في أي مكان وجدوا، أو في أي زمان عاشوا، منذ أن كان الصحابة وإلى زماننا هذا ..

فنحن نوافقك في ذلك تمام الموافقة، مع تصحيح بسيط جداً، وهو أن الذين رحبوا بهذا (النموذج المبارك) ليسوا هم الشباب (اليائس) لكنهم الشاب (المؤمن)،

والمؤمن لا ييأس أبداً لقوله تعالى : ﴿ **ولا تيأسوا مِن رَّوْح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ يوسف (٨٧)، فمهما بلغ الأمر بالعاصين والمفرِّطين فهم لا يزالون يستمعون وينصتون إلى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ الزمر (٥٣).

وإن كان قصدك بالآخرين الذين نقل عنهم ذلك النموذج غير هؤلاء .. فخبرنا بربك عنهم .. لتزداد سعادتنا نحن المسلمين بهم، ونزهو بكثرة أتباع رسول الله ﷺ الذين تعرفهم أنت .. ولا نعرفهم نحن.

ثم يؤرخ صاحب (النكسة) لبداية ظهور « مأساة » (عودة الحجاب) فيقول : (لقد بدأت هذه الموجة المتحفظة مع شبابنا ــ ذكوراً وإناثاً ــ بعد نكسة ١٩٦٧م، ثم أخذت في التضخم والاتساع، حين وجدت من ينفخ لها النار، حتى أصبحت « ظاهرة » في حياتنا الاجتماعية) اهـ.

ثم يحاول صاحب (الردة) أن يعلل هذه الظاهرة الخطيرة التي أَقَضَّتْ مضجعه فيقول: (ماذا حدث فأحدث في حياتنا الاجتماعية تلك المفارقة ؟ والذي حدث ــ أولاً ــ هو هزيمة ١٩٦٧م؛ فنتج عن تلك الهزيمة ــ ثانياً ــ شعور قوي بالإحباط واليأس وانسداد الطريق أمام الشباب قبل سواهم) اهـ.

والخطأ الأول الذي وقع فيه (صاحب الردة) هو في تحديد تاريخ (امتثال المؤمنات لأوامر الله عز وجل) ولا نقول تاريخ (الظاهرة) .. فإنه لم يبدأ بعد النكسة، ولكن قبلها ومنذ زمن بعيدٍ بعيدٍ جداً.

ولكن صاحب (الردة) لا يعرف ذلك التاريخ، وهو أمر سيىء.

أو : يعرف، ولكنه يغالط ويغش ويخدع .. وهو أمر أسوأ.

وعلى كلا الاحتمالين : فلقد بدأ الامتثال :

١ ــ يوم أنزل الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ في سورة الأحزاب : ﴿ **يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ الأحزاب (٥٩).

٢ ــ يوم أن أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ فقال في سورة النور : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليُعْلَمَ ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ النور (٣١) .

٣ ــ يوم أن قال تعالى آمراً أمهات المؤمنين ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ الأحزاب (٢٣) ولسائر المؤمنات فيهن أسوة .

٤ ــ ويوم أن أمر الله عز وجل المؤمنين بقوله في حق أمهات المؤمنين : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ الأحزاب (٥٣) وغيرهن من المؤمنات أولى بذلك .

٥ ــ ويوم أن أثنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الممتثلات لأمر الله سبحانه وتعالى في قولها : (يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل الله : ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن أَكُفَّ مُروطهن، فاختمرن بها) .

ويومَ ... ويومَ ... ويومَ ...

فإن كنت تعرف تلك (الأيام الكثيرة الحافلة) خاصة وأنك تزعم أن القرآن

كتابك كما هو كتابنا .. فأنت تخدع نفسك، وتكذب على ربك، وتغش القارئين.

وإن كنت لا تعرف : فأنت ــ بالتالي ــ لا تقدر ما تقول قدره.

المهم : أن المسلمين حافظوا على هذا الامتثال ــ ذكوراً وإناثاً ــ غير من شذ منهم، وعصى الله سبحانه وتعالى، وخالف تعاليم النبي ﷺ.

وظل الأمر على ذلك : حتى كانت تلك الفترة التي تُغْدِقُ عليها آيات التمجيد، وتعطرها بالفخر والثناء، وهي الخمسون سنة التي بدأت مع مطلع هذا القرن، وهي التي أسميتها « بارحة المرأة المصرية ».

وفيها .. وبعد التزام المرأة المسلمة المصرية لتشريع الله تعالى طيلة هذه القرون .. رأينا : أول امرأة مصرية منتسبة إلى الإسلام .. تخلع الحجاب(٤٠٧)،

ورأينا كذلك : أول زوجة زعيم سياسي عربي ــ تقريباً ــ تظهر معه سافرة الوجه، في المحافل والصور(٤٠٨).

وتبعهما في ذلك من تبع ..

ورأينا من ينفخ لهن النار .. نار تلك الفتنة من أمثال صاحب (الردة)، بيد أنه قد بقيت الكثرة الغالبة منهن: تؤمن بالله رَبًّا، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وتلتزم بذلك قولاً وعملاً، وتجتهد في مرضاة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ في كل ما تأتي وتذر، وذلك قبل نكسة (٦٧)، وبعد نكسة (٦٧)، وستظل كذلك بإذن الله إلى ماشاء ربك .. دون أن تحتاج إلى من ينفخ لها النار كما يدعي صاحب « الردة ».

أما عن علاقة النكسة بـ (عودة الحجاب) :

---

(٤٠٧) وهي (هدى شعراوي) ــ انظر (الأعلام) للزركلي (٨/ ٨٧).

(٤٠٨) وهي (صفية زغلول) ــ انظر (سعد زغلول) ص (٢٠٤).

فلا ننكر أنها قد أثرت في تقوية هذا الاتجاه، لدى كثرة كثيرة من الناس، أيقنت بصدق شيئين، وهما :

أولاً : أن نكسة (٦٧) واحدة من الآثار المشئومة والنتائج الحتمية لبارحة المرأة المصرية، التي أخذت تتغشى المجتمع المصري كله بفسادها وضلالها وإنحرافها تحت ستار « تحرير المرأة »، وبعبارة أخرى: إن الحجاب لم يكن ثمرة النكسة بقدر ما كانت النكسة ثمرة التخلي عن الحجاب كمظهر من مظاهر التخلي عن الإسلام.

ثانياً : أن الخلاص من تلك البارحة التي إنساق المجتمع كله في تيارها، وسرت فيه عدواها، وأن التخلص من آثارها، ونتائجها الوخيمة لا يكون، ولن يكون ــ إلا بالعودة إلى الله تعالى، والالتجاء إلى حماه، والالتزام بشرعه، والامتثال لمنهجه .. توسلاً لمرضاته تعالى وطاعة رسوله ﷺ.

وبعبارة أخرى : أن التخلص من آثار (العدوان) اليهودي لن يتم إلا بالتخلص من آثار العدوان العَلماني على شريعة الله عز وجل، وأن الصوت الوحيد الذي ينبغي أن يعلو كل صوت هو الذي يدوي قائلاً: ﴿ **إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (يوسف : ٤٠).

وقد ظهر ذلك كله في الجنود المسلمين يوم دَكُّوا خط (بارليف) بصيحة (الله أكبر) قبل أن يدكوها بسلاحهم، ويوم تجاوبت أصداء البلاد بالمطالبة بالحكم بما أنزل الله وتحرير البلاد من الاستعمار (التشريعي)، ويوم كانت عودة المرأة إلى الحجاب (رمزاً) صامتاً يصفع أحلام الرائدات والرواد الأول، ويتحدى مؤامرات اللاحقين من دعاة (النهضة) النسائية ــ أستغفر الله : بل (الكبوة) الشيطانية.

صـدق، وهو كـذوب :

● ومن عجيب أمر صاحب (الردة) أنه فهم من أمر الحجاب معنى زائداً على ما يفهمه كثير من بسطاء المسلمين في هذا الزمان، وهم الذين يصفون كل ما يمت إلى المظهر الإسلامي بصلة كالحجاب واللحية ... إلخ بأنه (قشور وفرعيات) لا ينبغي أن تشغل حيزاً من اهتمام المسلمين.

أما صاحب (الردة) فقد فطن إلى أن الحجاب (رمز له دلالته) في قوله :

(ولم يكن أحد ليعلق بكلمة واحدة على قطعة من ثياب امرأة، اختارتها كما يختار أي إنسان ثيابه التي تلائم ذوقه، لكن الموقف يتغير إذا أريد بقطعة معينة من الثياب أن تكون رمزاً له دلالته) اهـ.

وهذا حق .. فإن (الحجاب) عند نساء المسلمين و (اللحية) عند رجالهم وغيرهما من المظاهر الإسلامية المتميزة بجانب أنها طاعة لله سبحانه ولرسوله ﷺ، إلا أنها أيضاً (رمز) لتحدي الواقع الجاهلي الحريص على طمس معالم الشخصية الإسلامية، وهي (تعبير صامت) عن الحنين إلى جذورنا الأصيلة الضاربة في أعماق التاريخ، والتي جعلت من سلفنا خير أمة أخرجت للناس، وهي أخيراً (راية) على وجوه المسلمين رجالاً ونساءً تؤكد استعلاءهم على مؤامرات أعداء الإسلام الذين يقف معهم صاحب (الردة) في خندق واحد حاملاً (قوسه المشدودة إلى صدر الإسلام، وقد شحن بالتحفز، حتى إذا ما ارتخت عنها قبضة الرامي ارتدَّت إلى نحره، وكان فيها حتفه بإذن الله) ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ الشعراء (٢٢٧).

ولما كان من المستحيل أن يجمع الإنسان بين إيمانه بالإسلام كما فهمه السلف الصالح وعملوا له، وبين الإيمان بمبادىء (العلمانية) و (الليبرالية)[٤٠٩]، ولما كان

---

(٤٠٩) تعني الليبرالية (أي : التحررية) رفض الخضوع لسلطان الدين، والتسليم بقضاياه، والوقوف عند ـ

الاقتداء بالسلف الصالح ينافي دعوة (المتغربين) إلى الاقتداء بفلاسفة الغرب ورجالاته ..

ولما كانت قوة المسلمين منوطة بمدى انتهاجهم النهج السلفي القويم .. رأينا (شيخ التغريب) لا يفوته أن يربط (عودة الحجاب) بـ (سلفية الشباب والفتيات) على أن هذا الرباط من الأمور التي أزعجته، وجعلته يجرد قلمه المسموم ليحذر من هذه (الموجة الرجعية العاتية) فيقول : (لقد أصبحت هذه الموجة المتحفظة ظاهرة في حياتنا الاجتماعية، ولا أظن أن لها شبيهاً في بلدان أخرى كثيرة، والظاهرة التي أعنيها هي أن يكون الجيل الأكبر في معظم الأسر، أو قل في كثير منها، أقل نزوعاً إلى تلك المحافظة من الجيل الأصغر، ففي حالات كثيرة نرى الأم سافرة وابنتها محجبة .. وفي حالات كثيرة أيضاً ترى الوالد حليق اللحية وابنه مرسلها على هذا النحو أو ذاك، وإنها لمفارقة شديدة في أى مجتمع : أن ترى الجيل الأصغر منه سلفياً بدرجة تزيد على الحد المألوف، وترى الجيل الأكبر منه أقل سلفية ــ في ظاهرة على الأقل ــ من أبنائه وبناته) اهـ.

وقال في « بريده الغاضب » : (بينما الشباب الثائر في البلاد الأخرى، كان يحتج على أوضاع الحياة الراهنة، وبطء حركتها نحو المستقبل الجديد المأمول، رأينا ثمة شبابنا تحتج هي الأخرى على أوضاع الحياة الراهنة، وتدعو إلى عودة بها إلى نموذج السلف) هـ.

لقد أُتِيَ الفيلسوف الهرم من عقدة الخضوع للمفاهيم الغربية الشائعة والانسياق وراءها ظناً منه أنها مطابقة للتصورات المماثلة في المجتمعات الإسلامية، فمال هو وأمثاله إلى الغض من الاتجاه السلفي وأصحابه، ونفروا الناس، منه وقاموا بحملة تشهير ظالمة ضده.

= حدوده، والتزام أوامره ونواهيه، في تنظيم المجتمع ورسم سياسته، انظر : (الإسلام والحضارة الغربية) للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ص (١١٦ ــ ١١٨).

ولنقف هذه الوقفة مع هذا المصطلح الشريف : « السلفية »[٤١٠] .

(فمن حيث المصطلح أصبحت « السلفية) عَلَماً على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف ، من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، وكل من تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عُيينة ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك ، والبخاري ، ومسلم ، وسائر أصحاب السنن ، وشمل شيوخ الإسلام المحافظين على طريقة الأوائل ، مع تباين العصور ، وتفجر مشكلات وتحديات جديدة أمثال ابن تيمية ، وابن القيم ، ومحمد بن عبد الوهَّاب ، وكذلك أصحاب أغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا ، وكانت ذات أثر واضح في تنقية مفاهيم الإسلام ، ودفعه إلى الأمام لمواجهة الحضارة والتطور ، وللكشف عن جوهر الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة القادرة على الحياة في كل جيل وكل بيئة) .

(ومن حيث المضمون ، تعني السلفية في الإسلام التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشامخة وقمته الحضارية ، كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الأولى المفضلة ، وفيها تحقق الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي ، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد ، وبياناً لدور الإنسان في هذه الحياة ، وتنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة ، في الاجتماع والاقتصاد والسياسة وروابط الأسرة وفضائل الأخلاق .

والسلفية كمصطلح تعني أيضاً في مدلولها الخاص ـــ الاقتداء بالرسول ﷺ ، فإن أمتنا تنفرد بمزية لا تشاركها فيها أمة أخرى في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، تلك هي تحقق القدوة في شخصه ﷺ ـــ إذ حفظت سيرته كاملة محققة بكافة

(٤١٠) انظر (قواعد المنهج السلفي) و (السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية) للأستاذ الدكتور مصطفى حلمي .

تفاصيلها، فنحن نعلم عنه كل شيء وفقاً لما نقل إلينا في كتب وعلوم مصطلح الحديث بأدق منهج تاريخي علمي عرفه المؤرخون.

وهكذا فإن السيرة النبوية حية في كياننا، ونحن نعيشها كل يوم، وهي تمثل القمة للسلفيين، وتطبيق الشريعة الإسلامية ممتد على طول الزمن لا يتعلق بعصر دون آخر، بل إن كل جيل من المسلمين مطالب بتنفيذ أصولها النصية مع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص عند مواجهة أحوال الحياة المتغيرة كما هو معروف في أصول الفقه.

وإزاء خطط الغزو الفكري ومظاهر الاشتباك العقلي مع خصوم الإسلام صمد السلفيون للمحافظة على جوهر الإسلام وأصوله، إيماناً بأنه لن يظهر زيف هذه العقائد والنحل إلا بطريقة السلف أنفسهم مهما تغيرت الأزمنة والأعصار، لأنها طريقة موضوعية ذات أسس علمية منهجية، تعتمد على النصوص الشرعية الموثقة، فهناك مسائل ثابتة لا تتغير: كفطرة التوحيد، ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات عامة، ونبوة رسول الله ﷺ خاصة، والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في كل ما انحرفوا به عن الشرع المُنَزَّل، مع دحض شبهات الملحدين والمشركين.

هذا فضلاً عن ثبات الفضائل الأخلاقية، وقواعد التحليل والتحريم في المأكل والمشرب والملبس، وتنظيم العلاقات الاجتماعية في الأسرة والمجتمع، وإقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقاً لأصول الشرع، ولقد أصبحت الحركة السلفية هي الحركة الكبرى التي جددت الدعوة الإسلامية، ولولاها لهان على الغرب أن يستعبد الشرق روحياً وفكرياً إلى أمد بعيد.

فإذا كان المسلمون يتلمسون اليوم طريقاً للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح؛ والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي: عودة بالإسلام إلى مَعينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفي العصر الحديث يعمل السلفيون على استئناف الحياة الإسلامية على أساس هذا الفهم، وطبقاً للنظرة الرحبة الفسيحة لكل جوانب الإسلام كمنهج رباني شامل لا يعتوره نقص في أيٍّ من مجالات الحياة.

وقد اتفق المسلمون السلفيون على قاعدة اضطراد العلاقة بين تقدم المسلمين واستمساكهم بالإسلام، وعلى العكس تدهورهم وضعفهم عند الانسلاخ منه، فالعلاقة بينهما علاقة المد والجذر مع الإسلام والإيمان.

السلفية والتقدم :

يزعم خصوم الإسلام بعامة، والسلفية بخاصة أنها دعوة رجعية، وهو زعم خاطىء من جذوره، فلا تتعارض السلفية مع التقدم، لأن التقدم في الإسلام تقدم أخلاقي يمضي قدماً في تحقيق الرسالة التي نيطت بهذه الأمة، مع الأخذ بأسباب العمران المادي في نواحي الحياة كلها.

والقديم في تاريخ أوربا تعبير يطلق على العصور المظلمة في القرون الوسطى السابقة لعصر النهضة، ورفض أوربا لتاريخها القديم موقف عادي يتلاءم مع رغبتها في التقدم لأن الماضي يعد سبباً لتخلفها.

« وإذا قارنا الإسلام بمختلف ديانات العالم، عرفنا أن عقائدها منعت معتنقيها من التقدم الحضاري عندما استمسكوا بها، ودارس التاريخ يلاحظ أن أهل أوربا والبوذيين في اليابان على سبيل المثال، لما كانوا راسخين في معتقداتهم الدينية، كانوا على أسوأ ما يكون من أدوار التخلف، ولما أحرزوا لأنفسهم الرقي والتقدم في حياتهم العلمية والعقلية والمادية، ماعادوا مؤمنين بمعتقداتهم المسيحية والبوذية إلا اسماً .

أما المسلمون فعندما كانوا أقوياء في إيمانهم بمعتقداتهم صاروا أكثر أمم الأرض تقدماً وازدهاراً وقوة ومجداً، وما أن دب دبيب الضعف في إيمانهم بها حتى تخلفوا في

ميادين العلم ، وضعفوا في صراعهم للرقي الدنيوي ، وتحكمت فيهم واستولت عليهم أمم أجنبية ، وهذا فرق عظيم بين معتقدات الإسلام ومعتقدات الديانات الأُخرى في العالم »[٤١١] .

فالأمر عكسي بالنسبة لنا تماماً : فإن تاريخنا يعبر عن تقدم حضاري في كافة المجالات ، وإذا نحن طالبنا (بالترقي) إلى مستوى السلف ، فإننا نعني بذلك التمسك بالمفاهيم الإسلامية الشاملة للعقيدة والعبادة والشريعة وسائر الأنشطة الإنسانية التي منها ــ بلا شك ــ الحقل العلمي .

ولكننا في الوقت نفسه لا نزعم ــ ولا نظن أن عاقلاً يخطر له على بال ــ أن نضع الأمة الإسلامية في مُتْحَفٍ للتاريخ ! بمعنى أن نطالب بإرجاعها للأخذ بوسائل العصور السابقة في الحياة العمرانية بأساليبها في الإنتاج والنقل والتعليم والتطبيب وتشييد المدن ، وتجهيز الجيوش ، وبناء المدارس والجامعات والمستشفيات ... إلخ .

ويتضح لكل دارس للإسلام أن المفهوم الإسلامي للحضارة أرق بكثير من التصور الغربي ، فلا نحن نرضى بتخلف المسلمين الحالي عن تحقيق النموذج الإسلامي ، ولا نرضى في الوقت نفسه بتقليد الغرب في فلسفته ومضامينه الفكرية الشاملة .

أما نبذ السلفية بحجة التسابق مع الزمن ، واللحاق بكل ما هو جديد ، فمنهج خاطىء قائم على مفاهيم غربية متصلة بفلسفتها ، فإن ما نراه اليوم جديداً سيصبح غداً ــ وحتماً ــ قديماً ، فليست الموازنة إذن بين قديم وجديد موازنة صحيحة ، ولكن ينبغي أن تتم بالمقارنة بين الحق والباطل أيًّا كان العصر والزمن ، لأن القيم لا تتغير ، ولا تتبدل ، فليس الجديد مقدماً بالضرورة عن سلفه .

ولعلنا نصدم أصحاب دعوى التجديد المتغربين النابذين للسلفية عندما نضع

---

(٤١١) « المخاطر التي تواجه الشباب المسلم ، وكيف نتوقاها ؟ » للأستاذ الدكتور « مصطفى حلمي » ص (٤٨ ــ ٤٩) .

أمامهم الحديث النبوي : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٤١٢] والتجديد إنما يكون بعد الدروس، فالتجديد ارتقاء وتقدم بالأمة لتسلك طريقها مرة أخرى، كلما بعدت عن الصحيح الأصيل المتوارث.

ونحن نرفض تقليد الغرب، ونبحث عن الأصالة، ولا تأتي الأصالة بترقيع الشخصية، بل بالارتباط بالعقيدة التي كانت حجر الزاوية في كيان هذه الأمة، وينبغي هنا التمييز بين تقليد (مقومات الشخصية والعقائد والتصورات)، وبين النتائج العلمية، فلا وطن للعلم ولا جنسية للاكتشافات والأبحاث الإنسانية في الميادين المختلفة .. ولكن المشكلة هي اختلافنا الأساسي معهم على قواعد جوهرية تتناول عقيدة التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى وإفراده بالألوهية والربوبية، وماهية الإنسان، والغرض من خلقه، وبيان مآله في اليوم الآخر، وما هي وسائله لسلوك أحسن السبل الممكنة في الحياة والارتقاء بها ؟

وتأتي آفة التقليد عندما ننسى أصالتنا، ولذا ينبغي التنبيه إلى الحكمة النبوية في الحديث الذي رواه البخاري (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون « الأمم » قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله ! كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك ؟)[٤١٣]

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال : (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى ولو دخلوا جُحْرَ ضب خرب لتبعتموهم، قلنا : يا رسول الله ! اليهود والصنارى ؟ قال : فمن غيرهم !)[٤١٤] .

---

(٤١٢) رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي في « المعرفة » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني.
(٤١٣) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤١٤) رواه الإمام أحمد، والشيخان، وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

إذا عرفنا كل هذا، أصبح هدف السلفية واضحاً أمامنا كضوء الشمس، وهو يتلخص في :

تطهير العقيدة من شوائب البدع، وتربية الشخصية الإسلامية، وفتح الذهن البشري لقبول كل جديد في ميادين العلوم التجريبية، وإحياء العقيدة من منابعها بعيداً عن المذهبية الضيقة بصورتها الأخيرة، أو تطويع العقيدة والشريعة في الإسلام لدعاوي التطوير الخاطئة، ورفض فكرة لا دينية الدولة .

وأخيراً : أسعفتِ الفيلسوفَ الهَرِمَ ذاكِرَتُهُ، فتذكر أن هناك قرآناً يستدل المسلمون بآياته على حتمية الحجاب، فقال : (ثم وَجَدَتْ هذه اللفتة السلفية من يربطها للشباب بالدين، وهنا تأتي النقطة الرابعة التي سأجعلها الأخيرة) وهذه النقطة المؤخرة عنده ــ أخَّره الله وأخزاه ــ هي آيات القرآن المجيد الآمرة بالحجاب، وكان ينبغي أن يبدأ بما إنتهى به، وأن يقدم ما أخره، فإن حق كلام الله عز وجل أنْ يقدم على كل كلام لو كان صدقاً فكيف إذا كان لغواً وزوراً وافتراءً على الله كتلك المئات من السطور التي سودها ذلك المنافق يصد بها الناس عن القرآن ؟!

قال الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يدي الله ورسوله ﴾الآية، (الحجرات : ١)** وقال عز وجل : **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية**، (الحشر : ٧) وقال تبارك وتعالى : **﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ (الأعراف : ٣).**

ولقد ذم الله قوماً يعرضون عن آياته فقال عز وجل : **﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ (النجم : ٣٠)، وقال** سبحانه : **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن**

يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ النساء (٦٠ ــ ٦٥).

ثم إن الفيلسوف الهرم لم يكتف بذلك بل تجاهل آيات القرآن تماماً فضلاً عن مناقشة تفسيرها ، وترقي إلى ما هو أبعد من ذلك ــ رماه الله في المهالك ــ حين تقول على الله بغير علم ، وفكَّر وقدَّر ، فقُتِل كيف قدَّر ، دم قتل كيف قدر ، ثم حكم ببطلان أن الحجاب أمر تحتمه الشريعة الإسلامية ، فقال ــ قاتله الله ــ (أوردت الرسائل في سياقها آيات قرآنية كريمة يستشهد بها أصحاب الرسائل على أن فتور الهمة نحو العلم ونحو العمل في امرأة هذا الجيل ، وميلها نحوالعودة إلى البيت ونحو أن تتحجب ــ أو على الأقل أن تضع فوق رأسها رمزاً يشير إلى معنى الحجاب ــ هو أمر تحتمه الشريعة الإسلامية .

وأقول : إنه لو كان ذلك صحيحاً ، لكنت أول الداعين إليه ؛ ولكن هل هو صحيح ؟) اهـ .

وهنا بدأت نبرة الكاتب تتحول إلى الانسحاب الهادىء فبعد أن طعن الدين في الصميم ، وشعر أنه أسرف في الكذب والافتراء ، وجد نفسه مضطراً إلى ممارسة (فن التلون الحربائي) ، فإذا به يتوارى ويتحصن في الدين فيقول : (لو كان ذلك ــ يعني أن القرآن يحتم الحجاب ــ صحيحاً ، لكنت أول الداعين إليه) ، ونحن إذا أحْسَنا الظن به حملنا أمر الفيلسوف « الكبير » ! على أنه لم يقرأ القرآن مرة واحدة ، أو أنه قرأه ثم نسيه لانشغاله عنه بفلسفةٍ أكثرها سفه ، وإلا فهو عدو للإسلام والمسلمين متآمر ضد أمة محمد ﷺ ، قال تعالى : **﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ القتال (٣٠) .**

ثم يذكر الكاتب دليله على قطع الصلة بين القرآن والحجاب فيقول : (أكانت تلك الشريعة معطلة حتى جاء شباب هذا الجيل ليعيدها إلى الحياة ؟) ا هـ.

نقول : كلا بل مازالت شريعة القرآن نافذة وسائدة طوال عصور الإسلام ومازلت قلوب المسلمين رجالاً ونساءً تخفق بالاعتزار بها والإذعان لها، إلى أن هجمت جيوش الغزو الفكري متترسة بالفلاسفة والعملاء، والعميلات اللائي أسميتهن (رائدات الجيل الماضي)، ليرفعوا الحجاب عن وجه المرأة، ويعطلوا الشريعة الحنيفية شكلاً ثم موضوعاً وواقعاً، فجاء شباب هذا الجيل ليصحح الأوضاع، ويعود إلى حظيرة الإيمان، ويجدد معالم دينه الذي ارتضاه الله له، فما الذي يغيظك من ذلك كله ؟

وإذا كنت محباً لهذه الأمة المحمدية ومخلصاً لهذه الملة الحنيفية فلماذا تتزعج هكذا من عودة الشباب إلى الإسلام، وعودة المسلمات إلى الحجاب ؟

ثم يمضي إمام الضلالة مدعياً مرتبة الاجتهاد المطلق، بل ها هو ذا يقدم نفسه على كل أئمة الهدى في كافة عصور الإسلام، ويبرهن على ذلك بقوله :

(إنني مهما تواضعت في قدر نفسي، فلا أظنني أصل بدللك التواضع درجة تحرمني من فهم الآيات الكريمة التي سيقت في الرسائل شواهد على ما أراده أصحابها، فالقرآن الكريم كتابهم وكتابي) اهـ.

أقول : لو أن هذا المختال الفخور درس القضية في ضوء الكتاب العزيز والسنة المطهرة لوجد فيها من الشفاء والهدي والنور ما يغنيه عن ظلماته وضلالاته التي أوقعته في مهواة البلاء والعجب بنفسه، وتكبره الذي دعاه إلى أن يضرب بسهم مع الأفاضل وأرباب التقوى، مع أنه كما قال القائل :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وكما قال القائل :

أيها المدعي لسلمى إنتسابا لست منها ولا قلامة ظفر

والفيلسوف الزائغ ليس من أهل الترجيح لأقوال أهل العلم بعضها على بعض، بل لا يصلح أن يكون حكماً بين صبيين فضلاً عن أن يكون حكماً بين العلماء الربانيين :

ما أنت بالحَكَمِ التُّرضَى حكومَتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذي الرأى والجدلِ

فإن من شرط الحَكَم أن يكون عالماً بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة ومذاهب المجتهدين فمن أين لهذا الزائغ من هذه العلوم، وهو بالنسبة إلى الأئمة الذين « قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون » طفل راقد في مهد طفوليته ؟!

بل أين المخلصون المجاهدون في سبيل الإسلام من الطاعنين فيه الصادِّين عن سبيله ؟! قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ النساء (١١٥)، وقال عز وجل: ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ص (٢٨).

أما قول صاحب (الردة) :(فالقرآن الكريم كتابهم وكتابي) فما أشبه بقول من حكى الله عنهم : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ﴾ التوبة (٥٦)، وقوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ المنافقون (١)، فعادة المنافقين « الاستجنان » بالأيمان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة ﴿ اتخذوا إيمانهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ المنافقون (٢)، فيتخذون حلفهم بالله إنهم لمنكم جُنَّةً تحميهم مما يُعامَل به الكفار، وأخبر سبحانه عن صفتهم وشأنهم فقال : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ المنافقون (٤)

لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، إلى أن قال عز وجل ﴿ هم العدو ﴾ أي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها، فإن أعدى الأعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ﴿ فاحذرهم ﴾ لكونهم أعدى الأعادي، ولا تغترن بظاهرهم

فلا تقنع بأول ما نراه فأول طالع فجر كذوب

فمن هذا الباب قول الكاتب (فالقرآن الكريم كتابهم وكتابي) نقول : إن القرآن حق في نفس الأمر، وليس هو محتاجاً لأن يحامي مثلك عنه، والمحاماة عن القرآن تكون بإقامة البراهين ودفع الشبهات الباطلة، أما تحريف معناه وتغييره، أما تجاهله والإعراض عنه، أما مراغمة نصوص القرآن ومعاكستها، ووصف الممتثلين لها بوصف (الردة والنكسة والمأساة) وما إلى ذلك من العبارات الشنيعة فهذا كله إفساد للقرآن، وصد عن سبيله، واستحلال لحرماته، واستهزاء بآياته :

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ الأنبياء (١٨).

ولئن جاز أن يتسامح المسلمون مع الكاتب فيما كتب — وهذا بعيد جداً — ، فلا يمكن أن يتسامحوا معه بأي وجه من الوجوه حينما (أبي واستكبر وعاند) الآيات التي بَلَّغها إليه القراء في رسائلهم الغاضبة، ثم إذا به يضرب بها كُلَّها عرضَ الحائط قائلاً

(إنني لم أجد في تلك الرسائل جميعاً ما يحملني على أن أغير حرفاً مما كتبته، ولو أعدت الكتابة لكررت ما قلته كلمة كلمة) اهـ .

فإذ لم يرفع بآيات الله الآمرة بالحجاب رأساً، فإنا نذكِّره بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصِرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من ءايٰتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾ الجاثية (٧ — ٩).

وقوله عز وجل :

﴿ ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنَّا من المجرمين منتقمون ﴾ السجدة (٢٢).

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي ءَاذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً ۝ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً ﴾ سورة المدثر (١٦).

ثم نقول : كون هذه الآراء صحيحة عندك، وأنك مؤمن بها لن تتراجع عن كلمة منها، لا يدل على صحتها في نفسها، فكل حيوان يستطيب ريقه وإن كان خبيثاً، وقد قال تعالى في إخوانك من قبل : **﴿ ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾** (المجادلة : ١٨ ــ ١٩).

وما أحسن ما قيل في مثله :

ولقد أقول لمن تحرش بالهدى   عرضت نفسك للبلا فاستهدف

آخــر :

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه   أرفق على الرأس لا ترفق على الجبل(*)

(*) وفي أحدث محاولات الفيلسوف المرم لينطح الجبل العالي، كتب مقالة مطولة في « آخر ساعة » يدافع فيها عن العلمانية، ويهاجم الجماعات الإسلامية، وفيها تطرق إلى الحجاب زاعماً أن علة انتشاره بين الفتيات هي : (انخفاض الدخل في كثير من الأسر، مما جعل عدداً من السيدات والفتيات يعجزن عن التنافس في دنيا الثياب ــ الموضات ــ فيجدن ملاذاً في الزى الديني) وادَّعى أن من الأسباب أيضاً : (ارتفاع أجور العناية بالشعر عند الكوافير، فيحدث أن حجبه ــ حجب الشعر تحت الحجاب ــ أيسر، وأقل تكلفة)، ولما سئل عن رأيه في المنقبات، قال في غرور : (المنقبات ــ

فنسألك اللهم أن تخلع من أعداء الحق وثائق قلوبهم وأفئدتهم، وأن تباعد بينهم وبين أزودتهم، وأن تحيرهم في سبلهم، وأن تضللهم عن وجههم، وأن تقطع المدد عنهم، وأن تنقص منهم العدد، وأن تملأ أفئدتهم بالرعب، وتقبض أيديهم عن البسط، وتحرم ألسنتهم عن النطق، وتشرد بهم من خلفهم، وتنكل بهم من وراءهم، وتقطع بحربهم أطماع من بعدهم، اللهم عقم أرحام نسائهم، ويبّس أصلاب رجالهم، وعجل لهم الوبال والنكال، وأخرس منهم عضو المقال، وفرق جمعهم، وشتت شملهم، وأفسد رأيهم، وأخمد أنفاسهم، وهدّم أساسهم، إنك على ما تشاء قدير.

= لايستأهلن الحديث مني عنهن ..)، ثم راح يتساءل (هل هو عدم جمال خِلقة ؟ .. ولكن أقول إن فيهن صاحبات وجوه مليحة ومقبولة ! أيضا أقول : هل هي حركة احتجاجية داخل الأسرة ؟ هل هي حالة عدم رضاء كاملة عن النفس ؟ هل النقاب هو الإسلام ؟) اهـ من « آخر ساعة » ص (٣٤) مايو ١٩٨٦م.

حقاً .. إنها معركة
مارقٌ يتحدى مشاعر المسلمين
ويستعدى « السلطة » على المحجبات

إنه المدعْو «حسين أحمد أمين»[*]، الذي فتحت له الصحافة أبوابها على مصراعيها، فصال وجال داعياً إلى البهتان العظيم، والعدول عن صراط الله المستقيم، ومناقضة ما جاء به رسول الله ﷺ، وصَدَحَ به كتاب الله المبين، جاء هذا الغبي الجاهل المكابر، فأعرض عن الحق الصريح الظاهر، وكتب المقالات المطولة التي حشاها من الكذب والافتراء، والظلم والعدوان، وشَتْمِ أهل الحق، وقَذْفِ المحصنات الغافلات المؤمنات، والصد عن سبيل الله عز وجل.

ويبدو أن الدور الذي شاء له أسياده، ووقع اختيارهم عليه لأجل إنجازه هو « محاربة الحجاب » .. ذلك الحجاب الذي أشعلت عودتُه نارَ الحقد والغيظ في قلبه، فأنشأ يسوِّغ محاربته إياه قائلاً: (رأيت ظاهرة تنتشر في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم، هي ظاهرة الحجاب، وسمعت أنصارها يربطون بينه وبين الإسلام، فأحببت أن أتحقق بنفسي مما إذا كان القرآن قد أمر به، وقد توصلت إلى أن حجاب المرأة ليس من الإسلام) اهـ.

وقال في موضع آخر[٤١٥]:

(ليس للحجاب أية علاقة بالإسلام) ! ثم يزعم أن الحجاب إنما عرف عند

---

(٤١٥) من مقاله المنشور بمجلة (روز اليوسف) ــ الإثنين ١٧ يونية ١٩٨٥ ــ العدد (٢٩٧٥) ــ بعنوان : (المفكر الإسلامي « حسين أمين » يتحدى : ليس في القرآن آية واحدة تفرض الحجاب) وفي نفس المقالة استهزأ من حكم الإسلام بأن شهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين قائلاً : (هل يمكن أن تكون شهادة بواب عمارتنا تعادل شهادة « أمينة السعيد » « وسهير القلماوي » معاً ! هل نستطيع الآن أن نقول هذا ..؟) اهـ ص (٣٥).

(*) وانظر: «قصة الهجوم على السنة» للدكتور علي السالوس ــ حفظه الله ــ ص (٥٤) لتقف على بعض افتراءاته على الإسلام.

الفرس، ويقول : (ومن المعروف أن أول مفسرين للقرآن الكريم على الإطلاق كانوا من الفرس(*) ، ومن الطبيعي أن يتأثر المفسرون بالتقاليد والقيم التي نشأوا عليها.

لقد درست الآيات القرآنية التي ورد ذكر الحجاب بها، ووجدت أنه ليس هناك آية واحدة تفرض الحجاب على المسلمات) اهـ.

وتراه يبين منهجه الذي انتهجه في هذا « التحقيق الفذ » ، فيقول :

(إنني أعتمد على أمهات الكتب، وأدرس ما اتفق عليه العلماء والأئمة الأربعة وغيرهم، غير أني لا أعتبر نفسي ملزماً إلا بما انتهى إليه تفكيري ... ، ولا يضيرني أن أكون أول من قال بهذا الرأى أو ذاك دون أن أستند إلى مرجع)(٤١٦)، والفقهاء كلهم — في نظره — (لا قولهم حجة، ولا من الواجب الأخذ به)،بل إنه يرد على مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف حمزة قائلاً : (نعم يا سيدي المفتي، أنا زعيم لك بأني أهل لأن أنافس الأئمة المجتهدين، وأن أدلي بدلوي كما أدلوا بدلائهم)(٤١٧) اهـ.

فانظروا أيها المسلمون ما يقول ذلك (الإمام المجدد) ، والعبقري الفذ، والمجتهد المطلق ! الذي تفتق عنه ألقرن الرابع عشر الهجري، وحَلَّق في آفاق الاجتهاد حتى إنه ليشهد لنفسه بملء فمه أنه أهل لأن « ينافس » أبا حنيفة، ومالكاً، والشافعيَّ، وأحمد، وسفياناً، وسائر الأئمة، وأن تتمخض عبقريته عن آراء واكتشافات كان هؤلاء جميعاً في غفلة عنها، بل مخطئين فيها، ومن أعظم هذه « الاكتشافات » أن حجاب المرأة ليس من الإسلام !!

قال أخزاه الله(٤١٨) :

(*) راجع (التفسير والمفسرون) للدكتور محمد حسين الذهبي — رحمه الله — (٣٢/١ — ١٤٢) حتى تقف على فساد هذا القول.

(٤١٦) ، (٤١٧) جريدة « الأهالي » الماركسية (تاريخ ٨٥/١/٢٣) ص (١٠).

(٤١٨) مجلة أكتوبر، العدد (٣٥١) — تاريخ ١٧ يوليو ١٩٨٣م، ٧ شوال ١٤٠٣ هـ ص (٢٤ —٢٦).

(متى نشأ في مجتمع معين وفي زمن محدود ما لا يمكن وصفه إلا بأنه ظاهرة متفشية تنطوي إلى حد ما على عنصر المفاجأة، فلابد لنا من أن نلتمس التفسير أو بعضه على الأقل في أسباب خارج نطاق الموضوع محور الظاهرة، فعودة الكثير من نسائنا[٤١٩] ــ بمحض إرادتهن ــ لا نتيجة ضغط من ابائهن أو أزواجهن، « بل أحياناً ضد رغبة آبائهن وأزواجهن، ورغم استهجان السلطة في بلدهن »، يمكن أن نحدد لبدايتها تاريخاً لا يزيد على ستة عشر عاماً[٤٢٠]، ثم انتشرت منذ ذلك الحين وفي هذه الحقبة القصيرة انتشار النار في الهشيم، مثل هذا الانتشار المفاجىء لظاهرة ما إن كان يمكن تفسيره في بعض الأحيان بظهور نبي جديد[٤٢١]، أو قيام حكومة ثيوقراطية في بلـد معين، فليس بالوسع الاقتصار في تفسيره على الإشارة إلى رغبة عامة مفاجئة في التمسك بتعاليم الدين، علماً بأن القرآن كان دائماً بين أيدينا، وكانت تعاليم الدين دوماً في متناول الجميع[٤٢٢] فلم ظهر الأمر فجأة إذن ؟ ولم اتخذ صورة الظاهرة المتفشية خلال سنوات قلائل ؟ لا مفر إذن من تفسير هذا النوع الذي ذكرناه في بداية المقال، وإن كره الكارهون، وغضب الغاضبون) اهـ .

ولعمر الحق لو كان هذا مخلصاً للإسلام، محباً لأهله، لشغلته الفرحة والابتهاج بتوبة العاصيات وإنابتهن إلى ربهن عن البحث في أسباب الظاهرة، التي إن بحث فيها المخلص فإنما ليدعمها، ويسعى في تمكينها وتدعيمها لا توهينها والتنفير عنها كما يفعل الذين في قلوبهم مرض، وحتى ندرك الفرق بين الفريقين نضرب المثال بقول أحد الدعاة

---

(٤١٩) كذا (!)، ولعل تمام العبارة : (إلى الحجاب).

(٤٢٠) قد بينا الخطأ الفادح في هذا التأريخ في الرد على مقالة « ردة في عالم المرأة » للدكتور زكي نجيب محمود في هذه الطبعة ــ فراجعه ص (٢٣٦ ــ ٢٣٩).

(٤٢١) وهل ظهور نبي جديد بعد رسول الله خاتم النبيين ﷺ أمر قابل للاحتمال في عقيدة الكاتب ؟

(٤٢٢) ومن هنا فنحن نوجه للكاتب سؤالاً صريحاً : إن كنت تعلم أن الحجاب من تعاليم الدين، ومن أوامر القرآن الذي بين أيدينا فما هو موقفك الصريح من هذه التعاليم، وما هو الموقف الذي ترتضيه، وترضاه من غيرك تجاه أوامر القرآن ؟ التي هي حجة على من يخالفها، أو حجة لمن يتبعها، فأين أنت منهما ؟

المسلمين في تحليل نفس الظاهرة(٤٢٣)(أ)، قال حفظه الله :

(إعلى الداعية الإمساك بهذه الظاهرة ـــ ظاهرة تدين الشباب واستمساكه بالإسلام ـــ وجعلها باعثاً لتحقيق الآمال في النفوس، فما الشباب إلا تجسيد لآمال المستقبل، وتعبيراً عن استعادة الأمة لحيوتها بسواعد أبنائها، على أن الطريق لن يكون مفروشاً بالورد، فما ظهور الشباب المتدين إلا بمثابة مولود جديد خرج إلى الحياة بعد آلام المخاض التي عانت منها الأمة الإسلامية ما عانت، فإذا لم يحظ بالعناية الكافية، ربما حدثت ردة لا يعلم إلا الله مدى آثارها) اهـ .

ثم يستمر الكاتب في تحليل أسباب تمسك البعض بالحجاب فيقول : (إن ظاهرة عودة نسائنا إلى الحجاب لا يمكن وصفها بأنها شأن عادي، ولا القول بأن العائدات إليه ـــ في مجموعهن ـــ وكطائفة، نساء عاديات، ولا عجب في هذا أن نجد من بينهن الكثيرات من الفتيات والنسوة العاديات اللواتي خضعن لتأثير أو ضغط أو دفعهن إلى التحجب نزوع إلى تقليد، أو اتجهن إلى التدين، ثم سألن من يعتقدن أنهم أفقه منهن في أمور الدين، فاخترن ما ذكر لهن أنها ثياب إسلامية يأمر الشرع بها، فالمهم هنا ليس أن المتحولة إلى هذا النوع من الثياب امرأة عادية إنما المهم هو نوعية ممارسي الضغط والتأثير في المناخ العام الذي جعل هذا الضغط وهذا التأثيرشائعين) اهـ . وكأن الكاتب الحاقد يشير بكلمات مسمومة هدفها الواضح : أن هذه الثياب لا علاقة لها بالإسلام، وإنما هناك ضغوط خفية مؤثرة يجب البحث عنها، والقضاء عليها .

ثم يؤكد في مقاله على القيم التي يرى من وجهة نظره أن تكون أساساً لاختيار المرأة ثيابها، فيعتبر جمال الوجه والقوام أساس اختيار الثوب، أما اختيار الثوب طبقاً

(٤٢٣) (أ) (المخاطر التي تواجه الشباب المسلم، وكيف نتوقاها) للأستاذ الدكتور مصطفى حلمي ـــ حفظه الله ـــ ص (١٧).

لأحكام الإسلام وأوامر القرآن فهذه عنده سلوك غير عادي، ويجب محاربته، يقول : (ولو أن امرأة اختارت ارتداء الثوب الإسلامي على أساس أنه أجمل أو أنسب لوجهها وقوامها ولا شيء غير ذلك لكان سلوكها عادياً، ولما كان الأمر محل جدل ومثار مناقشات عنيفة وسبب احتكاك عائلي وشجارات وطلاق ومنع من دخول الجامعات إلى آخره، غير أن الواقع أن تبني الرجل أو المرأة للزي الإسلامي ليس نابعاً من مزاج، إنما هو موقف .. يراه البعض شاذاً مستنكراً وجديراً بالمحاربة، ويراه أصحابه الموقف السليم الوحيد الذي ينبغي محاربة غيره واستئصاله) اهـ .

وكأن العبقري الفذ الذي يقول : (أهلاً وسهلاً ومرحباً بطاعة « بيوت الأزياء » الصُّهْيَونية الفاجرة، ولا مرحباً بطاعة الله ورسوله ﷺ)، يريد أن يذكرنا بمسلكه الوخيم هذا بمن قال فيه الله تبارك وتعالى : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ الفرقان (٤٣، ٤٤) وقوله عز وجل : ﴿ **وإذا ذُكِرَ الله وحده اشمأزت قلوبُ الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ **الزمر (٤٥)** .

ثم يحاول ذلك الشيطان الإنسي أن يبث بذور الفرقة والعداوة، ويوطد دعائم « الحواجز النفسية » الحاقدة بين المحجبة وغير المحجبة حتى لا تتأثر الأخيرة بدعوة الأولى لها إلى الحجاب يوماً ما فيقول : (إنه يكاد يكون من المؤكد أنه ما من إمرأة محجبة تجلس إلى غير محجبة إلا ونظرت كل منهما إلى الأخرى نظرة الارتياب : هذه في استنكار وتحفز، وتلك في حيرة وتساؤل، كما أنه من الصعب أن نتخيل قيام علاقة عادية بين الاثنين) اهـ .

ثم يدعى أنه قابل منذ أيام عاملاً ميكانيكاً بسيطاً، ومرت بهما امرأة محجبة، وينسب إلى ذلك الميكانيكي « الملهم .. الأديب .. » تعليقه على منظرها قائلاً في

امتعاض : (أنا لست ضد الدين، وأنا وامرأتي نصلي ونصوم، ولله الحمد، ولكن هذا الشيء[٤٢٣](ب) : (ليس من ديننا، هؤلاء) ـــ لاحظ استخدامه لكلمة « هؤلاء » في معرض الحديث عن واحدة[٤٢٤] ـــ قوم يُبْغِضونا ويتربصون بنا وينتظرون أن تكون لهم الغلبة حتى يخسفوا بنا الأرض ـــ أنا لست ضد الحجاب في حد ذاته ... فليتحجب من شاء .. ولكني ضد ما يخفيه هذا الحجاب من مشاعر سوداء .. تسألني ماذا لقيت منهن ؟ لم ألق منهن شيئاً، ولكني أحس إحساساً قوياً بما تشعر به نحوي وهي تنظر إليَّ، وأعرف ما تهددني به، « إننا » نتركهن يرتدين ما يردن، ويتصرفن كما يحلو لهن، ولكن أتظن متى وصلت جماعتهن إلى السلطة يتركننا نلبس ما نشاء كما نريد ؟) ثم يمضي الكاتب ينفث سمومه السوداء، وأحقاده الدفينة قائلاً : (وقد هالني أن أرى الشبه الشديد بين موقفه هذا من المرأة المحجبة وموقف الرومان خلال القرون الثلاثة الأولى بعد مولد المسيح من المسيحيين في الإمبراطورية، لقد كان يسود الإمبراطورية خلال تلك القرون تسامح ديني نادراً ما عرف العالم نظيراً له، غير أنهم استثنوا المسيحيين من هذا التسامح، وكان هذا الاستثناء راجعاً لا إلى مخالفة المسيحيين لهم في العقيدة، إنما إلى عداء المسيحية لكل ما عداها من عقائد. مما دفع الرومان إلى تسمية أتباعها بأعداء الجنس البشري، كانت روح المسيحية خطراً على تقاليد المجتمع الروماني وأسسه، ومع ذلك فقد كانت كراهية عامة الشعب للمسيحين أقوى منها عند الأباطرة والسلطات، فالجمهور قد أزعجه أن يرى أتباع هذا الدين يكرهون آلهتهم، ويُصَلُّون من أجل نهاية العالم، ويفرحون متى لحقت الهزيمة بجيوش الإمبراطورية، وكانت العامة تنسب الكوارث التي تحل بها كالفيضانات

---

(٤٢٣) (ب) يقصد الميكانيكي (الفذ) بكلمة (هذا الشيء) : (الحجاب).

(٤٢٤) هذا التعليق من ذلك الكاتب الحاقد على دين الله، أو ممن وراءه من (الميكانيكية) ـــ هدفه إقامة الحواجز النفسية بين أهل الطاعة وعموم الناس حتى يترسخ العداء بينهما، ويحول دون استجابتهم لأحكام الشرع.

والمجاعات والحرائق إلى ما يمارسه المسيحيون من سحر أسود، وكانت تدرك أن المسيحيين يبغضون كافة مظاهر الحضارة التي يعيشون في ظلها، وأنهم إن تمت لهم الغلبة فسيسحقون أنظمة الدولة وآلهتها، ولن يُبْدوا تجاه الأديان المخالفة ذلك التسامح الذي يطالبون به لأنفسهم، فاستثناؤهم إذن من تطبيق مبدأ التسامح الديني، إنما كان لحماية مبدأ التسامح الديني)[٤٢٥]اهـ.

يتضح من هذا أن الكاتب يحاول أن يقيم أدلة على أن « الشبه شديد » بين موقف « الميكانيكي » من « المحجبات » وبين موقف « الرومان » من

---

(٤٢٥) اعلم ــ أخي المسلم ــ أن بعض الناس يخلطون بين لفظة (التعصب) ولفظة (التسامح) خلطاً معيباً يؤدي إلى خلل في دينهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فإذا سمعك أحدهم مثلاً تقول: « لا يجوز الترحم على اليهودي أو النصراني، لأنه لا يدخل الجنة »، اعتبر هذا تشدداً وتعصباً، وتشدق بأن رحمة الله واسعة، وَعَدَّ نفسه متمسكاً بسماحة الإسلام، ولكشف النقاب عن هذا الخلط نقول:

إن التعصب والتسامح لا يكونان إلا في المعاملة، فالتعصب: أن تعامل الذميَّ اليهوديَّ أو النصراني بحيف، وتبخسه حقه، والشرع يأبى ذلك ولا يرضاه، والتسامح: أن تعامله بالعدل والإنصاف، وتعاشره بالمجاملة والألطاف، وأن تحسن جيرته إن كان جاراً لك، وأن تصله إن كان من قرابتك، غير أنك لا تعطيه من زكاة مالك، ولا من زكاة فطرك، لأنهما خاصتان بفقراء المسلمين، ولا بأس أيضاً بجريان بعض المعاملات الدنيوية بينك وبينه كقرض أو نحوه مما لاتعلق له بالدين، وشرط هذا كله أن لا يكون محارباً.

ومع هذا يجب عليك أن تعتقد اعتقاداً جازماً لا تردد فيه أنه على باطل، وأنه إن مات كافراً لا يجوز الترحم عليه ولا الدعاء له بالمغفرة، قال تعالى: ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل** ﴾ من الخير كصدقة، وصلة رحم، وإغاثة ملهوف ﴿ **فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾ **الفرقان (٢٣)** لا ثواب له في الآخرة، وهذه الآية تفيد أنه لا يوجد منهم ولي أو قديس كما يقولون، لأن الولاية أو القداسة نتيجة العمل الصالح المقبول، وعملهم غير مقبول، لبطلان دينهم المخالف للإسلام ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ **آل عمران (٨٥)**، وقال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ، لا يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسِلْت به إلا كان من أصحاب النار) رواه الإمام أحمد ومسلم، فمن جوز وجود ولي منهم، أو تبرك بأحد قديسيهم، فقد تخلى عن عقيدته ودينه، إذ التساهل في شيء من العقيدة لايكون تسامحاً كما ظن المخلطون الواهمون، لكنه تنازل عنها، يلزم منه الخروج من الدين، لأنه مبني على العقيدة، فإذا فُقِدت فُقِدَ، فينبغي عدم إقراره على كفره، وعدم الرضا به، وبغضه ببغض الله تعالى له، وعدم موالاته وموادته قال تعالى: ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ﴾ **آل عمران (٢٨)**، وعدم التشبه به، وعدم إنكاحه المؤمنة، وعدم بداءته بالسلام، وأن يضطره إلى أضيق الطريق، فهذا كله من التمسك بالدين وليس من التعصب في شيء، والتفريط فيه ليس تسامحاً، ولكنه تنازل عن حدود الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

« المسيحيين » ، ويلزم من قياسه أن يرمي المسلمين في واقعنا زورًا بأنهم « أعداء الجنس البشري » وأنهم « يُصَلُّون من أجل نهاية العالم » وأنهم « يبغضون كافة مظاهر الحضارة التي يعيشون في ظلها » .

وذلك كله كي يصل إلى نتيجة وهي : أنه يجب على الحكومات استثناء المسلمين من مبدأ « التسامح » تمامًا كما فعل الرومان مع المسيحيين(*) ، وقياسه هذا باطل من أوجه عديدة لا تخفى على المخلصين لدينهم ، المؤمنين بأن الحق واحد لا يتعدد ، وبأن هؤلاء النصارى إن كانوا على دين الحق الذي بعث الله به عيسى عليه السلام ، وهو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه التي منها « الإنجيل » ، فإنما هم مسلمون موحدون مؤمنون يحررون ولاءهم لله سبحانه وتعالى وحده ، ويتبعون رسولهم المسيح عليه السلام ، ويصبرون على أذى الرومان ابتغاء وجه الله ونصرةً لدينه الحنيف ، فعداوة (الإسلام) لما عداه من العقائد الكفرية أمر لا ينكره إلا من لاحَظَّ له في الإسلام ، قال تعالى : **﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ البقرة (٢٥٦)** ، فالعروة الوثقى هي كلمة « لا إله إلا الله » المتضمنة لإفراد الله سبحانه وحده باستحقاق العبادة ، والكفر بكل طاغوتٍ يُعْبَدُ من دون الله عز وجل .. وهذا هو جوهر الإسلام ولبه ، فأين أنت منه يا صاحب القياس ؟

ثم يستطرد ذلك الشيطان قائلًا :

(أعود فأقول : إن ما يدفع البعض إلى اعتبار المرأة المحجبة امرأة غير عادية هو أن الزي الذي تبنته يفصح عن موقف عقلي غير عادي ، وعن مفاهيم وقيم يراها الآخرون غير عادية ، فخلاصة اعتقاد مثل هذه المرأة هي : أن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، ولا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ، ولا المرأة إلى الرجل حيث إن قصدها منه كقصده منها ،.. فالمرأة كلها عورة إلا وجهها ويديها .. والكشف عن غير الوجه

(*) وتمامًا كما قال : « مناحم بيجن » في إذاعة فلسطين المغتصبة : (لقد سمعت اعتراضات كثيرة في أمريكا ضد حملة السادات على المتعصبين المتطرفين « الذين يريدون العودة إلى تطبيق قوانين العصور الوسطى ، بل العصور الحجرية » ، وقد سمعت اعتراضات كثيرة هناك ضد هذه الحملة باعتبارها تتعارض مع التقاليد الديمقراطية ، ولكنني دافعت عن إجراءات السادات بحرارة ، وأقنعت المعترضين بأنه يجب عليهم أن يتناسوا التقاليد الديمقراطية ، حين يتعلق الأمر بالمسلمين) اهـ . باختصار نقلًا عن صحيفة « القبس » الكويتية ، عدد رقم (٣٣٨٢) ، تاريخ (١٢/ ١٠/ ١٩٨١م) .

والكفين مدعاة للافتتان، فإن كانت المرأة جميلة الوجه، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك .. إلى آخره مما نقلناه من تفسيرات القرطبي، فالمرأة التي تعتقد مثل هذا في أيامنا هذه حين أصبح بالإمكان أن يجلس الرجل إلى المرأة دون أن تخطر ببال أيهما فكرة جنسية، والتي ترفض مصافحة الرجل بيد عارية خشية أن تثور لدى أيهما إحساسات جنسية محرمة، والتي تشغل بالها مشكلة ما إذا كان ظاهر قدمها سيثير عند الرجل في الطريق رغبات حيوانية، امرأة غير عادية)، ثم ذكر فوق هذه التعبيرات الساخرة عبارات « فاحشة » ننزه قلمنا وأسماع إخواننا عن تسطيرها، بل لم يكتف ـــ أخزاه الله ـــ بهذا بل ها هو ذا يصف المحجبات « بالكبت » بدل أن يصف فعلهن « بالتعفف » والامتثال لأوامر رب العالمين، بل تصل الجرأة وسوء الأدب أقصاهما حين يصف معنى الحجاب الوارد في قوله تعالى: ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ الأحزاب (٥٣) بأنه معنى « ضيق »، ثم يمضي فيتهم المحجبات العفيفات المحصنات ـــ بارك الله فيهن ـــ بأنهن لا يفكرن إلا في ما سمَّاه « الجنس » وأنها ـــ أي المحجبة ـــ ترتدي الحجاب (ليقيها من هذه المثيرات التي تسببت من قبل في إحداث تهيج شديد عندها لم يكن لها طاقة به .. بمعنى أنها قبل أن ترتدي الحجاب قد تأثرت بهذه المثيرات التي أحدثت لها هذا التهيج الجنسي الذي استجابت له، ولم تستطع مقاومته ...) اهـ إلى هذا الحد يطعن هذا الفاجر في سلوك المحجبات، نسأل الله أن يجعله وأمثاله من أعداء الدين عبرة لمن يعتبر، وأن يحبط كيدهم، ويرده في نحورهم، وأن يشغلهم بأنفسهم عن أهل محبته وطاعته، وأن يجعل تدبيرهم في تدميرهم، إنه سميع مجيب.

ثم يتحدى مشاعر المسلمين جميعاً قبل المسلمات بقوله: (ولو كانت مرتديات الحجاب صريحات مع أنفسهن لاعترفن في النهاية بأن سبب ارتدائهن له هو تعرضهن لاختبار صعب أو موقف لم تكن لهن به طاقة) اهـ.

ثم يشير إلى أن هدف المتمردين على التقاليد هو (أن يشد بعضهم من أزر بعض حتى أصبح مجرد سيرهم في الطريق، ورؤيتهم فيه لأمثالهم، يُشعرهم بأنهم ليسوا وحدهم في خضم الصراع، فإذا بإرادتهم الاستمرار في المقاومة تثبت، وإذا ثباتهم يدفع غيرهم إلى التشبه بهم، فيكثرون، وإذا الكثرة تبهجهم فيشجعون، والحجاب في مجتمعنا يؤدي الغرض نفسه) اهـ.

ثم يمضي الكاتب متحفزاً مستنفراً إخوانَهُ من أعداء الإسلام مستعدياً إياهم على أولياء الله قائلاً : (فإذا كان منا من يعلم هذا كله، ويرى مع ذلك ضرراً اجتماعياً خطيراً في العودة إلى الحجاب، فعليه أن يضع في حسبانه ــ فوق كل اعتبار آخر ــ أن انتهاج سبيل العنف مع هؤلاء كوسيلة للحل؛ ليس فقط من قبيل العبث، إنما هو أمر يرحب به هؤلاء، فما من سعادة يرونها أعظم من سعادة الاستشهاد في سبيل العقيدة) اهـ، ويختم مقاله مستنهضاً هِمَمَ إخوانه من دعاة العري والانحلال قائلاً (ليست الحكومة وحدها المطالبة بالتصدي لتصحيح الأوضاع التي دفعت هؤلاء إلى مثل هذا الموقف والمسلك .. فالأفراد والجماعات كافة ــ حتى ميكانيكي السيارات الذي تحدثت عنه ــ مطالبون هم أيضاً بالمساهمة، وهي مساهمة نوجزها في جملة واحدة : (كبح جماح النفس قبل أن يأتي اليوم الذي يذهب بنفوسهم) انتهى كلامه عليه من الله ما يستحقه، ونحن لا نملك إلا أن نقول له : « اخسأ فلن تعدو قدرك »، هذه نفثة مقهور، وأنَّهُ معثور، ﴿ **موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ آل عمران (١١٩).

ولَتكونَنَّ « عودة الحجاب » شجى في حلقك، وقذىً في عينك، وريبة في قلبك إلى أن يقطع الله دابرك، وصدق الله العظيم : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ غافر (٥١ ــ ٥٢) فاللهم وَعْدَكَ الذي وعدت به عبادك المؤمنين، ﴿ **ولقد**

سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ الصافات (١٧١ ــ ١٧٣).

﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ المجادلة (٢٠ ــ ٢١).

لقد ظن هذا الموتور أنه بهذه الترهات والقحة الزائدة ينال من أهل الإسلام، ويشفى غيظه .. وهيهات ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾ غافر (٢٥).

وهل حط قدر البدر عند طلوعه

إذا ما كلاب أنكرته فهرتِ

وما إن يضر البحر إن قام أحمق

على شطه يرمي إليه بصخرةٍ[٤٢٦]

وما أحرى ذلك المأفون بقول الشاعر:

ألا أيها الغُمْرُ[٤٢٧] الذي غَرَّهُ الكِبْرُ تردَّيت من عالٍ وناسبكَ القعرُ
تفكر طويلاً يا جهولاً ترادفت عليه المخازي فهي في متنه أسر
نبذتِ نفيس الدر واخترت ضده ومن يكره الياقوت يعجبه البعر
فأصبحت مصبوباً عليك شتائم كما كان مشبوباً على قلبك الجمر
ظننت خداع الله في الدين هَيِّناً ولن يخرج الله الذي كنه الصدر؟
فجئت بأقوال النفاق مخادعاً فقد بان ما تخفيه وانهتك الستر
تحارب دين الله يا شر ملحد وتلصق آراءً به ما لها قدر
وتسلك في أمر النِّسا شرَّ مسلكٍ إباحيةً صلعاءَ ليس لها سِتْرُ

(٤٢٦) « بيان الهدى من الضلال » للشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السويح (٥٣٩/١).
(٤٢٧) الغمر: بفتح الغين وضمها وتسكين الميم: من لم يُجَرِّب الأمور.

ألا يا نصير الكفر ويلك فاتَّئِد ... ولا تنطح الصفوان يدمغك الصخرُ
لقد ضل من أغراك بالسب والهِجا ... كما زل من أغواك نيته المكر
أتحسب أن الدين سهلاً أساسه ... ستنزله أقوالك الزور والفُجْر
أتحسب أن الدين تُخْفِي ضياءه ... عجاجَتُك[٤٢٨] الهوجا وآثارُها الكدر
أتحسب أن الناس قد غاب عنهم ... مقاصدك السوءي وأفعالك المر
فما أنت في دعواك إلا منافق كأ ... صحابك النَّوْكي[٤٢٩]وهم في الورى كُثْر
فأنتم فساد الناس في كل أمة ... وجرثومة يضني بها الجسم والفكر
لحي الله[٤٣٠]قوماً صانعوك غباوة ... لأهواء نفس نالها الخوف والذعر
فلا تجعل العدوان للدين راحة ... فبعداً وسحقاً عاقك العسر والخسر
فإنك لن تشفى من الغيظ والبلا ... بلى إن هذا الوَحَرَ[٤٣١]يلهبه الوَحَرُ
فمهلاً لا قليلاً إنك اليوم غافل ... ستندم في الدنيا، ومن بعدها القبرُ[٤٣٢]
ومن بعد ذا يوم عسيرٌ حسابُه ... به يعلم الإنسان ما أثمر العمر
وَكُلٌّ بذي الأيامِ يلقى جزاءه ... فليس بها هضم لحق ولا جور[٤٣٣]

---

(٤٢٨) عجاجتك : العَجاج : الغُبار والدخان ، وعَجْعَجَ : صاح ، ورفع صوته .

(٤٢٩) النوكي : جمع أَنْوَك وهو الأحمق .

(٤٣٠) لحي الله قوماً : أى قبَّحهم ولعنهم .

(٤٣١) الوَحَر : بفتحتين هو الحقد والغَيْظ .

(٤٣٢) القبر : مبتدأ مؤخر ، فهو ليس معطوفاً على (الدنيا) .

(٤٣٣) السابق (٢ / ٥٩٥) بتصرف .

يتحلى أغلب أعداء الحجاب بخاصية « الجهل المركب » فهم ليسوا فقط جهالاً بل يجهلون أيضاً أنهم جهال ... وقديماً قالوا « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

فإذا اجتمعت في شخص العداوة مع الجهل ترى كيف يكون حاله ، وماذا يكون مقاله ؟

نورد فيما يلي ما كتبته الطبيبة النفسية والكاتبة (نوال السعداوي) تحت عنوان : **« ليس هناك نص ... أتحدى »** (٤٣٤) :

(إن ما هو طبيعي وما هو إنساني أن تعامل المرأة كعقل وجسد ، وتتعامل مع الآخرين من هذا المنطلق ، أنا ضد أن نحكم على المرأة بالزى فحجاب المرأة ونقابها ما هو إلا اختزال لإنسانيتها ، وأنا ضده بالذات حين يكون باسم الدين .. والذين ينادون بأن تتحجب المرأة لم يفهموا المرأة المسلمة ، ولم يدرسوا أحاديث الرسول ، ولم يقرأوا القرآن قراءة صحيحة ، ولم يطلعوا على التاريخ ، بل أخذوا أشياء دخيلة على الإسلام الحقيقي ، وعلى الحضارة المصرية والعربية الحقيقية ، (فأنا لي خمسة وعشرون عاماً أدرس الدين الإسلامي وأقارن .. ولا توجد آية قرآنية واحدة تنص على تحجيب المرأة .. زوجات سيدنا محمد لم يَكُنَّ محجبات ، وأتحدى أى شخص يقول بأن السيدة خديجة مثلاً ــ كانت محجبة أو أن سيدنا محمداً فرضه عليها ... والحجاب تاريخياً بدأ في الدين اليهودي الذي يرى أن حواء ترمز إلى الخطيئة الأولى ، وما هي إلا جسد فقط ، على عكس آدم الذي يرمز للعقل ، لذلك يجب أن تشعر بطبيعتها الناقصة ، وتغطي رأسها خجلاً وعاراً) اهـ .

---

(٤٣٤) جريدة (الأهالي) الشيوعية عدد ٨٣/١٠/٥ الصفحة الثالثة ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الكاتبة ممن يطالبون بما يسمى (التحرر الجنسي) ، ولها في هذا « الشأن » ومتعلقاته مؤلفات عديدة ، أنظر « الصحافة والأقلام المسمومة » للأستاذ أنور الجندي ص (٢٠٠) .

[إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية]

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

طال الأمد على المسلمين، وتم تحريف تصوراتهم بتأثير هذه الهجمات، واعتادت قلوبهم وعيونهم رؤية المنكر فلا يحركون ساكناً، ولا يتمعر لأكثرهم وجه غضباً لله تعالى، وتضاعفت المحنة حينما وقع بعض الشيوخ أسرى للغزو الفكري المسموم، فراحوا يرددون دعاوي انهزامية لا تليق أن تصدر من أفواه ورثة النبي ﷺ، وأدلوا بدلوهم في فتنة (تحرير المرأة) عن طريق السخرية والتهكم أحياناً، وعن طريق دعاوي علمية زائفة أحياناً أخرى، فمن الأول قول الكاتب محمد الغزالي : (إن المحجبة تظهر في سمت عفريت)، وأن الدعاة إلى حجاب المرأة وقرارها في البيت (قوم غلبهم الهوى الجنسي وأنهم أصحاب عقد نفسية وأنهم يصدرون في غيرتهم عن ضعف جنسي أو شبق جنسي)، ويتساءل: (لماذا تُحتَرَم الراهبات ولا تحترم المحجبات وزيهما واحد)(٤٣٥) ومن الثاني قول بعضهم: (إن النقاب

(٤٣٥) انظر: «أضواء على تفكيرنا الديني» للشيخ محمد الغزالي ص (٢٢ ـ ٢٩)، ومما يجدر ذكره أن لهذا الكاتب دوراً مؤسفاً في تغذية الإتجاه العقلاني المنحرف، لا في قضية المرأة وحدها، بل في كثير من القضايا العلمية، وقد كانت آراؤه المبتدعة متناثرة في ثنايا كتبه، وكان العلماء يغضون الطرف عنها لضآلتها وتفرقها، إلى أن خرج على الأمة بكتابه الأبتر الذي لم يُفتتح بالحمد ولا بالبسملة، والذي ضم محصلة طعونه في السنة المشرفة: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» وهنا توالت ردود حماة السنة، وفرسان الحديث، وجهابذة الفقه، وجماهير الدعاة الغيورين، وطلاب العلم المخلصين متعاقبة متناصرة ترد كيد المعتدي في نحره:

جاءتْ تهَادَى مُشْرِفًا ذُرَاها ... تَحِنُ أولاها على أخراها

فتتبعوا كلامه الساقط، وشبهاته المتهافتة، وبينوا أنه حاف في حكمه، وجار في قضائه، وانتصر لرأي نفسه، وسفَّه علماء الأمة، وبث الخلاف، وشَقَّ الصف، وحشر نفسه في خندق واحدٍ مع خصوم سنة سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام.

=

بدعة لا أصل لها في كتاب ولا سُنة، ولا مذهب إمام من

= وعلى الجانب الآخر احتفي بالكتاب المسموم كافة وسائل الإعلام المشبوهة، واحتفل به العَلْمانيون واليساريون، والأعداء التقليديون للصحوة الإسلامية من الساسة والصحافيين، وضربوا الدفوف ابتهاجاً به، وصرّح أحدهم بأن هذا الكتاب هو «بيروسترويكا» في الإسلام!

أما أهم ملامح منهج الكاتب فتتلخص في:

١ـ العقلانية الاعتزالية المُفْرِطة التي تهدر ميزان أهل السنة والجماعة في ضبط العلاقة بين العقل والنقل.

٢ـ تشوش مفهوم الاعتزاز بذاتية الإسلام، والاستعلاء بأحكامه وشريعته على ما خالفها، وكذا اضطرابه في قضية الولاء والبراء، الذي يتجلى في موقفه الفظ الغليظ من شباب الصحوة، الأمر الذي عَمَّق الحواجز النفسية بينه وبين طلاب العلم، سيما وأنهم رأوا الكاتب في غاية التلطف والرفق مع «القوانين العالمية»، وبعض أهل الكتاب، وأهل البدع كالرافضة، وغيرهم.

٣ـ الانهزام النفسي بسبب «عقدة ضغط الواقع الغربي»، والذي يتجلى في افتتانه البالغ ببعض ما تواضع عليه الغرب من قيم ومفاهيم، واعتباره إياها «نبراساً» يهتدَى به، ويُخضَع له، بل إنه يجعل مراعاة «خاطر» الغرب مرجِعاً في الخلافيات، له حضور الحاكمية، وله سلطة التأثير على مسار الفتيا سلباً وإيجاباً.

٤ـ عدوانه على عشرات الأحاديث الصحيحة، عن طريق إهدار اعتبار قواعد علم الحديث، والقفز فوق الضوابط الفنية التي أحكمها العلماء خصوصاً في مجال التعارض والترجيح، وفتح باب الطعن على السنة وأهلها من خلال بدعة «فتح باب نقد متن الحديث وإن صح سنده» لكل من هبَّ ودبَّ، متأثراً في ذلك بالقرآنيين، وربما بالمستشرقين.

٥ـ استخفافه بقضايا الهدي الظاهر، وتناوله إياها بأسلوب ساخر، مما يُجَرِّئُ السفهاءَ على تنقص بعض الأحكام الشرعية والاستهانة بها تقليداً له.

٦ـ الاستبداد الفكري، ومصادرة آراء الآخرين، والفرار من الحوار العلمي المنضبط، وتحت ستار من العاطفة، والغيرة على الإسلام رفع الكاتب الأسنة على بعض أئمة أهل السنة، بكل ما أمكنه من الهجاء اللاذع، وأطلق في حقهم عبارات لا تليق مع الصبية الأحداث، فضلاً عن قمم الإسلام، ورموز نهضته من العلماء الربانيين، والمجددين المجاهدين، بل لم يسلم من تجاوزاته بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

إن خطورة منهج «البيروسترويكا الغزالية» الحقيقية سوف تظهر جلية صريحة عندما يمسك بتلابيب هذا المنهج المتربصون بالإسلام والصحوة الإسلامية، الذين سيجدون في أيديهم «آلة» فعّالة تتيح لهم هدم قواعد الدين وأركانه وخصوصياته التشريعية، وذلك لأن كتابات الغزالي تتسق ـ رغماً عنه ـ مع خطط خبيثة ترمي لضرب شريعة الله في مقتل، وإنهم يستغلون الغزالي ـ وإن لم يقصد ـ «كمصدة ريح»، «أو كاسحة ألغام» تمهد الطريق أمام طروحات أكثر خطورة، وتُحدِثُ الثغرة الأولى في التحصينات الفكرية الإسلامية، لينفذ منها بعدَه مَنْ يبدأ مِن حيث انتهى الغزالي، فيشتط في التطاول على أحكام الشريعة الغراء: فبينما سمعنا الغزالي يقول: (المرأة الروسية غزت الفضاء، ويراد أن تعجز المرأة المسلمة عن معرفة الطريق إلى المسجد)، سمعنا من سمّاه أبوه «أحمد بهاء الدين» يوبخ المسلمين الذين (يبحثون حتى الآن في مسألة: هل الربا حرام أم حلال، وفوائد البنوك؟ بينما الأمريكيون يتابعون رحلات الفضاء الهائلة التي جاوزت = كوكب «نبتون»).

الأئمة»(٤٣٦)، ومنهم من يحمل المنقبة على خلع النقاب وينفرها منه.

وهؤلاء جميعاً يهرفون بما لا يعرفون، يثبطون ولا يثبتون، وكان الأحرى بهم - إذ قصرت هممهم عن همم هؤلاء الفتيات المؤمنات الصابرات على دينهن القابضات على الجمر - أن يتمثلوا ما قاله النبي ﷺ لأبي بكرة رضي الله عنه: «زادك الله حرصاً»(٤٣٧) أي على الخير، وقد مضت السنة أن من رأى شخصاً على عمل صالح فليثبته عليه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتى زمزم، وهم يسقون، ويعملون فيها، فقال: «اعملوا، فإنكم على عمل صالح»(٤٣٨)، وعنه رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ، وخلفه أسامة، فاستسقى، فأتيناه بإناءٍ من نبيذ(٤٣٩)، فشرب، وسقى فضله أسامة، وقال: «أحسنتم، كذا فاصنعوا»(٤٤٠).

نعم كان الأولى بهم أن يحفظوا قوله ﷺ لجابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه: «اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئاً»(٤٤١)، وليتهم قلدوا العلماء الذين يبيحون كشف الوجه، ورغبوا في النقاب باعتباره فضلاً لا فرضاً، ولكن هؤلاء

= وإنا لنسأل الله عز وجل أن يلهم الغزالي التوبة من هذا المنهج الخطير ليصون جهاده الطويل ومواقفه الجيدة في الانتصار للإسلام فيما مضى، بأن يحسن عاقبته فيما بقي:

فكم يوم رأينا فيه صحواً ... فأسمعنا بآخره الرعودا
وعاد الصحو بعدُ كما علمنا ... وأنت كذاك نرجوا أن تعودا

(٤٣٦) (الدعوة) عدد (٥٩) جمادي الأولى ١٤٠١هـ ص (١٢-١٣).

(٤٣٧) رواه البخاري (كتاب الأذان - باب إذا ركع دون الصف).

(٤٣٨) راه البخاري في صحيحه (وانظر فتح الباري ٣/٤٩١).

(٤٣٩) النبيذ: كل شارب نبذ، سواء تعجلوا شربه وهو حلو قبل أن يتخمر وهو الأكثر وهو المراد هنا، أو تركوه حتى يتخمر، وكل ذلك يسمى عندهم نبيذاً.

(٤٤٠) رواه مسلم، وانظر (الأذكار) للنووي ص (٢٥٩).

(٤٤١) أخرجه جمع الأئمة منهم الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والبغوي وابن حبان وغيرهم (فيض القدير) (١٣٣/١).

ادّعوا أن الانتقاب بدعة لا فرض ولا فضل، واستباحوا السخرية والتهكم من المنقبات، وهذا ما لم يسبقهم إليه عالم.

ومن تناقضاتهم أنهم يعيبون دعوة (قاسم أمين)، ويندّدون بها وبالويلات التي جرّتها على الأمة، ثم هم يفكرون بعقلية (قاسم أمين).

ألا إن كل من يدعو المرأة إلى كشف وجهها، وإلى الخروج للعمل والمشاركة في الحياة العامة مخالطة للرجال إنما هو (قاسم أمين) جديد، مهما كان اسمه، بلا فرق بين الأصل والصورة في هذه الدعوة الأثيمة، فلا تحاربوا يا قوم (قاسم أمين) وأنتم من حيث لا تشعرون تدعون بدعوته.

أخطاء... أم خطايا؟

هذا وإن الذي يدفعنا إلى التنبيه على دور هؤلاء الشيوخ في (المعركة) أنهم جهروا بهذه الآراء، ونُشِرَتْ لهم على نطاق واسع، خلال الصحف التي حرصت ـ خلال المعركة ـ على أن تخلط دائماً ذهبنا بعملتها المزيفة لتتناولها الأيدي متسترة وراء هذه الأسماء.

ومما يحث على الأسف أن العديد ممن تصدروا وترأسوا في هذا الزمان يدّعون احترام الأئمة والعلماء ـ وقد ذابوا في تعظيم الأجانب – ثم هم يخرجون على الأمة بآراء انهزامية أمام افتتانهم بالحضارة الغربية العاتية، وكأنهم يحملون تحت العمائم أدمغة أصحاب القبعات .... ثم هم يفرضون هذا الفكر المنهزم على الدعوة الإسلامية الفتية الناهضة ، ويحكمون على مخالفيهم بما يحلو لهم من عقوبات ظالمة يستبيحون في سبيل تطبيقها حتى أساليب الأحزاب السياسية، وبذلك يقفون غصة في حلق دعوة الحق ، ويقهرون العمل الإسلامي والإصلاح السلفي ، «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»

إن هذا الأمر دين
فانظروا عمَّن تأخذون دينكم

قال البخاري رحمه الله في أول كتاب الفرائض من « صحيحه »: قال عقبة بن عامر رضي الله عنه:

« تعلَّموا قبل الظانِّين »، قال البخاري: « يعني الذين يتكلمون بالظن »، وقال النووي رحمه الله تعالى: « ومعناه: تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم، ومجيء قوم يتكلمون في العلم بمثل نفوسهم، وظنونهم التي ليس لها مستند شرعي »[٤٤٢]ا هـ.

وقال الإمام العلامة أبو شامة رحمه الله[٤٤٣]:

(وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا »[٤٤٤].

قال الإمام الطرطوشي رحمه الله: (وقد صرَّف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريفاً فقال: « ما خان أمين قط، ولكن اتُّمِنَ غير أمين فخان » قال: ونحن نقول: « ما ابتدع عالم قط، ولكنه استُفتي من ليس بعالم فَضَلَّ وأضل »، وكذلك فعل ربيعة، قال مالك رحمه الله تعالى: بكى ربيعة يوماً بكاءاً شديداً، فقيل له: « أمصيبة نزلت بك »؟ قال: « لا، ولكن استُفتي من لا علم عنده، وظهر في الإسلام أمر عظيم ») اهـ.

---

(٤٤٢) « المجموع شرح المهذب » (١/ ٤١).

(٤٤٣) « الباعث على إنكار البدع والحوادث » للعلامة أبي شامة رحمه الله ص (٥٦) ــ مطبعة السعادة.

(٤٤٤) أخرجه الشيخان، وهو هنا مسوق بالمعنى، فإنه مغاير لسياقهما في بعض الألفاظ.

شعر :

وكنا نستطب إذا مرضنا فصار هلاكنا بيد الطبيب

آخر :

بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح إن حلّت به الغِيَرُ

آخر :

إلى الماء يسعى من يُغَصُّ بلقمة إلى أين يسعى من يغص بماء ؟

آخر :

فلو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ونحمد الله عز وجل أن تكفل بضمان بقاء طائفة أهل الحق من العلماء الربانيين ، الذين اضطلعوا بواجبهم ، وأنكروا على الخالفين المخالفين ، وألفوا كتباً ورسائل ، وأصدروا فتاوي تفضح خطط المتآمرين على المرأة المسلمة ، وتدعوها إلى الحرية الحقيقية الممثلة في العبودية الكاملة لله رب العالمين ، وتوجب على المرأة قرارها في البيت ولزوم الانتقاب والحجاب الكامل عند خروجها للحاجة(*) .

(*) وسيأتي ذكر أسمائهم ومصنفاتهم حول هذه القضية في « القسم الثالث » إن شاء الله تعالى .

بشائر عودة الحجاب

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

الرعد (١٧)

أرأيت من ينطح برأسه الصخر، ويشرب بفيه البحر ؟

إنه هذا الذي يتنكر للإسلام، ويسعى في إذاية أهله، وصَدِّهم عن دين ربهم ..

إنه لا يحطم الصخر، ولا يجفف البحر ..

ولكنه يمشي على رأسه إلى القبر ..

السيادة لقانون الله :

علمنا ــ مما تقدم ــ أن السفور حالة طارئة بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وبلغت أوجها منذ ثلاثين عاماً، ثم بدأ صعودها البياني في التوقف ثم الهبوط، ولا يزال آخذاً في الهبوط السريع منذ عشر سنوات تقريباً، ويلاحظ الجميع أن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وستبقى بإذن الله السيادة لقانون الله وأمره بالحجاب ﴿ **وكلمة الله هي العليا** ﴾ التوبة (٤٠).

إن الشارع المصري يخبرنا أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارىء ــ السفور وملحقاته ــ أن ينقشع، وتبرأ منه أمتنا ككل باطل مصيره الهزيمة والاندحار مهما طال الأمد.

فطوبى لمن تنزع عنها غلالة الرجعية الجاهلية وتعود من غربتها واغترابها، وتأتي اليوم وغداً بالحجاب، ومعها العلم والوعي والبصيرة والحرية الحقة من عبودية العبيد، قائلة

لشياطين الإنس الذين يزينون لها معصية الله ورسوله ﷺ :

﴿ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ يونس (١٥)

وجهة نظر صحافي ألماني :

قال الكاتب الألماني هيلمنسدورفر في كتابه : « العبور العظيم ، والروح الجديدة لمصر » :

(لقد عشت في القاهرة كمراسل صحفي من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٦١م ومنذ هذا التاريخ كانت طبيعة عملي وراء حضوري إلى المنطقة بين الحين والحين ، وكنت أفضل دائماً الإقامة بجوار النيل ، إن التغيير الهائل الذي طرأ على القاهرة عاصمة الملايين ، معروف للجميع ، فقد انتقلت هذه المدينة الضخمة من الطابع الشرقي حيث كانت النساء يرتدين الأحجبة ، والرجال يرتدون الطربوش إلى عاصمة كبرى ، ولم تعد الفتيات اللواتي يرتدين البنطلونات والملابس العصرية يلفتن نظر أحد ، أو يقابلن بدهشة واستغراب ، وأصبحت العلاقات بين الجنسين علاقة سوية لا تتخللها رواسب الجاهلية التي استمرت فترات طويلة في الشرق ، ويكفي أن تعلم أنه منذ ٢٠ عاماً فقط كان (٩٠) في المائة من الرجال في القاهرة يرتدون الجلباب ، وكانت كل النساء تقريبا يرتدين الحجاب ، أما اليوم ، فإن القاعدة العامة هي إرتداء البدل العصرية وعلى أحدث موضة في الغرب ، وبالنسبة للنساء فإنه حتى في أكثر المناطق شعبية لم نعد نرى الحجاب)[٤٤٥] ا هـ .

لقد فرح ذلك الصحافي الألماني .. ولم يكن يدري أنها فرحة .. لن تتم ، فتلك طبيعة هذه الدعوة ، وتلك سنة الله في خلقه ... أن دولة الباطل ساعة ... ودولة الحق إلى قيام الساعة ، بل لعله فرح لأنه لم يبلغه رأى أخيه (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي منذ سنوات مضت :

(٤٤٥) نقلاً عن ترجمة الكتاب المنشورة في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٢/١٠/١ .

أقــوى من فرنســـا :

ففي ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر، وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول :

« يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم »[٤٤٦] ..

وبعد ذلك بسنوات قلائل :

(قامت فرنسا ـــ من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ـــ بتجربة عملية، فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً .

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دُعِي إليها الوزراء، والمفكرون والصحافيون ..

ولما ابتدأت الحفلة، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت : « ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً ؟!

أجاب « لاكوست »، وزير المستعمرات الفرنسي :

« وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!)[٤٤٧] .

---

(٤٤٦) المنار عدد ١٩٦٢/١١/٩.

(٤٤٧) جريدة الأيام عدد ٧٧٨٠ ـــ بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢ .

رجع الصدى .. وترديد الببغاوات :

قالوا : إن العودة إلى الحجاب عودة إلى الجاهلية الأولى ..

وقالوا : إن الحجاب لا يصلح إلا في مجتمع قبلي جاهلي ..

وقالوا : إن الحجاب تقليد من التقاليد البالية العتيقة ..

وقالوا : إن الحجاب تطرف وتنطع يأباه الإسلام ..

وراحوا يبحثون عن علة هذه الظاهرة فمن قائل : إنه اكتئاب حط على القلوب الشابة حتى لجأن إلى الحجاب يتوارين فيه .

ومن قائل : بل هو تطرف مفاجىء نتج عن الفراغ السياسي والعاطفي عقب النكسة .

العودة إلى الحجاب .. عودة إلى الله

لقد فعلوا ـــ كما تقدم آنفاً ـــ شتى الحيل ليصدوا المسلمة عن دينها ، ويوقعوها في شِراكهم ، ويذبحوا على أعتاب جامعاتهم ومصانعهم ومتاجرهم حياءها قرباناً لأغراضهم ، وقد استجاب لهم كثيرات وكثيرات .

ولكن لم تعدم أمتنا من يقمن الحجة على هؤلاء الكثيرات ، ويحيين السنة المطهرة ، فخرج من بينهن فتيات عفيفات طاهرات يهتفن من أعماق سويدائهن بنداء صارم بدَّد أطماع الأعداء ، فردهم خاسئين :

(رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) ،

وبعائشة الصديقة بنت الصديق ، وفاطمة الزهراء ، وأسماء ذات النطاقين ، والخنساء أسوة وقدوة ، لعلنا نحشر في زمرتهن يوم القيامة قال ﷺ : « المرء مع من أحب »(٤٤٨) .

(٤٤٨) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .

وإذا بالفتيات المسلمات في كل مكان تهوي قلوبهن لهذا النداء العزيز، وتنضم الواحدة تلو الأخرى إلى موكب العفاف والفضيلة، بعد أن تهجر الفسق والرذيلة ..

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ الإسراء (٨١)

وأنى لباطل أعداء الإسلام أن يصبر أمام الحجة والبرهان؟ إن باطلهم ظلام، وحجتنا نور وبرهان، وأنى تصبر جيوش الظلام أمام جحافل الحق **﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾** الأنبياء (١٨).

إن الرد على دعاوي المبطلين قريب، وأقوى ردٍّ هو تخلي المرأة المسلمة عن هؤلاء، بعد أن انخدعت بهم زمناً طويلاً، وخلعت الحجاب، وخالطت الرجال، وذاقت ويلات جاهلية القرن العشرين، وجرت في دروب التقدميين والاشتراكيين طويلاً، فما وجدت عندهم إلا الشقاء والضنك، فعادت المسلمات ـــ زرافات ووحداناً ـــ مستغفرات تائبات، خاشعات قانتات، مالهن هِجِّيرَى سوى.

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ البقرة (٢٨٥).

يأعداء الإسلام ! موتوا بغيظكم :

لقد اغتاظ أدعياء التحرر، وصارت (عودة الحجاب) غصة في حلوقهم، فراحوا يتابعون هذه الظاهرة في حسرة وقلق(٤٤٩).

(٤٤٩) حتى أنهم اعترفوا بهزيمتهم في « المعركة الحقيقية »، وعللوا ذلك بأن الفتيات يتحجبن عن اقتناع كامل، متحدياتٍ كلَّ ما وضع في طريقهن من العراقيل والضغوط، حتى صار الحجاب في عرف القوم حَرِيًّا بوصف « الظاهرة »، ومن هنا كان هذا الإقرار الواضح والاعتراف الصريح وثيقة إدانة لكل الذين يصرون على فرض التبرج والسفور بالقهر، زاعمين في الوقت نفسه احترام ما يسمى بـ « الحرية الشخصية » و « حرية الرأى ».

الصنم الذي تحطم :

كتبت جريدة الأهرام بتاريخ (٧٧/٤/٢٩) تقول :

(أمس مر « ٧١ » عاماً على وفاة « قاسم أمين » محرر المرأة الذي دعا إلى تحرير المرأة ، ورفع الحجاب) ثم يقول الكاتب مغتاظاً متحسِّراً متأسفاً :

(الغريب أنه بعد مرور « ٧١ » سنة على وفاته ــ وفي نفس الوقت الذي نحتفل فيه بذكراه ــ تقوم الدعوة إلى رجوع المرأة إلى البيت ، وحجبها عن المشاركة في الحياة العامة) اهـ .

الإسلام يعود من الجامعة :

وهذا الصحافي (مصطفى أمين) يقلقه انتشار المد الإسلامي بين الفتيات في مصر ، خاصة في الجامعات وبين أعلى الطبقات ثقافة فيقول :

(حارب الأحرار في هذا البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها ، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بها إلى الوراء ، وقد يحدث هذا في أى مكان ، لكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر)[٤٥٠] اهـ .

ذهب مع الريح :

وقال أحدهم في « صباح الخير » وقد تلقي بعض الردود المفحمة من فتيات محجبات عن آرائهن في ما يسمى (الحب) ، فلم ترقه إجاباتهن :

(أي جامعة هذه ؟ وأى طالبات جامعيات هؤلاء في النصف الثاني من القرن العشرين ؟! حيث المرأة مساوية للرجل ، وتصعد إلى الفضاء ، إن كل ما يفعله المجتمع ، وكل ما تفعله الحكومة ، من تعليم البنت وتشغيلها ، وما تفعله زعيمات النشاط النسائي

---

(٤٥٠) (أخبار اليوم) ٥ نوفمبر ١٩٧٧م .

في مصر لتأكيد هذه المساواة، وتربية المرأة المصرية على الخروج على عقلية الحريم، تهدمه مثل هذه الأساليب في التربية والرعاية في المدن الجامعية للطلاب)[٤٥١] اهـ.

لا .. لجيل « هدى شعراوي » :

وجاء في مجلة أكتوبر عدد (٢٢) : نشرت صحيفة « كريستيان مونتيور » بحثاً عن الإنجازات التي حققتها المرأة المصرية في ميادين العلم والدراسات الاجتماعية، وقالت الصحيفة : (شيء غريب في مصر، لقد كانت الأمهات من جيل « هدى شعراوي » أكثر تحرراً وتقدماً من بعض الفتيات في مصر الآن .. الفتيات المحجبات والمتشددات ! ومعنى ذلك أن « هدى شعراوي » وجيلها كن أكثر تحرراً وتطوراً من فتيات اليوم، بنات وحفيدات « هدى شعراوي ») اهـ.

وهذه جريدة « الأهالي » الشيوعية تتابع الظاهرة في قلق وغيظ، وتفرد لها بحثاً جاء في أثنائه على لسان « د. زينب رضوان » قولها : (انتشر الحجاب بين الطبقة المثقفة قبل العوام، وهذا على عكس ما هو متعارف عليه، ونفس هذه الطبقة المثقفة هي التي رفضت الحجاب في زمن « هدى شعراوي »، وخلعته، وداسته[٤٥٢]، وهي ذاتها التي عادت تنادي به، وبالعودة إلى الأصالة بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من المحجبات من الطبقة الوسطى وهي الطبقة التي تقود التغيير في أي مجتمع، صحيح أنه انتشر أيضاً بين الطبقة الأرستقراطية ولكن بنسبة أقل)[٤٥٣] اهـ.

وهذه (أمينة السعيد) تصف الحجاب بأنه ثياب ممجوجة، وتقول وقد ملأتها الحسرة : (فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها زي

---

(٤٥١) (صباح الخير) ١٦ يناير ١٩٧٥م .

(٤٥٢) أقول : بل وأحرقته، بأن سكبت عليه البترول، وأشعلت فيه النار، وذلك في ميدان الإسماعيلية (التحرير فيما بعد) ــ انظر : « واقعنا المعاصر » للأستاذ « محمد قطب » ص(٢٥٨) .

(٤٥٣) (الأهالي) تاريخ ١٩٨٣/١٠/٥ الصفحة الثالثة .

اسلامي لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولًا لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء)[٤٥٤]

عاد الحجاب :

وكتبت « مني رمضان » في (أكتوبر) :

(عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات في مصر ، وهذه ليست آخر صيحة في عالم الموضة، كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه نوع من الحشمة، و « إحياء » التقاليد الإسلامية التي تطلب من النساء أن « يدنين عليهن من جلابيبهن »، والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة، وعلى أساسها فصلت هذه الثياب) اهـ.

سلفيات .. لا مرتدات :

حقاً إنهم حائرون .. وهذا فيلسوفهم الهرم (زكي نجيب محمود) يتباكي على « تبرج الجاهلية » الذي انقشع أمام الصحوة الإسلامية ، فيقول :

(أصابت المرأة المصرية في أيامنا هذه نكسة، ارتدت بها إلى ماقبل .. هناك اليوم عشرات الألوف من النساء المرتدَّات ينزلقن تطوعاً إلى هوة الماضي .. والمأساة أن المرأة اليوم تتبرع سلفاً بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج.

إن أبشع جوانب الردة في حياة المرأة المصرية ليس أن أحداً يتدخل في شئون حياتها، ليس هو أنها تريد أن تتعلم إلى آخر المدى فيمنعها أحد، لأن أحداً لا يمنعها من ذلك ، وليس هو أنها تريد أن تعمل بما تعلمته فيمنعها أحد، لأن أحداً لايقفل في وجهها أبواب العمل، وإنما الجانب البشع من تلك الردة هو أن المرأة اليوم تريد أن

---

(٤٥٤) (حواء) (١٨ نوفمبر ١٩٧٢م) .

تجعل من نفسها ــ وبمحض اختيارها ــ حريماً يتحجب وراء الجدران أو يتستر وراء حجب وبراقع)[٤٥٥].

ثم يصف زمن السفور متحسراً عليه قائلاً : (ذلك زمن أوشك على الذهاب مع رائدات الجيل الماضي)، ويستطرد قائلاً :

(إن في طائفة كبيرة من نساء هذا الجيل وبناته نكوصاً على الأعقاب بالقياس إلى الطموح الذي تميزت به أمهاتهن في الجيل الماضي، وإنها لمفارقة شديدة في أي مجتمع، أن ترى الجيل الأصغر منه سلفياً بدرجة تزيد على الحد المألوف، وترى الجيل الأكبر منه أقل سلفية ..

وبينما الشباب الثائر في البلاد الأخرى كان يحتج على أوضاع الحياة الراهنة، رأينا ثورة شبابنا تحتج هي الأخرى على أوضاع الحياة الراهنة، وتدعو إلى العودة بها إلى نموذج السلف)[٤٥٦].

وفي فرنسا أيضاً قلقون :

فقد كان أول سؤال وجهته الصحافية الفرنسية « كاتي برين » إلى « سيدة مصر الأولى والأخيرة » : (انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر فما رأى السيدة « جيهان » في هذه الظاهرة ؟) فتجيب ــ وكأنه أسقط في يدها أمام قوة انتشار هذه الظاهرة : (في نظري أن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار تلك الظاهرة، فإذا قام أستاذ واحد بطرد فتاة واحدة من محاضراته، مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب ...) اهـ.

---

(٤٥٥) (الأهرام) (٨٤/٤/٩) ص(١٣) .

(٤٥٦) (الأهرام) (٨٤/٥/٧) ص(١٣) .

أمريكا وإسرائيل تحذران الغرب :
« الإسلام قادم ، ونحن على خطر عظيم » :

فى مقال عن قلق أمريكا وإسرائيل من الصحوة الإسلامية كتبت صحيفة « فورتشن » تقول : (إنه حتى فى الجامعات العبرية فى إسرائيل ، بدأ الطلاب العرب المسلمون يُبدون اهتمامًا متزايدًا بالعودة إلى دينهم ، وبدأوا يمارسون ضغوطًا على السلطات اليهودية للسماح بفتح كليات للثقافة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية ، فى الجامعات اليهودية ، كما بدأ العديد منهم يطلقون لحاهم ، ويؤدون العبادات الإسلامية ، فى الجامعات اليهودية ، فى حين بدأت الفتيات المسلمات فى ارتداء الزى الإسلامى الشرعى)(٤٥٧) .

« عسى أن يكون قريبًا »

وفى مقال آخر تقول الصحيفة نفسها : (إن الاتجاه الدينى فى مصر يرسِّخ أقدامه يومًا بعد يوم ، فالشباب المصرى مفتون بالصحوة الإسلامية الثورية ، كما أن الفتيات المصريات يبدين اهتمامًا متزايدًا بالإسلام ، وفى جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزى الشرعى ، وقد يأتى يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة ، إلا وقد ارتدت الزى الشرعى الإسلامى)(٤٥٨) اهـ .

المعركـة مستمـرة :

أعداء الحق فى كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشئون ، وعلى المسلمة الصادقة أن توقن أن المعركة بين الحجاب والسفور ، بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، لا تنقطع ، فإن التاريخ يعيد نفسه ، وإن هذه سنة الله في خلقه **﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلًا ﴾ فاطر (٤٣)** .

ألا إنما الأيـام أبنـاء واحـدٍ   وهذي الليالي كلها أخـوات
فلا تطلبن من عند يومٍ ولا غدٍ   خلافَ الذى مرت به السنوات

---

(٤٥٧) نقلًا عن صحيفة « القبس » الكويتية ، عدد (٣٠/ ٦/ ٨٦) .
(٤٥٨) المصدر السابق ، عدد (٨/ ٧/ ١٩٧٩)

قال تعالى :

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾[٤٥٩] التوبة (٧٣) .

وعن كعب بن مالك مرفوعًا : « اهجوا بالشعر ، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل »[٤٦٠] .

فيا كتائب الحق في كل مكان :

جردوا أسنة العزائم والرد ، واستعينوا على رد الباطل بالواحد الفرد ، اكشفوا ما في مناهجهم من المؤاخذات ، وبينوا ما فيها من الخطأ والغلطات ، ليظهر جهل أعداء الحق وفساد أقوالهم للناظرين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .. فتالله ما بارز جنودَ الحق قَطُّ قِرْنٌ إلا كسروا قَرْنَهُ ، فقرع من ندمٍ سِنَّهُ ، ولا ناحرهم خصم إلا بشروه بسوء منقلبه وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه .

فاللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء ، فاردد عليه دائرة السوء ، وَرُدَّ كيده في نحره ، واجعل تدبيره في تدميره ــ اللهم اغفر لجامعة ولوالديه ، و ﴿ وارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ ، ولإخوانه في الله ، ولمن نظر فيه فدعا له بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، إنك مجيب الدعوات ، وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله القسم التاريخي من « عودة الحجاب » ويليه بإذن الله القسم الخاص بمكانة المرأة وموضوعه :

المـرأة
بين تكريم الإسلام
وإهانة الجاهلية

الإسكندرية في
السبت ١٢ من ربيع الثاني ١٤٠٤هـ
الموافق ١٧ من ديسمبر ١٩٨٣م

---

(٤٥٩) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية : (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة ، (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعًا ، ولا تحابهم ، وكل من وُقِفَ منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه ؛ يُجاهَدُ بالحجة ، وتُسْتَعْمَلُ معه الغلظة ما أمكن) اهـ من « الكشاف » (١/ ٥١٦)

(٤٦٠) رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وحسّنه الألباني

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الأحاديث والآثار

(أ) الأحـاديث

الحديث	رقم الصفحة
وإنما الأعمال بالخواتيم	٦
ولا يحب رجلٌ قوماً إلا	١٤٨
لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي	٢٦٠
لا يزال لسانك رطباً	هـ (٢٣١)
يا أبا ذر ! أيُّ عري الإيمان أوثق ؟	١٤٨

(ب) الآثار

إنما تنقض عري الإسلام	٢٨١
أيها الناس ! إن لكم معالم	هـ (٢٣١)
ما وجدتما مكاناً غير هذا	هـ (٢٠٠)
من أعطى أسباب الفتنة من نفسه	١٥٢
لا ، ولكنهم كانوا إذا أمروا	١٥١

ثانياً : فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ آثار باحثة البادية ــ ملك حفني ناصف ــ جمع وتبويب مجد الدين حفني ناصف ١٩٦٢م المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

٣ ــ آخر ساعة (مجلة) .

٤ ــ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ــ ١٩٥٨م ــ القاهرة .

٥ ــ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ــ د. محمد محمد حسين ــ الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م ــ المطبعة النموذجية ــ القاهرة .

٦ ــ أحمد لطفي السيد ــ د. حسين فوزي ــ سلسلة أعلام العرب ــ طبعة مصر .

٧ ــ أخبار اليوم (جريدة) ــ ١٩٧٧/١١/٥م .

٨ ــ الأخوات المسلمات ــ محمود محمود الجوهري ومحمد عبد الحكيم الخيال ــ دار الدعوة ــ الإسكندرية .

٩ ــ الأدب العصري ــ الأزدي ــ ١٩٢٣م ــ طبعة القاهرة .

١٠ ــ الأذكار النووية بتحقيق الأرناؤوط ــ دار عمر بن الخطاب ــ الإسكندرية .

١١ ــ إرواء الغليل بتخريج أحاديث « منار السبيل » ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ــ المكتب الإسلامي ببيروت .

١٢ ــ الأزهر (مجلة) ــ رمضان (١٤٠٤هـ) .

١٣ ــ أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ــ د. علي جريشة ومحمد شريف الزيبق ــ الطبعة الثانية ١٣٩٨م ــ ١٩٧٨م ــ دار الاعتصام .

١٤ ــ أسباب ونتائج ــ قاسم أمين ــ القاهرة .

١٥ ــ الأسبوع العربي (مجلة) ــ عدد أيار (١٤١٥٣) .

١٦ ــ الإسلام (مجلة) ــ ١٧ جمادي الأولى ١٣٥٤هـ، (١٩٣٥/٨/١٦م) .

١٧ ــ الإسلام على مفترق الطرق ــ محمد أسد ــ ترجمة عمر فروخ ــ الطبعة الثامنة ١٩٧٤م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت .

١٨ ــ الإسلام وأصول الحكم ــ علي عبد الرازق ــ ١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٥م ــ مصر .

١٩ ــ الإسلام والحضارة الغربية ــ د. محمد محمد حسين ــ الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
٢٠ ــ الإسلام والمرأة في رأى الإمام « محمد عبده » ــ د. محمد عمارة ــ كتاب الهلال.
٢١ ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ محمد الأمين الشنقيطي ــ الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٧م ــ مطبعة المدني ــ القاهرة.
٢٢ ــ الاعتصام (مجلة) ــ رمضان ١٤٠٤هـ ــ يونيو ١٩٨٤م.
٢٣ ــ الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ الطبعة الرابعة ١٩٧٩م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت.
٢٤ ــ أكتوبر (مجلة) (٨٣/٧/١٧).
٢٥ ــ إلى الفتاة السعودية، والمسئولين عنها ــ أبو بكر جابر الجزائري ــ ١٣٩٢هـ ــ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ــ جدة.
٢٦ ــ الأمة (مجلة) ــ عدد (٣١) ــ السنة الثالثة.
٢٧ ــ إهابة ــ عزيزة عباس عصفور ــ ١٣٥٧هـ ــ المطبعة السلفية ومكتبتها ــ القاهرة.
٢٨ ــ الأهالي (جريدة) ــ (٨٣/١٠/٥).
٢٩ ــ الأهرام (جريدة) ــ (٨١/٢/٢)، (١٩٨٢/١٠/١)، (٨٤/٤/٩)، (٨٤/٥/٧).

(ب)

٣٠ ــ الباعث على إنكار البدع والحوادث ــ عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة) ــ دار الهدى ــ عين شمس.
٣١ ــ بناة النهضة العربية ــ جرجي زيدان ــ دار الهلال ــ القاهرة.
٣٢ ــ بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب « الأغلال » ــ إبراهيم بن عبد العزيز السويح ــ ١٣٦٩هـ ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة.
٣٣ ــ تاريخ الإمام محمد عبده ــ الشيخ محمد رشيد رضا ــ مطبعة المنار ــ سنة ١٩٣٥م.
٣٤ ــ تاريخ الشعوب الإسلامية ــ كارل بروكلمان ــ ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ــ الطبعة الخامسة ــ بيروت ١٩٦٨م.
٣٥ ــ تاريخ الفكر ــ لويس عوض.
٣٦ ــ تأملات في المرأة والمجتمع ــ محمد المجذوب ــ ١٣٩٠هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
٣٧ ــ التبشير والاستعمار ــ ١٩٥٧م ــ المكتبة العصرية ــ بيروت.
٣٨ ــ تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الأمراء والسلاطين ــ بهامش (فتوح الشام ــ للواقدي) ــ عبد الله الشرقاوي ــ المكتبة الشعبية ــ بيروت.

٣٩ ــ تحرير المرأة ــ قاسم أمين ــ طبعة محمد زكي الدين ــ مصر ــ ١٣٤٧هـ.
٤٠ ــ تراجم مصرية وغربية ــ د. محمد حسين هيكل.
٤١ ــ تربية المرأة والحجاب ــ محمد طلعت حرب ــ ١٣١٧هـ ــ ١٨٩٩م ــ مطبعة الترقي ــ القاهرة.
٤٢ ــ تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد الفاروق ــ إبراهيم عبده ودرية شفيق.
٤٣ ــ تفسير القرآن العظيم ــ الحافظ ابن كثير القرشي ــ تحقيق غنيم وعاشور والبنا ــ دار الشعب ــ القاهرة.
٤٤ ــ التفسير والمفسرون ــ د. محمد حسين الذهبي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة.
٤٥ ــ التيار التراثي في الشعر العربي الحديث ــ د. سعد دعبيس ــ الناشر: دار الفكر العربي.

(ج)

٤٦ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ــ ابن الأثير الجزري ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م ــ مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان.
٤٧ ــ الجامع الصحيح مع « فتح الباري » ــ محمد بن إسماعيل البخاري ١٣٨٠ه ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة.
٤٨ ــ الجمهورية (جريدة) (٢٠/٤/١٩٧٨م).

(ح)

٤٩ ــ حاضر العالم الإسلامي ــ لوثروب ستودارد ــ ترجمة عجاج نويهض ــ تعليق شكيب أرسلان ــ ١٩٢٥م ــ مصر.
٥٠ ــ الحجاب ــ أبو الأعلى المودودي ــ مؤسسة الرسالة ــ دار الفكر.
٥١ ــ حجاب المرأة: العفة، والأمانة، والحياء ــ عبد الله جمال الدين أفندي ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ــ مكتبة التراث الإسلامي ــ القاهرة.
٥٢ ــ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.
٥٣ ــ الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ــ محمد فهمي عبد الوهاب ١٩٧٩م ــ دار الاعتصام ــ القاهرة.

٥٤ ــ الحركة النسائية الحديثة ــ د. إجلال خليفة ــ ١٩٧٣م ــ المطبعة العربية الحديثة.
٥٥ ــ حصوننا مهددة من داخلها ــ د. محمد محمد حسين ــ الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ ــ المكتب الإسلامي ــ مؤسسة الرسالة.
٥٦ ــ حقائق ثابتة في الإسلام يحاول المنحرفون طمسها ــ ابن الخطيب ــ الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ــ مطبعة الأفق ــ طهران.
٥٧ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ــ أبو نعيم الأصبهاني ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ــ مطبعة السعادة ــ مصر.
٥٨ ــ حواء (مجلة) الأعداد ١٢٢٧، ١٢٣١، ١٢٣٣، ١٢٥٢، ١٢٥٤.

(خ)

٥٩ ــ خمسون عاماً على ثورة ١٩١٩م ــ أحمد عزت عبد الكريم ــ مؤسسة الأهرام ــ مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة.
٦٠ ــ الخنجر المسموم الذي طُعن به المسلمون ــ أنور الجندي ١٩٧٦م ــ دار الاعتصام ــ القاهرة.
٦١ ــ خواطر دينية ــ عبد الله بن محمد بن الصديق ــ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م ــ مكتبة القاهرة.

(د)

٦٢ ــ الدارة (مجلة) ــ العدد الأولى ــ السنة الخامسة ــ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ ــ مارس ١٩٧٩م.
٦٣ ــ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ــ زينب بنت يوسف فواز العاملي.
٦٤ ــ دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ــ محمد الغزالي ــ دار الأنصار ــ القاهرة.
٦٥ ــ الدعوة (مجلة) ــ جمادى الأولى ١٤٠١هـ.
(*) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ــ مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال ــ الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) ــ دار طيبة ــ الرياض.
٦٦ ــ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ المطبعة العمومية بدمشق..
٦٧ ــ ديوان « حافظ إبراهيم » ــ حافظ إبراهيم ١٣٩٧هـ ــ ١٩٣٩م ــ مصر.
٦٨ ــ ديوان الرافعي ــ مصطفى صادق الرافعي.

٦٩ ــ ديوان الزهاوي ــ جميل صدقي الزهاوي ــ دار العودة ــ بيروت.
٧٠ ــ ديوان عبد المطلب ــ الطبعة الأولى ــ مطبعة الاعتماد.
٧١ ــ ديوان محرم ــ أحمد محرم ــ الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ ــ ١٩٢٠م ــ مطبعة الفتوح دمنهور.

(ذ)

٧٢ ــ ذم الهوى ــ أبو الفرج بن الجوزي.

(ر)

٧٣ ــ رجال اختلف فيهم الرأى ــ أنور الجندي ــ الطبعة الأولى ــ دار الأنصار ــ القاهرة.
٧٤ ــ رجال عرفتهم ــ عباس محمود العقاد ــ ١٩٦٣م ــ كتاب الهلال.
٧٥ ــ الرسالة (مجلة) (١٩٣٥/١/١٤م)، (١٩٣٥/٣/١١م).
٧٦ ــ روح البيان ــ إسماعيل حقي البروسوي.
٧٧ ــ روز اليوسف (مجلة) ــ ١٧ يونيه ١٩٨٥م ــ العدد (٢٩٧٥).
٧٨ ــ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ــ أبو القاسم السهيلي ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ القاهرة.
٧٩ ــ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ــ ابن القيم ١٩٧٣م ــ مكتبة الجامعة ــ القاهرة.

(ز)

٨٠ ــ (زكي مبارك) ــ أنور الجندي.

(س)

٨١ ــ سعد زغلول ــ عباس محمود العقاد.
٨٢ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الأولى ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.
٨٣ ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة، وأثرها السيء على الأمة ــ محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ــ المكتب الإسلامي ــ دمشق.

٨٤ ــ السلفية بين العقيدة الإسلامية، والفلسفة الغربية ــ مجلة الدارة ــ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ ــ مارس ١٩٧٩م.
٨٥ ــ سنن المصطفى ﷺ بحاشية السندي ــ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ــ الطبعة الثانية ــ دار الفكر ــ بيروت.
٨٦ ــ سنن أبي داود مع « عون المعبود » ــ أبو داود سليمان بن الأشعث ــ الطبعة الثانية ١٣٨٨ه ــ ١٩٦٨م ــ المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة.
٨٧ ــ سنن الترمذي بتحقيق أحمد شاكر ــ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ــ الناشر : المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ.
٨٨ ــ سنن النسائي بحاشيتي السيوطي والسندي ــ أحمد بن شعيب ــ الطبعة الأولى ١٣٤٨ ــ ١٩٣٠م ــ دار الفكر ــ بيروت.
٨٩ ــ السنة ومكانتها في التشريع ــ د. مصطفى السباعي ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.
٩٠ ــ السياسة (جريدة أسبوعية) (١٩٢٦/٧/١٧م).
٩١ ــ السيرة النبوية ــ عبد الملك بن هشام ــ الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ ــ مصطفى الحلبي.

(ش)

٩٢ ــ شرح السنة ــ الحسين بن مسعود الفراء البغوي ــ الطبعة الثانية ــ دار بدر ــ القاهرة ــ كوبري القبة.
٩٣ ــ الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ــ محمد بسيم الذويب.
٩٤ ــ شكيب أرسلان ــ أحمد الشرباصي ــ سلسلة اعلام العرب ــ القاهرة.
٩٥ ــ الشوقيات ــ أحمد شوقي ــ الطبعة الأولى ١٩٧٠م ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر.

(ص)

٩٦ ــ الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ــ حمود بن عبدالله التويجري ــ الطبعة الثانية ١٣٩٩م ــ ١٩٧٩م ــ دار السلام ــ بيروت.
٩٧ ــ صباح الخير (مجلة) ــ (٧٥/١/١٦)
٩٨ ــ الصحافة والأقلام المسمومة ــ أنور الجندي ــ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ــ دار الاعتصام ــ القاهرة.

٩٩ ــ صحوة في عالم المرأة ــ د. عبد الحي الفرماوي ١٩٨٤م ــ مكتبة التراث الإسلامي ــ القاهرة.

١٠٠ ــ صحيح ابن خزيمة ــ أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة ــ نطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.

١٠١ ــ صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.

١٠٢ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ مسلم بن الحجاج القشيري ١٣٤٩هـ ــ المطبعة المصرية ومكتبتها ــ القاهرة.

(ض)

١٠٣ ــ ضوء على تفكيرنا الديني في مطالع القرن الخامس عشر الهجري ــ محمد الغزالي ــ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م ــ دار الاعتصام ــ القاهرة.

(ط)

١٠٤ ــ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ــ ابن قيم الجوزية ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٣م ــ مطبعة السنة المحمدية ــ القاهرة.

١٠٥ ــ الطليعة (مجلة) ــ نوفمبر ١٩٦٨م.

١٠٦ ــ طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام ــ أنور الجندي ــ الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ــ دار الاعتصام.

١٠٧ ــ طه حسين: في ميزان العلماء والأدباء ــ محمود مهدي الاستانبولي ــ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت.

(ع)

١٠٨ ــ العبرات ــ مصطفى لطفي المنفلوطي.

١٠٩ ــ عقبات في طريق النهضة ــ أنور الجندي ــ دار الإعتصام ــ القاهرة.

١١٠ ــ غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب ــ محمد بن احمد السفاريني ــ دار العلم بيروت ومكتبة البيان ببغداد.

(ف)

١١١ ــ فصل الدين عن السياسة ضلالة مستوردة ــ يوسف العظم ــ القاهرة.
١١٢ ــ فقه النظر (أو: حكم النظر في الإسلام) ــ محمد أديب كلكل ــ الطبعة الثانية ١٩٨٣م ــ مكتبة الإيمان ــ القاهرة.
١١٣ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير ــ محمد عبد الرؤوف المناوي ــ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢م ــ دار المعرفة ــ بيروت.

(ق)

١١٤ ــ في مسألة السفور والحجاب ــ صافي ناز محمد كاظم ــ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م مكتبة وهبة ــ القاهرة.
١١٥ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ــ جلال العالم ــ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م ــ المختار الإسلامي ــ القاهرة.
١١٦ ــ قاسم أمين ــ وداد السكاكيني.
١١٧ ــ قاسم أمين ــ أحمد خاكي.
١١٨ ــ قاسم أمين ــ د. ماهر حسن فهمي.
١١٩ ــ قاسم أمين: الأعمال الكاملة ــ قاسم أمين ــ تحقيق: د. محمد عمارة ١٩٧٦م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ القاهرة.
١٢٠ ــ القاموس المحيط ــ مجد الدين الفيروز آبادي ــ الطبعة الثانية ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢ ــ مصطفى البابي الحلبي.
١٢١ ــ القبس (جريدة) ٦ أكتوبر ١٩٨٠م ــ العدد (٢٦٢٥).
١٢٢ ــ قصة حياتي ــ أحمد لطفي السيد ــ كتاب الهلال ــ دار الهلال ــ سنة ١٩٦٢م.
١٢٣ ــ قواعد المنهج السلفي ــ د. مصطفى حلمي.
١٢٤ ــ قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب ــ مصطفى صبري ١٣٥٤هـ ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة.

(ك)

١٢٥ ــ كتاب الإيمان ــ أبو عبيد القاسم بن سلام ــ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ــ مطبعة المدني ــ القاهرة.

١٢٦ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ١٣٠٨هـ ــ طبعة محمد مصطفى.
١٢٧ ــ كلمات ــ قاسم أمين.

(ل)

١٢٨ ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي ــ دار لسان العرب ــ بيروت.

(م)

١٢٩ ــ المؤامرة على المرأة المسلمة ــ د. السيد أحمد فرج ــ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ــ دار الوفاء ــ المنصورة.
١٣٠ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ــ أبو الحسن الندوى ــ الطبعة العاشرة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م ــ دار الأنصار ــ القاهرة.
١٣١ ــ مبادىء السياسة والأدب والاجتماع ــ أحمد لطفي السيد ــ ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م ــ كتاب الهلال.
١٣٢ ــ المجتمع (مجلة) ١٩٧٧/١/١٨م.
١٣٣ ــ المجددون في الإسلام ــ عبد المتعال الصعيدي ــ الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م ــ مكتبة الآداب ومطبعتها ــ القاهرة.
١٣٤ ــ المجلة (مجلة تصدر في لندن باللغة العربية) العدد ٢٣٣ ــ ٧ من ذي القعدة ١٤٠٤هـ.
١٣٥ ــ المجموع شرح المهذب ــ الإمام النووي ــ طبعة زكريا على يوسف ــ مطبعة العاصمة ــ القاهرة.
١٣٦ ــ مجموعة خطب جمال عبد الناصر وتصريحاته وبياناته ــ القسم الثاني ــ مصلحة ١٣٩٦هـ.
١٣٧ ــ محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ الموسم الثقافي ١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ.
١٣٨ ــ محاكمة فكر « طه حسين » ــ أنور الجندي ــ الطبعة الأولى ١٩٨٥م ــ دار الاعتصام.
١٣٩ ــ « محمد سلطان » أمام التاريخ ــ د. عبد العزيز الرفاعي.
١٤٠ ــ المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها ــ د. مصطفى حلمي ــ دار الأنصار ــ القاهرة.

١٤١ ــ مختار القاموس ــ الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ــ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٤م ــ مطبعة عيسى الحلبي ــ القاهرة .
١٤٢ ــ مدافع آية الله ــ محمد حسنين هيكل
١٤٣ ــ مذكرات « هدى شعراوي » ــ كتاب الهلال سبتمبر ١٩٨١م
١٤٤ ــ المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التحرر ــ د. عمر سليمان الأشقر ــ الكويت .
١٤٥ ــ المرأة بين الفقه والقانون ــ د. مصطفى السباعي ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت .
١٤٦ ــ المرأة الجديدة ــ قاسم أمين ١٣٢٩هـ ــ ١٩١١م ــ مطبعة الشعب ــ مصر .
١٤٧ ــ المرأة المسلمة ــ وهبي سليمان غاوجي الألباني ــ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ــ مؤسسة الرسالة ــ دار القلم ــ بيروت .
١٤٨ ــ المرأة المصرية ــ د. درية شفيق .
١٤٩ ــ المرأة ومكانتها في الإسلام ــ أحمد عبد العزيز الحصين ــ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م ــ مكتبة الإيمان ــ القاهرة .
١٥٠ ــ المساء (جريدة) تاريخ ١٩٨٣/٨/٤م .
١٥١ ــ المستدرك ــ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ــ طبعة سنة ١٣٩٨هـ ــ دار الفكر ــ بيروت .
١٥٢ ــ المستقبل العربي (مجلة) ــ يناير ١٩٨١م .
١٥٣ ــ المسلمون (جريدة عالمية) العدد (٣٣) ــ ٧ ــ ١٣ من المحرم ١٤٠٦م ــ ٢١ ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥م .
١٥٤ ــ المسند ــ الإمام أحمد بن حنبل ــ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ المكتب الإسلامي .
١٥٥ ــ « مصطفى كامل » باعث الحركة الوطنية ــ عبد الرحمن الرافعي ــ الطبعة الثانية ١٣٦٤هـ ــ ١٩٤٥م ــ مطبعة لجنة التأليف .
١٥٦ ــ مصطفى كمال أتاتورك ــ لجنة الرواد والمشاهير بإشراف د. رؤوف سلامه موسى ــ دار ومطابع المستقبل ــ الإسكندرية .
١٥٧ ــ المصور (مجلة) (٨٢/١/٢٢)، (٨٤/١٢/٧) .
١٥٨ ــ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ﷺ ــ أحمد بن الصديق ــ الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ــ مكتبة القاهرة .
١٥٩ ــ المقتطف (جريدة) أبريل (١٩٢٦م) .
١٦٠ ــ المنار (مجلة) ٢٩ ذو الحجة ١٣٤٣هـ ــ ١٩٢٥/٧/٢١م .
١٦١ ــ من أصداء الدين في الشعر المصري الحديث ــ د. سعد الدين محمد الجيزاوي .
١٦٢ ــ منهاج المسلم ــ أبو بكر جابر الجزائري ــ الطبعة الثامنة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ــ دار الفكر .

١٦٣ ــ مهلاً .. يا صاحبة القوارير ــ يسرية محمد أنور ــ الطبعة الأولى ــ دار الاعتصام ــ القاهرة .
١٦٤ ــ الموسوعة العربية الميسرة.
١٦٥ ــ الموطأ ــ الإمام مالك بن أنس ــ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ طبعة دار الشعب .
١٦٦ ــ الميثاق الوطني ــ مصلحة الاستعلامات ــ القاهرة .

(ن)

١٦٧ ــ الهلال (مجلة) (١٩٣٨/١/١م) و (العدد الماسي) سنة ١٩٦٧م.

(و)

١٦٨ ــ واقعنا المعاصر ــ محمد قطب ــ الطبعة الأولى (١٤٠٧ ــ ١٩٨٦م) ــ مؤسسة المدينة للصحافة ــ جُدَّة .
١٦٩ ــ وجاء دور المجوس ــ د. عبد الله محمد الغريب ١٩٨١م ــ دار الجيل الجديد للطباعة ــ القاهرة.
١٧٠ ــ وحي القلم ــ مصطفى صادق الرافعي ــ (١٣٦٠هـ ــ ١٩٤١م) ــ مصر .
١٧١ ــ ودخلت الخيل الأزهر ــ محمد جلال كشك ــ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢م ــ الدار العلمية ــ بيروت .
١٧٢ ــ الولاء والبراء في الإسلام ــ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ــ الطبعة الأولى ــ دار طيبة ــ الرياض.

ثالثاً : فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

معركة الحجاب والسفور

الموضوع رقم الصفحة

حركة تحرير المرأة في مصر

« قاسم أمين » فتنة الأجيال وداعية السفور في عهد الاحتلال

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تلميذ المدرسة الاستعمارية، وبداية « تحرير المرأة »

الاستعمار الأوربي : حملة صليبية جديدة

خريجات البيوت العميلة في موكب الرذيلة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

وقفة مع بعض دعاة « تحرير المرأة »

الموضوع	رقم الصفحة
« طه حسين » صنيعة أعداء الإسلام، وهو المسئول عن كثير من مظاهر فساد المجتمع اليوم	١٧٨
شهادة المستشرق « ماسينيون » في حق كتب « طه حسين »	١٧٨
أمثلة من أقواله الكفرية، ومواقفه الإبليسية	١٧٩
١ ــ من ذلك : تكذيبه القرآن المجيد والتوارة في إثبات حقيقة « إبراهيم » ، و « إسماعيل » عليهما السلام	١٧٩
٢ ــ ومن ذلك : قوله (إن القرآن المكي يمتاز بالهروب من المناقشة ....) إلخ	١٧٩
٣ ــ ومن ذلك : قوله بتناقض الدين والعلم، ودعوى أن الدين لم ينزل من السماء	١٧٩
٤ ــ ومن ذلك : دعوته إلى التمسك بالفرعونية ولو على حساب الإسلام	١٧٩
٥ ــ ومن ذلك : استنكاره وجود نص في الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمي	١٧٩
٦ ــ ومن ذلك : تحريض طلاب كلية الآداب على نقد القرآن كأي كتاب أدبي	١٧٩
٧ ــ ومن ذلك : حملته الشديدة على الأزهر الشريف وعلمائه الأفاضل	١٨٠
٨ ــ ومن ذلك : تشجيعه لـ « محمود أبو رية » في حملته ضد السنة الشريفة، وتأييده لمن دعا إلى الإفطار في رمضان	١٨٠
٩ ــ ومن ذلك : مطالبته بإلغاء التعليم الأزهري	١٨٠
١٠ ــ ومن ذلك : وصفه الفتح الإسلامي بالبغي والعداون	١٨٠
١١ ــ ومن ذلك : أنه أعاد خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية	١٨٠
١٢ ــ ومن ذلك : حملته على الصحابة رضي الله عنهم وعلى الرعيل الأول	١٨٠
١٣ ــ ومن ذلك : إحياء رسائل « إخوان الصفا » ، وأشعار المجون والفسق	١٨١
١٤ ــ ومن ذلك : قوله (ومالي أدرس الأدب لأقصر حياتي على مدح أهل السنة وذم المعتزلة) إلخ	١٨١
١٥ ــ ومن ذلك : قوله (إن الإنسان يستطيع أن يكون مؤمناً بضميره، وكافراً بعقله)	١٨١
١٦ ــ ومن ذلك : دعوته إلى التبعية المطلقة للأوربيين	١٨١
١٧ ــ ومن ذلك : إعجابه بـ « أندريه جيد » لأنه متمرد على أصول الدين	١٨٢
١٨ ــ ومن ذلك : وصفه المسلمين المغاربة المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي بأنهم (شعوب متوحشة ترفض التقدم والاستنارة)	١٨٢
١٩ ــ ومن ذلك : استقدامه المستشرقين لإلقاء محاضرات للطعن في الإسلام	١٨٢
٢٠ ــ ومن ذلك : تشجيعه لتيار التبشير في الجامعة	١٨٢

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

• (ردةُ ونكسةُ ومأساةُ) زكي نجيب محمود

الموضوع رقم الصفحة

بشائر عودة الحجاب

الموضوع	رقم الصفحة

كتب مختارة من الناشر للقراءة

١ ــ التوحيد :

ــ معارج القبول .... حافظ الحكمى

ــ العقيدة الواسطية .... ابن تيمية

ــ مذاهب فكرية معاصرة .... محمد قطب

ــ سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة .... عمر سليمان الأشقر

ــ هذه هي الصوفية .... محمد الوكيل

٢ ــ الحديث :

ــ رياض الصالحين .... للإمام النووي

ــ صحيح الترغيب والترهيب .... بتحقيق ناصر الدين الألباني

ــ مختصر صحيح مسلم .... للإمام المنذري

ــ عمدة الأحكام .... المقدسي

ــ قبسات من سيرة الرسول ﷺ .... محمد قطب

٣ ــ الفقه :

ــ فقه السنه .... للشيخ سيد سابق

ــ منار السبيل .... بن ضويان

ــ العدة شرح العمدة .... للمقدسي

٤ ـ التفسير :

ـ تفسير ابن كثير .... بن كثير
ـ تفسير كلام المنان .... السعدي
ـ اضواء البيان .... الشنقيطي
ـ فتح القدير .... الشوكاني

٥ ـ السيرة والتاريخ :

ـ تهذيب سيرة ابن هشام .... عبد السلام هارون
ـ السيرة النبوية دروس وعبر .... مصطفى السباعي
ـ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة .... ابن حجر

٦ ـ كتب للمرأة المسلمة :

ـ رسالة الحجاب .... الشيخ العثيمين
ـ دستور الأسرة في ظلال القرآن .... جمع أحمد فائز
ـ الحجاب .... الشيخ المودودي
ـ المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم .... عمر الأشقر
ـ حركة تحرير المرأة .... أنور الجندي
ـ الأخوات المؤمنات .... منير الغضبان

٧ ـ كتب عامة :

ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .... أبو الحسن الندوي
ـ إلى الإسلام من جديد .... أبو الحسن الندوي
ـ حصوننا مهددة من داخلها .... د. محمد محمد حسين

هذا الكتاب

● ليس الحجاب الذي نعنيه مجرد سِتْرٍ لبدن المرأة.. إنَّ الحجاب عنوان تلك المجموعة من الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في النظام الإسلامي، والتي شرعها الله سبحانه وتعالى لتكون «الحِصْنَ الحصين» الذي يحمي المرأة، و «السياج الواقي» الذي يعصم المجتمع من الافتتان بها، و «الإطار المنضبط» الذي تؤدي المرأة من خلاله وظيفة «صناعة الأجيال»، و «صياغة مستقبل الأمة»، وبالتالي المساهمة في نصر الإسلام، والتمكين له.

● وليست المرأة التي نريد أن يعيدها إلينا الحجاب هي المرأة الجاهلة المتخلِّفة، فإن الدعوة إلى «فريضة الحجاب»، والعودة إليه، لا بد أن تواكبها دعوة القائمين بأمر المرأة إلى أن يؤدوا لها «فريضة» تحرير عقلها من حُجُب التضليل والجهل والتخلف التي يأباها ديننا الحنيف.

● من هنا كان لا بد من هذه الوقفة مع المرأة: كيف سقطت صريعة! بين الجاهلية الأولى والآخِرة؟ وكيف أعزها الإسلام وكرَّمها، وحدَّد لها دورها في الحياة، ما حقوقها؟ وما واجباتها؟، ثم كيف تأثرت هي بهذا التكريم، فمارست دورها العظيم، وخلَّفت لنا تاريخاً مجيداً حافلاً بسيرتها العطرة كأم وزوجة وابنة، وكمؤمنة مجاهدة صابرة، وكعالمة فقيهة مُحَدِّثة، وكعابدة خاشعة قانتة، حتى بان للجميع ما الذي كان يخفيه الحجاب، وماذا كان يدور خلف الخدور؟ إنها الثمرات المباركة التي جنتها الأمة من وراء الحجاب، إنه الشرف العزيز الذي صانه الحجاب... وإن هؤلاء هن خريجات «مدرسة الحجاب» قبل أن تعرف الدنيا مدرسة، وقبل أن يطرق سَمْعَها «حقوقُ المرأة وتكريمُها».